علبة ألوان



سيرتي من 6:60

إبراهيم شلبي

علبة ألوان



سيرتي من : 6 - 60

إبراهيم شلبي

علبـــة ألوان
ســــــيرتى
من: 6 - 06

....

بقَلــــــــم

....

إبراهيم شلبى

....

تصميم الغلاف
تصميم داخـلى

....

إبراهيـم شـلبى

....

الطبــــعة الاولـى
مايـو : 5 2 0 2
الجـــــــــزء الأول
حجم الكتاب: 20×14 سـم
عـدد الصفحــــات: 390
....
رقــــم الايـــــــداع
4 7 5 9/ 2025
ترقيـم دولــي : I.S.B.N
978-977-95-2565-5

....

علبة ألوان

سـيرتي

من : 6 - 60

إبراهيم شلبي

تمهيـــــد

شعورك إيه بعد حصولك علي الجائزة ؟

منذ طفولتي المبكرة وقد إخترت حياتي ، ولا أعلم قد تكون حياتي هي التي إختارتني ، المهم التقينا و إتراضينا ، وبدأت أخطوا في طريقي.،
كنت أنحرف عنه قليلا وأحيانا كثيرا ولكني سرعان ما أعود اليه ضاربا عرض الحائط ، بكل مكسب أو أي خسارة . متحملا إياها بطيب خاطر، المهم أن أبقي علي الطريق.
ضحيت بشهاداتي ، تمردت علي كل عمل عندما أشعر أنه سيحرفني عن الطريق .
بعدما حصلت علي شهادتي العليا في المحاسبة ، رفضت العمل محاسب في كبري شركات المقاولات في مصر من أجل العمل رسام موبيليا ، بدخل أقل ومستقبل مجهول ،
« رسم علي الموبيليا ورد وزخارف ،مناظر طبيعية »

عندما قررت السفر للعمل بالخارج رفضت العمل في كبري شركات المحاسبة في السعودية وتحايلت لإستخراج مهنة رسام للعمل خطاط في وكالة دعاية وإعلان ناشئة من تأسيسي ،
إمتنعت عن الزواج حتي سن الاربعين رغم توافر كل مقوماته المادية قبل أن أصل للخمسة والعشرين.

إعتقاد مني أنه قد يحرفني أو يعطلني عن الطريق .
أغلقت مشاريعي الناجحة في جني المال، مشروع تلو المشروع . كلما شعرت أنه أخذني من تلك الحياة.

في البداية إخترت أن أكون فنان،
من البداية إخترت الحياة التي أحياها الأن.
كنت سعيد بحياتي ،
ولم يؤرقني فيها غير سؤال المحيطين ،
إنت كسبت أيه من الفن ؟
كيف أقنعهم إني كسبت حياتي ،
و هم لا يعترفون إلا بوجه واحد من الكسب .
« كسب المال » .
لا يعترفون بأي نجاح لا يدر في نهايته أموال .
لا يعترفون بأي سعادة لم تأتي عن طريق المال.

في حياتي لم أحصل غير علي جائزتين ماليتين ،
لما أخدت أول جائزة مالية كنت اقتربت من الخمسين
أخيرا وجدت لهم سبب مقنع ليتركوا لي حياتي .
خمسون عام و أنا راضي وسعيد وهم غير راضون ولا مقتنعون راجين لي حياة أخري أكثر رغد و إكتناز مال.
أخيرا أصبح عندي مبرر للحياة دون لوم منهم أو مصمصة شفاة علي العمر الذي ضاع، كما يعتقدون أو
«كما يتمنون ».
كنت أتخيل تفسية فان جوخ و دوافعه عند قدومه علي الإنتحار...لم أقتنع يوما أنه إنتحر من أجل حب فتاة ، حتي لو قطع أذنه من أجلها ،أكاد أجزم أنه إنتحر للهروب من مجتمع لا يجد مبرر لعمل ، لا ينتهي بجني مال.

من منشورات الفيسبوك
في 28 فبراير 2023 -

مدرسة
المأمون الإبتدائية المشتركة

أكثر مكان كرهته ، رغم فضله في إكتشاف موهبتي الفنية ، دخلتها مكرها وخرجت منها بعاهة مستديمة

«الخط الأول
.... خارج السطر»

دخلت أولى إبتدائي في مدرسة أحمد شوقي الإبتدائية المشتركة ، كانت تقع في منطقة نائية على أطراف المدينة، و تبعد عن بيتي عدد كيلومترات
كنا نذهب إليها مترجلين حيث لا وسيلة مواصلات غير الحمير أو الدراجات، للموعودين.

إدهشت عندما رأيت فناء المدرسة فقد كان مشترك مع ملعب مركز شباب المدينة في مساحة واحدة ، دون أسوار تفصله مبني المدرسة، أمامه فناء ضخم شاسع الإتساع لا ترى غير لون النجيلة الخضراء بأرضه ، واللون الأزرق الصافي بسمائه ، على مدد الشوف.
يفصل فناء المدرسة عن ملعب مركز الشباب عقلة جمباز ومتوازي.
عندما رأيت الشباب من رواد النادي يتأرجحون عليها بأجسادهم النحيلة وأبدانهم القويمة وكأنهم راقصات باليه أو طيور عملاقة بلا أجنحة يتجولون في الفضاء يمينا ويسارا برشاقة وخيلاء.

تمنيت أن أكون مثلهم ، فإنخرطت سريعا باللعب معهم ، كنت أطلب من أحدهم أن يحملني لأصل لعرضة العقلة ثم أطلب من أخر بإنزالي عند إنتهائي. وعندما أكون وحدي كنت أتسلق عمود العقلة النحيل كأنه شجرة كازورين لأصل الي العرضة وأنزل بنفس الطريقة .
وفي وقت قصير وصلت لمستوى رفيع أدهش الجميع

إستحوذت العقلة علي كل وجداني.
كنت أسبح كل يوم في السماء مع الطيور والنجوم قبل بدء اليوم الدراسي ،وفي وقت الفسحة وبعد الخروج ، ثم أعود للمنزل.
مرت الأيام سريعاً في سعادة كأنها حلم ، مع معشوقتي، حتي إنتقلت إلي الصف الثالث الإبتدائي.

في يوم حزين قرب إنتهاء النصف الاول من العام الدراسي أبلغت بتحويل أوراقي إلي مدرسة المأمون الإبتدائية المشتركة ، التي فتحت حديثا لتخفيف كثافة الفصول .

كانت المدرسة الجديدة علي بعد أمتار من بيتي .
كذلك تم نقل كل التلاميذ المجاورين للمدرسة، دخلت المدرسة الجديدة في النصف الثاني من العام لأصدم بفناء صغير ، أرضه ترابية سوداء، كذلك رأيت سمائه .
حيث كنا في أوائل فبراير.
هرعت أبحث عن العقلة في كل مكان فلم أجدها .

أصبـت بصدمــة كبيـرة ، توجهـت لوالــدي مترجيــا بتحويــل أوراقــي إلــي مدرسـتي القديمــة ، لكنــه لــم يسـتطيع.
لان نقلـي تـم بقـرار وزاري ، وعودتـي لمدرسـتي القديمـة يجـب أن يكـون بتأشـيرة مـن الوزيـر
(هكذا أقنعته إدارة المدرسة)
إستسلمت للأمر وهون علي فكرة الذهاب « للعقلة » كل يوم بعد إنتهاء اليوم الدراسي لممارسة هوايتي التي إمتزجت بدمي.
وفـي يـوم جمعـة خرجـت مبكـراً كعادتـي، للقـاء محبوبتـي تملؤنـي الحماسـة، وخطواتـي تـكاد تسـبق ظلـي، اطـارد فرحتـي الصغيـرة قبـل أن تـدق سـاعة الصـلاة.
المـكان خـال إلا مـن نبـض قلبـي المتلهف،ظللـت العـب وأمـرح لكنـي لـم البـث أن توقفـت، حيـن طـل «صبـي » مـن شـباك منزلـه المجـاور «للعقلـة» يصـرخ فيـا آمـراً إيايـا بالرحيـل.
تجاهلتـه فـي البدايـة، لـم أهتـم لندائـه ولـم ألتفـت اليـه، فأثـار ذلـك غضـب الصبـي، فجـاء الـيّ وسـحبني بقـوة مـن سـاقي ،مـا لبثـت أن وجـدت نفسـي علـى الأرض، وكرامتـي ممزقـة بيـن التـراب .
رجوتــه أن يتركنــي لحالــي ، ولكــن رجائــي لــم يــزده إلا عنــادا وإصــرار علــي طــردي مــن المــكان..
عندمـا لـم أجـد سـبيل لتوسـلي، وتذكـري «للعلقـة » السـخنة التـي سـأنلها مـن والـدي عنـد عودتـي للمنـزل، بسـبب غيابـي لفتـرة طويلـة دون إسـتئذان « فرحلـة الذهـاب كانـت تسـتغرق نصـف سـاعة وكذلـك رحلـة العـودة و سـاعتين مـع العقلـة » ، فـكان غيـاب ثـلاث أو أربعـة سـاعات عـن البيـت فتـرة واحـدة تسـتوجب العقـاب، الـذي لـم يردعنـي أبـدأ علـى تـرك هوايتـي

بالرغـم مـن التحذيـر مـن اللعـب علـي العقلـة ، لوقـوع شـقيقتي الكبـرى منهـا وإصابتهـا بجـرح كبيـر أسـفل فكهـا، مـازال أثـره بوجههـا حتــي اليـوم.
مـن شـدت غيظتـي وللمشـوار الكبيرالـذي مشـيته وللعقـاب الـذي ينتظرنــي اندفـع الغضـب فـي عروقـي، واختلطـت دمـوع القهـر بعـرق التعـب ومخـاوف العقـاب.
فإنهلـت عليـه ضربـا، فـي لحظـة إنفجـار، حتـي خـر علـي أثـره لــلأرض صريعـا، يصيـح بصـوت متلهـف مناديـا علـي إخواتـه لإنقـاذه ، فتركتــه طريـح الأرض وإنصرفـت مبتعـدا، أطـوي الطريــق بخطــي مهـزوزة وقلــب مثقـل.
فلـن أسـتطيع العـودة ثانيـة ، فبالتأكيـد سـوف ينتظرنــي مـع إخوتـه للقصـاص إذا عـدت مـرة أخـرى للمـكان.
لم أكن اعلم أن تلك الجمعة ستكون آخر عهدى بـ«العقلة».
كان الصــراع أكبـر مـن طفولتــي، وأثقـل مـن عمـرى، أصيبـت بحـزن وإكتئـاب ، لـم اشـفي منـه حتـي بالإنتقـال الـي بيتنـا الجديـد، بجدرانــه مـن الطـوب الأحمـر، وحديقتـه الغنــاء.
لــم تغرنـــي الكهربــاء، ولا حنفيـات المــاء ، ولا راق لـــي المشـــهد الــذي طالمــا تقـت إليـه.
شـيء داخلـي إنكسـر هنـاك، عنـد «العقلـة»، فـي تلـك الجمعـة، حيـن أجبـرت علـي فـراق شـغفي، خوفـا وندمـا.
مـرت الأيــام ثقيلـة، والطفـل الـذي كان لا يهـدأ ولا يستسـلم، بـات طريـح الفـراش، تائــه النظـرات، تائـه الـروح.
بقـي الألـم سـاكنا،فى جسـده، لا يشـفى بالانتقـال ولا ينســي بالزمـن.
لازم الفـراش مريضــا لقـرب إنتهـاء العـام .

إكتشاف الموهبة:

إنتقلت للصف الرابع ، وكانت المدارس تفتح أبوابها لطلاب الصف السادس قبل طلاب النقل بأسبوعين، وذلك لان معظم أهل المدينة يعملون بالزراعة، فكان يترك لطلاب النقل الاسبوعين لمساعدة أهاليهم في الحقول.
كنا نتسلم الكتب والكراريس من المدرسة مجانا.
تداركت إدارة المدرسة إنه تم توزيع كراسات الرسم صغيرة الحجم المخصصة لطلاب النقل علي طلاب الصف السادس،أصحاب الكراريس الاكبر حجما، فجمعت منهم الكراسات بعد استعمالها واعادة توزيعها علينا .
عند فتح كراستي وجدت بأول صفحة رسم عن حرب أكتوبر، فكانت دهشتي كبيرة هل هذا الرسم لأنسان ؟ كيف إستطاع أن يصور المعركة بهذا الجمال.؟
شغلت جدا بهذا السؤال.
كنت أتخيل ان الرسومات بالكتب المدرسية لأجهزة الية كما بالتصوير الفوتوغرافي ، لم أتخيل أن هناك إنسان يستطيع الرسم هكذا .
ظللت أتأمل الرسم طويلا ، أفتح الكراسة وأبحلق فيها بالساعات ثم أتركها ، ثم أرجع اليها وأتأملها من جديد وأسال نفسي في تعجب ، كيف إستطاع رسم الطائرة هكذا وما هذا الجمال للدبابة والعلم والجندي!!!!!

اكاد اسمع صوت الرصاص وضجيج الطائرات ، كنت أشعر بلهيب النيران المنطلقة من المدافع والدبابات، كل شيء يشبه الواقع ، لم أعد أتذكر العقلة ولا أشتاق لزيارتها، كل ما أحتاجه الآن هو فتح الكراسة وتأمل الرسم .

مر أكثر من أسبوعين، وأنا أكتفي بالتأمل، أحدق في الرسم بعين مبهورة، كمن إكتشف كنزا لا يجرؤ على لمسه.
كنت أفتح الكراسة وأغلقها، أعيش في صمت دهشة لا تهدأ، حتى جاء اليوم الذي إمتدت فيه يدي بتردد إلى القلم الرصاص.
كانت ضربة البداية خجولة، محاولة تقليد الجندي والدبابة والطائرة، بنفس الانبهار الذي تملكني منذ النظرة الأولى.
لم تكن الرسوم التي خرجت من تحت يدي تقترب من الأصل، لكنها كانت خطواتي الأولى على طريق لم أعرف بعد إلى أين سيقودني.
بعد وقت، تحررت يدي من أسر التقليد، وبدأت روحي تتسلل إلى الخطوط. تركت مشاهد الحرب ورموز البطولة، وإتجهت إلى عالمي القريب:
خروف يرعى على أطراف الحقل، جرار يعبر الطريق الترابي، قطار يقطع الأفق بنغمته البعيدة، شجرة تلوح بأغصانها في هدوء العصر.
صرت أرسم كل ما تقع عليه عيني، وكأنني أكتشف الحياة من جديد، بالخط والظل والضوء.
وجدت نفسي على أعتاب طريق سرت فيه بشغف طفل، وقلب رسام صغير بدأ يرى العالم بمنظار جديد.

بعـد تـردد طويـل وتقلـب بيـن الخـوف والفضـول، حملـت رسـوماتي وتقدمـت بهـا نحـو معلمتـي، نظـرت المعلمـة إلـى رسـوماتي، وأخـذت تقلـب الصفحـات بعيـن متفحصـة، ثـم إبتسـمت.

إبتسامة من يكتشف كنزا لم يكن يتوقعه.

أغرقتنـي بكلمـات الإعجـاب ، وصوتهـا كان ينسـاب إلـى قلبـي كالانغـام ،أثنـت علـى ملاحظتـي للتفاصيـل، علـى الخطـوط، علـى التلويـن...

لكن النشـوة لـم تـرو ظمئـي. كنـت أريـد المزيـد، مديـح أعمـق، دهشـة أقـوى، نظـرة فخـر أطـول.

وهكـذا بـدأت أبحـث عـن وسـيلة أخـرى... وسـيلة تجعلنـي أبهرهـا مـن جديـد.

عدت إلى البيت، بدأت أفتش في كتب إخوتي الكبار.

كل واحـد فـي مرحلـة دراسـية مختلفـة، وكل كتـاب يحمـل رسـومات تثيـر الدهشـة.

كنـت أفتـح الصفحـات بحـذر، أختـار أجمـل الرسـوم، وأجلـس فـي هـدوء الليـل أشـفها بحـرص وعنايـة، كمـا لـو أنـي أسـرق شـيئ مقـدس مـن بيـن السـطور. كنـت الهـث للحفـاظ علـى تلـك النظـرة اللامعـة فـي عينـي معلمتـي. كنـت الهـث خلـف لحظـة مجـد أخـرى... لحظـة تصفيـق جديـدة، لا تنتهـي.

لكن شيئ ما بدأ يقلقني... في يوم، وقفت أمام نفسي متسائلا:

هل أنا فنان حقا ؟... أم أنني مخادع ؟!

كنت أشف الرسومات، إذن المديح ليس لك، المديح للشف

ظل هذا الشعور يطاردني، فقررت أن أتوقف عن الشف، وأن أرسم بنفسي، من خيالي، وبدون شف او تقليد.
رسمت فلاح يرتدي جلباب مخطط ، يحمل فأسه فوق كتفه ممسكها بيده ، وكأنه جندي يحمل سلاحه، ينظر الي الأمام في تحدي وإستعداد ، لشق الأرض ليخرج الزرع .
عرضت اللوحة علي معلمتي .
لافاجئ بغضبها وظلت توبخني وتتهمني بالكذب كلما رددت ب « انا » علي سؤلها مين راسملك الرسمة دي؟
ولم تسمح لي بالدفاع عن نفسي حتي إنتهت الحصة .
رجعت للمنزل وأنا سعيد وفخور ،أحاور نفسي فى سرور ، تظن معلمتى ان الرسم لشخص كبير ،
« يعني أنا برسم زي الكبار »
لم أقلق من إتهام المعلمة لى بالكذب ، فكنت متأكد بأنني سوف أقنعها عندما إعيد الرسمة أمامها بالفصل .

إشتهرت بين الطلبة بالرسام وذاع صيتي بالمدرسة ، أخيراً تغلبت علي حزني بسبب فراق «العقلة» تلاشى، كضباب ذاب تحت شمس يوم جديد ، رجعت سعادتي من جديد ، و أحببت مدرستي الجديدة ، وأصبحت عضوا في جماعة الإذاعة و الجوالة ، والفريق الرياضي ، والمكتبة .

أما في الرسم فكنت أنا الفريق كله لا يوجد من ينافسني أو يزاملني ، أصبحت كالنجم ، ولا أبالغ أن قلت أصبحت نجم ، يتذكره زملائي حتي اليوم .

إنتقلت للصف الخامس ولم أترك الورقة والقلم من يدي طوال العام .أصبح الرسم هو القرين ، هو الحياة، كلفت برسم الوسائل التعليمية للفصل مقابل الإعفاء من دفع إشتراك تزينه

هلع أهلي من إنكفائي المستمر علي الرسم طوال اليوم فصدر فرمان بمنعي منه طوال فترة الدراسة لأنه يعطلني عن مذاكرة دروسي
« هكذا تخيلوا»
لم أستسلم، فبدأت أبحث عن أماكن سرية لممارسة هوايتي، بعيدا عن أعين إخوتي، الذين كانوا يسارعون لإبلاغ والدي كلما أمسكوا بي متلبس بالقلم والورقة.
غرفة الضيوف كانت أول ملجأ لي.
فكانت تحتوي علي باب مستقل منفصل عن البيت ولا يدخلها أحد أبدا من أهل البيت، الا لتنظيفها ومحو الغبار من كنباتها كانت دائما نظيفة منظمة أنيقة مستعدة في أي وقت لإستقبال الضيف ، آلذي كان يأتي نادرا ،فالأقارب والجيران هم أهل بيت يمكننا إستقبالهم في صالته .
وإن تعذر الأمر، كنت أصعد إلى سطح المنزل، أو أتسلل بين الحقول، مختبئا خلف الشجيرات، أمارس شغفي بهدوء.
كنت أتقن فن الإختباء لأرسم ،وكان اخوتي يتقنون الفراسة في كشفي واعاقبي.
مرت الايام بين الإختباء والكشف ، حتي إنتقلت للصف السادس، لأكتشف عالم جديد ،لم يخطر ببالي يوما ، عالم مافيا الدروس الخصوصية ، ذلك العالم الذي كان يمتلك خصوصية فريدة في تلك المدرسة

فيــه إشــترك ناظــر المدرســة مــع المدرســين علــي إقامــة ســنتر مشــترك للــدروس
تــم إســتخدام التهديــد و الوعيــد مــع تلاميــذ المدرســة لحثهــم علــي الالتحــاق بالسـنتر ، كنـت أشـعر إننـي لسـت بحاجـة إلـي الإنضمـام اليــه لثنائهــم المســتمر علــي شــطارتي .
فأكثر جملة سمعتها من أساتذتي في تلك الفترة :
« إنت شاطر يا شلبي يا خسارتك لو تحضر معانا الدرس»
كنت أردد في نفسي :
«طالما أنا شاطر هاخد درس ليه؟»
بعــد الإلحــاح المســتمر وإســتخدام جــزرة المعــز إجبــرت علــي الإلتحــاق بالســنتر. كنــا نخــرج مــن المدرســة بعــد إنتهــاء اليــوم الدراســي إلــي منــزل الاســتاذ منصــور
« مقر الدرس »
كنــا نجلــس القرفصــاء علــي الأرض فــي إحــدي غــرف المنــزل المفروشــة بحصيــر الخــوص، تصيبنــا ألأم شــديدة فــي ســيقاننا مــن شــدة التزاحــم وطــول مــدة الإنتظــار ، تذكرنــي الجلســة بالأســري اليهــود بالبيجامــات الكســتور فــي حــرب أكتوبــر المجيــد

يكتــب الاســتاذ الــدرس علــي الســبورة ،ثــم يطلــب نقلــه فــي الكراســة ومــن ينتهــي يذهــب اليــه ليعطيــه علامــة حمــراء وينصــرف .
بعد الحضور لبضع ايام تأكدت انه مجرد معتقل لبضع ساعات
قررت الفرار
هنــا استَشَــاطَ غضبهــم وقــرروا إســتبدال جــزرة المعــز بســيفه ، عندمــا تأكــدوا مــن عــدم عدولــي عــن قــراري والعــودة للحظيــرة

عصا الناظر:

كانت حصة لغة عربية عندما دخل في بدايتها ،
الاستاذ/ أحمد « ناظر المدرسة».
ممسكا بيده عصا من جريدة النخيل لها رأس كالأفعى.
وتوجه نحوي مباشرة ، حيث أجلس، في التختة الثانية من الصف الأوسط في الفصل ، وقف أمامي وقال :
قف يا شلبي واقرأ الدرس .
وقفت .
فتحرك خلفي «مدرس المادة » الاستاذ / منصور
ثم بدأت في القراءة ، ومع نطق أول كلمة واذا بعصي
« الناظر» ترن بقوة علي مقدمة رأسي .
مصلحا نطقها بالألف الممدود
فقمت بإعادة قراتها بالمد ، لا فاجأ بقلم علي رقبتي النحيلة من يد الاستاذ / منصور الغليظة ،
ويصلح نطقها بالألف المقصور.
فقمت بإعادة قراءتها بالقصر.
لأنال عصا اخري في منتصف راسي من« الناظر»
ويعيد عليا الكلمة بالمد.
وإستمر الحال علي هذا المنوال، أنطق الكلمة بالمد لأنال عصي علي الرأس، واعيدها بالقصر لتأذن بنزول الكف علي القفا.
.... حتي دق جرس الحصة

في صبيحة اليوم التالي، وقفت في مكاني المعتاد في ساحة الإذاعة المدرسية، بإنتظار إلقاء كلمتي الصباحية الروتينية.
عندما بدأت بقراءة أول كلمه هيأ لي أن هناك يد ترفع لتصفعني من الخلف فقفزت للأمام محاولا تفاديها .
أعدت التركيز ثم شرعت في القراءة ، لأتخيل عصا غليظة تهوي على رأسي من الامام لاتراجع قليلا.
تكررت التهيئات حتي إنتهيت من القاء الكلمة ، التي خرجت من فمي عباره عن تهتهات، قابلها الطلاب بالقهقهات.
لأصاب بعدها بعاهة مازالت تلازمني حتي اليوم ،
فكلما حاولت الوقوف أمام جمع من الناس أو التحدث عبر ميكروفون، تخونني الكلمات، وتتحول إلى تهتهات، وتتلاشى الأفكار والمعلومات.
لم يكتفي حضرة الناظر بهذا التشوه النفسي الذي أصابني وهذا التغير الذى غمرني، وحولني الي شخص مرتبك يخاف مواجهة المواقف الكلامية.
فقد أخذ الموضوع علي عاتقه وإعتبره قضيته ، فقام بإستدعاء ولي أمري بخطاب رسمي، ليقابله بمكتبة في جلسة حميمية ملؤها الود والتودد، محاطا بـ «حمائم السلام» .
(شركاءه الشياطين أعضاء مافيا السنتر) « هكذا ظهروا »
تزرف دموع التماسيح من أعينهم خوفا علي مستقبلي ومستقبل اخوتي « هكذا إدعوا »
بدأ الناظر حديثة قائلا:
(يا مصطفي يا خويا انت مش غريب عني وأنا عارف حملك التقيل وأولادك الكتير. أنا طلبتك انهاردة عشان أنصحك تخرج «إبراهيم» من المدرسة .

«الولد ده مش نافع في الدراسة، خليه يطلع يتعلم صنعة تفيده ويساعدك في مصاريف إخواته.
المدرسين قاعدين أهم، واسألهم.»!
قالها وهو ينحني قليلا، ينظر إلى والدي من تحت حافة نظارته، مشيرا بيده إلى المدرسين الجالسين على الكنبة ، يمين المكتب، وكأن الحكم صدر وإنتهى.
خرج والدي من مكتبه شاكراً أفضاله وحرسه علي مستقبل أطفاله، ليخبر والدتي بقراره بعد سرد أسبابه
لترد عليه في دهشة : بليد. ! بليد ازاي !!!
دا عمره ما سقط أو جاب ملحق
علي العموم إحنا نخليه يكمل السنة وإذا سقط نطلعه.
بعد أقل من اسبوعين ، إستدعي الناظر والدي مرة أخري للمدرسة ليسأله عن بقائي بالمدرسة حتي الان ؟
ليخبره والدى بفكرته ، بتركي لإكمال العام والنتيجة ستحدد الإختيار، بين إكمال التعليم في المدرسة أو في الصنعة
ليرد علية الناظر بتحدى :
وجهي أهه ، إبقي تعالي تف عليه لو نجح.
تبدلت الايام مرة اخري لأعود لحالة الإكتئاب .
ففي البيت لا أستطيع ممارسة هوايتي في النور، وفي المدرسة كنت أنال قسط يومي من الضرب والتنكيل
لم أستطيع إخبار والدي بما يحدث معي من حفلات التعذيب اليومية، لأنهم كانوا سيقنعونه أن هذا الضرب لتقويمي فانا الطالب البليد ، الأمر الذي كان سيعجل من إخراجي من المدرسة دون إنتظار إمتحان نهاية العام
فقررت تحمله علي أن اعود الي هذا المعتقل أو ترك المدرسة.

عشرين من عشرين:

مرت الأيام ثقيلة حتى جاء اليوم الذي ظهرت فيه النتيجة.
دخل والدي المنزل بعد عودته من العمل، لتقابله والدتي بزغرودة طويلة، تتبعها بفرحة غامرة:
«مبروك! إبراهيم نجح... وجاب مجموع كبير!»
فوجئت بردة فعله.
وبدون أي تعليق، أدار ظهره وهم بالخروج من المنزل.
سألته والدتي بدهشة: «رايح فين؟»
أجاب وهو يضع يده على المقبض:
«رايح للناظر... عشان أتف في وشه!»
أمسكته لتمنعه من الخروج، وبعد محايلات... وتوسلات... ودموع... تراجع عن قراره وشاركنا الاحتفال.
فقد كان والدي، رحمه الله، قادرا على أن يفعلها، فكان قوي البنية، شديد الجرأة، لا ينسى الإهانة بسهولة.

وما إن هدأت عاصفة المشاعر، حتى بدأت موجة جديدة من الفرح تقترب من بيتنا.
كانت الشمس تميل نحو المغيب، تنثر أشعتها بلون العسل فوق جدران الحي، حين بدأ الأهل والجيران يتقاطرون إلى بيتنا، يحملون التهاني المليئة بالفخر، وبعض الهمسات التي لا تخلو من الغيرة

... وفي الزاوية، كان والدي يوزع الشربات على الضيوف، وفي عينيه بريق صامت لم أره من قبل، كأنه يقول:

«ابني... مش بس نجح، ده غير الحكاية كلها.»
كنت أقف إلى جواره، أنظر إلى الوجوه التي تتقافز أمامي، نصفها يبتسم بصدق، والنصف الآخر يبتسم بحذر.
بينهم، جاء الأستاذ محمد، جارنا، الذي لطالما كان يحمل لتفوق ابنته قداسة خاصة، فجاء صوته متحشرجا، يتأرجح بين المزاح والحسرة:
(عارف يا مصطفى... اللي خلا إبراهيم يطلع الأول على أولاد الحي؟ الرسم! لو شلنا منه نمرة الرسم « عشرين من عشرين» كانت بنتي هتبقى الأولى، وإبراهيم يبقى في الآخر.)
مرت كلماته بجوار أذني كنسمة ساخنة، لا تؤذي لكنها تلسع.
لم أكن أتنافس معهم حقًا؛ كنت أتنافس مع شيء آخر، مع حلمي الخاص، مع لون لم يجده غيري، مع خط كنت أبحث فيه عن نفسي.
لم يرد والدي، فقط ظل صامتا، كأن الكلمات غرست بذوره وانتظرت لحظة الغليان.
وحين مضى الضيوف، وسكنت الضحكات، وجلسنا في هدأة البيت، التفت إلى أمي وقال، :
«سمعتي يام عبده الأستاذ محمد؟
بيقول إن الرسم هو اللي خلى ابنك يطلع الأول!»
هز رأسه بدهشة صادقة، ثم أكمل:
«الله... يعني الرسم مفيد! وإحنا كنا مانعينه يرسم ليه؟»
ثم ناداني، بصوت مختلف، يحمل شيئا من الفخر وشيئا من الاعتذار:
«يا إبراهيم... من النهاردة، ارسم براحتك. مفيش حد هيعاقبك.»

مدرسة
قلين الاعدادية بنين

كان الحلم يرسم نفسه بقلم مكسور وأمل لا ينكسر

أبلد واحد في الفصل

كنــت أبلــد واحــد فــي الفصــل ....ولان الطيــور علــي أشــكالها تقــع..... تقاســمت التختــه مــع تانــي أبلــد واحــد فــي الفصــل .
...،وأصبحنــا أبلــد إتنيــن فــي الفصــل ...... وللمصادفــة.... كان يجلــس خلفنــا
«أحمد وخالد »
اشطر اتنين في الفصل ،
كلمــا ســأل المــدرس ســؤال..... إنجضعنــا بأكتافنــا للخلــف.....
وأدرنــا رقابنــا بخفــة إلــي جيراننــا « أحمــد وخالــد»....
أشطر إتنين في الفصل.....
وسألنا عن الإجابه؟
ولأن الأواني الفارغة تحدث صوتا أعلي .
كنا نرفع إيدينا ... ونصيح ...أنا ، ااااأنا يا استاذ .
وأصبحــت تختــة أبلــد أتنيــن فــي الفصــل..... هــي الأكثــر تفاعــل ويخــرج منهــا الإجابــات الصــح..... بفضــل..... جيرانهــم
أشطر أتنين في الفصل .

شـعر جيراننـا « أحمـد وخالـد» أشـطر أتنيـن فـي الفصـل بالغيـرة.... و قـرروا عـدم تلقيننـا الإجابـات مـرة تانيـة.
وفي هذه المرة.... باغتني الاستاذ بالسؤال ...
فإرتجلت إجابة، .....وبالمصادفة طلعت صح .
فإندهش زميلي....... تاني أبلد واحد في الفصل ، ....
وقـال : أول مـرة تجـاوب صـح بـدون تلقيـن جيراننـا أشـطر إتنيـن فـي الفصـل ،..... أظنـهـا مـرة و لـن تـعـود.
فقلت له: بل ستعود .... ولن تتركني بعد اليوم .
و من الغد .... ، أنا اشطر واحد في الفصل.
.... وفي الغد....
إنبهـر كل مـن فـي الفصـل... وطلـب منـي الاسـتاذ... القيام وشـرح الـدرس ...لمـا رأنـي أسبقه بالمعلومـة وهـو بيشـرح فـي الدرس
فسألني زميلي .. . تاني أبلد واحد في الفصل ....
إزاي ده حصل !! و إمبارح كنت أبلد واحد في الفصل ؟،
فأجبته: ببساطة ... فتحت الكتاب ،... قرأت الدرس.

وإنتقلت للصف الثالث الإعدادي بلقبي الجديد
أشطر واحد في الفصل ،

(فـي المرحلـة الثانويـة جمعـت الـوزارة الطلبـة المتفوقيـن علـي مسـتوي الإدارة فـي الشـهادة الإعداديـة فـي فصـل واحـد تجريبـي بإسـم « فصـل المتفوقيـن» وكان هـذا الفصـل هـو بدايـة مـدارس المتفوقيـن و مـدارس STEM فيمـا بعـد)
وبفضل الله ... كنت أحد طلاب هذا الفصل .
الذي خلا من وجود « أحمد و خالد» اللى كانوا
أشطر إتنين في الفصل

من منشورات الفيس بوك
في...... 7 مارس 2023

2 الإنتصــــار والخذلان..............

وسط فرحة النجاح، وفرحة الخروج من أسوار «مدرسة المأمون» المشؤمة، وفرحة العودة إلى كراسة الرسم دون عيون تراقب أو يد تمنع، انتقلت إلى الصف الأول الإعدادي بمدرسة « قلين الإعدادية بنين»،

وهناك، التقيت الأستاذ «مسعد رياض» معلم الرسم الذي كان يعلم، و يكتشف، ويمنح الموهبة إذنا بالصوت.

احتواني كما يحتوى البرعم في لحظة الميلاد، نظر إلى رسومي بعين فاحصة، بعين تبصر النبتة في تربتها، وتعرف كيف يروى الفن ليكبر.

كنت أحمل في قلبي رغبة، رجاء، أن أحصل على أي تقدير أبرهن به لوالدي أن قراره بالسماح لي بالرسم لم يكن عبثا، أن أثبت له أنه كان صائبا حين اتخذه.

وجاءت الفرصة سريعاً.

أعلنت المدرسة عن مسابقة أدبية وثقافية وفنية، واندفعت إليها بكل طاقتي، أرسم، وأحلم. وحين ظهرت النتائج، نقش اسمي في قائمة الفائزين:

المركز الأول فني.

في صباح يوم توزيع الجوائز، كان الهواء مشبعا برائحة الترقب. اصطففنا جميعا في طابور المدرسة، والسماء تبدو أوسع مما اعتدناها، وقلبي يخفق بخطى أسرع من الزمن نفسه.

كنت أترقب لحظة سماع اسمي، أتخيل نفسي أقف أمام الجميع، ممسكا بجائزة حلمت بها طويلا علبة ألوان جواش فاخرة.

وكانت المفاجأة ان نادوا اسمي. كفائز بالمركز الأول في المسابقة الثقافية، أما زميلي إيهاب، الذي فاز أصلاً بالمركز الأول ثقافي، فقد انتقل اسمه إلى مكاني، في المسابقة الفنية.
وقفت مذهولا، أرمش كأنني أطرد سرابا أمام عيني.
كانت الجائزة الثقافية كتيبا صغيرا، بينما الجائزة الفنية علبة ألوان فاخرة طالما حلمت بأن تملأ يدي وعالمي.
لم أكن بحاجة إلى تفسير.
كان واضحا كالشمس أن الأمر لم يكن خطأ بريئا، كان تلاعبا متعمدا، للقيمة المالية الاعلى لعلبة الالوان .
تقدمت بخطى مترددة ، وقفت في المنصة، وقلت للأستاذ بصوت خافت يملؤه الأمل:
« يا أستاذ، هناك خطأ... أنا اللى فزت في المسابقة الفنية.»
نظر إليّ بإبتسامة ساخرة وقال: «أنت فزت في الثقافية.
هتاخد الجائزة ولا هتنضرب وسط الطابور؟»
تجمدت الكلمات في حلقي، وإنسحبت ببطء وأنا أحمل الكتيب بين يدي، كأنه حجر ثقيل يثقل قدمي و قلبي.

عدت إلى الفصل مثقلا بالحزن، ليس فقط على ضياع علبة الألوان التي حلمت بها طويلا، لكن على الفرصة التي كنت أريد من خلالها إقناع والدي بسلامة قراره بالسماح لي بالرسم وكان أكثر ما يثير غضبي أن هذا الطالب نجل لطبيب ثرى وعلبة الألوان لأ تمثل شئ في الوجود بالنسبة له.
ففي كل حصة رسم كان يأتي بعلبة ألوان مختلفة تدهشنا جميعا ، لم نرى مثلها من قبل.

وفـي وسـط حزنـي ودموعـي تذكـرت ضيـاع فرصتـي الاولـي لإمتـلاك علبـة الـوان تكـون لـي وحـدي .
فقد كان لدينا علبة الوان شمع واحدة مشتركة مع اخوتي السته

كنت قد إدخرت مصروف عام كامل وذهبت لشراء علبة الوان فلوماستر . وبعد أن رجعت الي المنزل بفرحة غامرة فتحت علبة الالوان لأجدها يابسة كأعواد خشبية.
وقفت لحظتها لا أعرف:
أأصرخ، أم أبكي، أم أضحك من قسوة المفارقة؟
عدت إلى المكتبة، تسبقني لهفتي، تحملني آمال طفل لا يعرف من الدنيا إلا صدق رغبته.
كان صاحب المكتبة جاثما خلف طاولته الخشبية، بجسده الضخم، وبشرته الداكنة، وشفتيه الغليظتين، ينظر إلي بعينين جامدتين لا تباليان.
اقتربت منه، مددت له علبة الألوان التالفة وأخبرته بالأمر، طلبت استبدالها ، ظننت أن العالم سيتفهم حزن طفل صغير.
لكنه رفض ببرود.
توسلت إليه، وبكيت، والدموع تهطل ساخنة فوق وجنتي، ترتجف أناملي على أطراف العلبة كأنني أتمسك ببقايا حلم.
لكنه ما رق ولا لان.
نهرني بصوت أجش، ثم بغتة، أمسك بالعلبة ورماها بكل احتقار خارج باب المكتبة، ودفعني بيده الخشنة قائلاً:
"روح عيط بعيد عني."
تعثرت في خطوي وأنا أبتعد. كنت أجر قدمي جرا، كأن الأرض قد شدتني إليها، ثقيلة الخطوات، حزينة الخطى.

كـم اختلـف هـذا الطريـق عـن طريقـي الأول حيـن غـادرت نفـس المـكان! كنـت أرفـرف فرحـا، لا أشـعر بقدمـي تمسـان التـراب، أما الآن، فقد كنت كتلة من الخيبة تسير.

حين وصلـت إلـى البيت، وجـدت أبـي. قصصـت عليـه مـا حـدث، ظنـا أننـي سـأجد عـزاء أو تعاطفـا، لكنـه صـرخ بـي هـو الآخـر:

"أنت بتاخد مصروفك وتشتري بيه ألوان؟!

أنت ناسي إنك ممنوع ترسم أصلاً؟!"

ذهبنا معا إلى المكتبة.

لـم يتبـادل والـدي مـع البائـع كلمـة واحـدة؛ فقـط أمسـك بعلبـة الألـوان وقذفهـا فـي وجهـه بقوة،

وقال بصوته الجهوري، الذي رج أركان المنطقة:

"أنت بتضحك على عيل صغير! هات الفلوس."

تراجـع الرجـل مذعـورا، كأن ضخامتـه تلاشـت أمـام قـوة الغضـب الصـادح، وأعطـى والـدي المبلـغ كامـلا دون مقاومـة.

أخـذ والـدي النقـود، وإحتفـظ بهـا لنفسـه، كعقـاب إضافـي لا أملـك لـه دفعـا. ومنـذ تلـك اللحظـة، حرمـت مـن الألـوان، ومـن المصـروف، ومـن الأحـلام الصغيـرة التـي كانـت تراودنـي كلمـا أحكمـت أصابعي قبضتهـا علـى عملـة فضيـة.

وعندمـا عـدت مـن المدرسـة، سـألتني أمـي بفضـول عـن "الجائـزة" التـي حصلـت عليهـا.

أخرجـت لهـا الكتـاب الصغيـر، علـه يكـون بلسـماً، فابتسـمت بسـخرية موجعـة وقالـت:

"هي دي الجائزة؟... ياما جاب الغراب لأمه."

تركتها،مشـيت بعيـداً و مزقـت ألكتـاب، ثـم ألقيـت بأشـلائه فـي الشـارع.

وإنتقلت الي الصف الثاني الإعدادي ، وفي حصة حضرها الاستاذ «عامر» مدرس التاريخ، بالإنابة لتغيب مدرس الفصل سأل : فين ابراهيم شلبي ؟
وقفت .
وجه لي عدة أسئلة في المنهج ، ولم أستطيع الإجابة علي أي منها فقال:-
«أمال المدرسين بيتعاركوا عليك ليه؟ إتنيل اقعد!»
إستغربت جدا لكلمته وبحثت طويلا عن مقصده.
فعرفت إنه دارت معركة في أول العام بين مدرسين الرسم بالمدرسة الاستاذ (مسعد ، خيري ، بشرى) علي من يأخذ فصلي للتدريس له
وإنتهت المعركة علي أن كل مدرس يأخذ الفصل سنة وبما ان الاستاذ / مسعد درس لي في العام الماضي يبقي الاستاذ / خيري هذا العام والاستاذ/ بشرى العام القادم
كما احتضنني الأستاذ مسعد برعايته في العام الماضي، وجدت هذا العام رعاية مضاعفة من الأستاذ / خيري، ذلك الفنان الكبير الذي كان بحرا زاخرا من المعرفة والفن.
تعلمت منه الكثير، ولم يبخل علي يوما،كان يغدق علي بسخاء من علمه وعطائه، حتى غدت حصص الرسم يوم الأحد موعدا لا يخلو من التقدير والتكريم. كنت أحظى فيها بجائزة رمزية، لكنها ذات معنى عميق ، قلمين من الرصاص HB، وكأنهما وسام يثبت خطواتي على درب الإبداع.
ومع مرور الأيام، أصبحت تلك الجائزة عادة مترسخة، حتى صار إخوتي يترقبونني كل أحد بلهفة، يسألونني عند عودتي: «أين القلمين؟»

في أحد الأيام، جاءني أحد زملائي إلى الفصل، وهمس لي: «الأستاذ مسعد عايزك... مستنيك في غرفة الرسم بعد اليوم الدراسي.»
عند انتهاء الدوام، توجهت إلى غرفة الرسم، وهناك وجدته منتظرا، بإبتسامة خفيفة ونظرة يملؤها الإهتمام. لم يطل الحديث، طلب مني مرافقته إلى منزله القريب من المدرسة.
سرنا معا بين الأزقة، دخلنا بيته الهادئ، الذي فاحت منه رائحة الخشب والالوان. طلب مني أن أجلس على كرسي خشبي قبالة مائدة السفرة الموضوعة في المدخل.
اختفى للحظات داخل إحدى الغرف، وتركني أجلس هناك، بين القلق والفضول.
ثم عاد، حاملاً بيديه علبة ألوان أنيقة، ومجموعة فرش جديدة، وأربع لوحات "كانسون" بيضاء بقياس 50×35 سم. وضع كل شيء أمامي على الطاولة، و قال لي بصوت يفيض بالحماس: هناك مسابقة رسم تنظمها المديرية، وأريدك أن تشارك فيها.
تكلم معي عن المسابقة وأهميتها وتحدث عن بعض الافكار، وما يمكن أن أرسمه. ثم مد يده باللوحات إليّ مضيفا
"خد دول معاك البيت... قدامك أسبوعين.
ارسم براحتك لوحة أو اتنين... أهم حاجة تكون من قلبك."
خرجت من عنده وأنا أطير فوق الأرض، كأن خطواتي قد فقدت وزنها، وكأن قلبي امتلأ بأجنحة لا ترى.
حين وصلت البيت، لم أعبأ بشيء، رميت حقيبتي في أحد الأركان، وكأنها لم تعد تعنيني، ثم سحبت الطبلية الخشبية العتيقة إلى وسط الغرفة، وافترشت الحصيرة المهترئة التي طالما شهدت لعبنا وأحلامنا الصغيرة.

كانت الشمس تميل نحو المغيب، والألوان أمامي تلمع تحت ضوء النهار الأخير. لم أستطع الانتظار. أمسكت بالفرشاة كما يمسك العطشان بكأس الماء، وبدأت أرسم... الأفكار تتدفق كالنهر، الألوان تتراقص فوق الورق دون خوف أو تردد.
رسمت اللوحة الأولى وكأنني أنفخ فيها روحي، ثم انتقلت إلى الثانية والثالثة والرابعة، دون أن أشعر بثقل الوقت، أو جوع الجسد، أو حتى نعاس العيون.
لو كان قد أعطاني مائة لوحة بدل الأربع، لانتهيت منها قبل أن يحل الليل، وقبل أن يغفو العالم من حولي.

وعندما أشرقت الشمس في اليوم التالي، كنت أول من وقف أمام باب غرفة الرسم، أحمل لوحاتي الأربع بكل فخر، كأنني أحمل كنوز الدنيا في ذراعي.
استقبلني الأستاذ/ مسعد بنفس ابتسامته الهادئة.
أخذ اللوحات واحدة تلو الأخرى، ينقل بصره بين تفاصيلها بتمعن، بعين الخبير الذي يرى أكثر مما يقال.
ثم ابتسم، تلك الابتسامة التي حملت بين ضلوعها ألف كلمة تشجيع، وقال بصوت يفيض بالرضا:"برافو عليك!"
لم يقل أكثر من ذلك، لكن كلماته القليلة كان لها وقع الجائزة الكبرى في قلبي.
كتب اسمي بخط واضح على ظهر كل لوحة، بحروف أحسست كأنها تنقش في قلبي أيضا، ثم جمعها بعناية، وأرسلها إلى المديرية للمشاركة في المسابقة.
في تلك اللحظة، شعرت أنني كنت أرسم طريقي...
إلى عالم أكبر، وأحلم بحلم لم يعد مستحيلا

بعدهـا بيوميـن إسـتوقفني الأسـتاذ/ خيـري فـي طرقـة المدرسـة، نظـر إلـيّ بعيـن يملؤهـا الغضـب وسـألني:
أنت رسمت لوحات للأستاذ مسعد؟
أجبته ببساطة: نعم، يا أستاذ.
لم أكن أستوعب ما يحدث، حتى فوجئت بصفعة قوية تهوي على وجهي! شعرت بلسعة الألم، في خدي، و في أعماقي.
نظرت إليه بذهول، فيما هو يصرخ بغضب:
- يا حيوان! أبقى أنا أستاذك وترسم لغيري؟!
تجمدت في مكاني، لم أدر بماذا أرد، ولماذا كل هذا الغضب؟
كنت أتصرف ببراءة، لم أكن أعلم أن في الأمر مشكلة، لم أفهم القواعد غير المعلنة التي تحكم العلاقات بين المعلمين.
شـعرت بغصـة فـي حلقـي، وشـيء ثقيـل يجثـم علـى صـدري، وكأن الفـرح الـذي كنـت أعيشـه منـذ يوميـن قـد تحطـم فجـأة تحـت وقـع تلـك الصفعـة المهينـة.
- روح فصلك ومتعملهاش تاني، بعد كدة لازم ترجعي لي أولا
مشـيت مـن أمامـه محـاولاً تمالـك نفسـي، لكـن السـؤال ظـل يتـردد فـي رأسـي: «هـل أخطـأت حقـا؟
أم أن هناك أشياء في هذا العالم لا تحكم بالمنطق؟»

وبعـد إسـبوع تقريبـا مـن الواقعـة بينمـا كنـت جالـس بالفصـل وجـدت ثـلاث اشـخاص ورابعهـم الاسـتاذ /مسـعد علـي بابـه.
إسـتأذن أحدهـم مـن المـدرس الموجـود وقـال أيـن ابراهيـم شـلبي ؟
وبحـس فطـرى إستشـعرت أن الموضـوع يخـص المسـابقة
وقبل أن يوجه لي أي سؤال إندفعت قائلا:
والله العظيـم انـا اللـي راسـم الرسـومات ولـو مـش مصدقيـن اطلـع أرسـمهم الأن علـي السـبورة

فإنسحبوا جميعا من أمام باب الفصل بدون أي تعليق.
بعد إنتهاء الحصة ذهبت للاستاذ مسعد وسألته ما الأمر ؟
ـ فقـال: وصلتهـم شـكوي إن أنـا اللـي عامـل رسـومات المسـابقة وكاتـب إسـمك عليهـم ، وجايـين يحققـوا فـي الموضـوع ، بـس متخفـش انـا مـش هسـكت هتخـش غضـب عنهـم وهتاخـد جايـزة كمـان.
(أعتقد ان التحقيق الذي لم يتم ، كان بشكوي من الاستاذ خيري)

مـرت الايـام ونسيت الصفعـة كمـا نسيت المسـابقة التـي كنـت أعلـق عليهـا آمـالا كبيـرة، لكـن شيئا واحـدا ظـل محفـورا فـي ذاكرتـي... كلمـات الأسـتاذ عامـر، مـدرس التاريـخ، التـي ألقاهـا بسـخرية ممزوجـةٍ بالدهشـة:
« إتنيل اقعد »
هما، المدرسين بيتعاركوا عليك على إيه؟!
بعـد أن زالـت عنـي المراقبـة والسـماح لـي بالرسـم فـي اي وقـت وحصولـي علـي الجوائـز الإسـبوعية مـن الاسـتاذ / خيـري والتشجيع الدائم من الاستاذ / مسعد
إنغمسـت كليـا فـي الرسم وأهملـت كل دروسـى فـى المـواد العلميـة . ضـعـف مستوايا كثيـرا، إلـي أن أيقظنـي من غفلتـي زميلـي بالتختـة ،عندمـا باغتنـى المعلـم بسؤالا، وللمـرة الأولـى، أجبـت مـن تلقـاء نفسـي، دون إسـتعانة بأحـد.
التفت إلـيّ زميلـي فـى التختـة ، ونظـر إلـيّ بدهشـة حقيقيـة، ثـم قـال ساخرا:
«مرة من نفسك؟ دي مش هتحصل تاني!»

ضحك من حولي... ولكني لم أضحك. كانت كلماته صفعة أقوى من تلك التي تلقيتها من الأستاذ خيري.
شعرت بالخجل، من نفسي. كيف إنحدر مستواي إلى هذا الحد؟ كيف سمحت لشغفي بالرسم أن يسلبني تفوقي؟
رددت عليه :لا لن تكون اخر مرة وأقسمت له عهدا لا رجعة فيه لن تكون اخر مرة. عقدت العزم أن أعود... أن أعود أقوى مما كنت، أن أرمم ما هدمه الإهمال والشغف الأعمى.
فى تلك الليلة، لم أنم. ظلت ضحكات الزملاء ترن في أذني، ثقيلة كصفعة، ساخرة كجرس إنذار جاء متأخرا.
وفي عمق العتمة، وبين خفقات قلب مرتبكة، انبثق صوت داخلي، هش في البداية، ثم راح يشتد:«سأعود. وسأثبت أنني أستحق أن أكون..» كانت لحظة تصالح مع الذات، وولادة عزم عنيد.
أقسمت بصوت لم يسمعه أحد، لكنه ارتج في أعماقي:
لن يهزم الحلم، وإن تهشم قلمه مرارا.
ومنذ ذلك اليوم، بدأت رحلة العودة.
أعدت ترتيب أولوياتي كمن يرتب أنقاض بيت بعد زلزال، أمسكت بدروسي وكتبي كأنني أتشبث بحبل نجاة.
كان الأمر صعبا، ثقيلا كحمل جبل، لكنني كنت أعرف شيئا واحدا يقينا: لن أسمح لنفسي بالسقوط مرة أخرى.
تحسن مستواي العلمي سريعا، حتى تفوقت من جديد، وحافظت على تفوقي بثبات وإصرار، حتى حصلت على الشهادة الاعدادية بمجموع كبير أهلني على دخول مدرسة الثانوية العامة، فى فصل المتفوقين، ذلك الفصل التى تم إستحداثه لاول مرة فى مصر كفصل تجريبى جمع فيه كل الطلاب المتفوقين على مستوى الادارة التعليمية .

كان هـذا الفصـل نـواة لمـا عـرف لاحقـا بمـدارس "STEM"، المعروفـة الان، حصلـت علـى الثانويـة العامـة، القسـم العلمـي، شـعبة علـوم، بمجمـوع 72%، وهـو رقـم لـم يكـن قليـلا وقتهـا. اجتـزت بنجـاح اختبـارات القـدرات المؤهلـة لكليـة الفنـون، وكان يختبـر فـى المـدارس مـع الامتحانـات العاديـة

فرحـت أسـرتي بنجاحـي، ولأول مـرة اشـعر بأنهـم يقتربـون منـي بشـيء مـن الـود، بشـيء يشـبه الاحتـرام.
طـوال السـنوات الماضيـة، كنـت أشـعر كأننـي أعيـش بينهـم غريبا، لا يصغـى إلـيّ إلا لتوبيخـى، لا ارى إلا كحمـل إضافـي علـى أكتافهـم المتعبـة. الفقـر لـم يجعلنـا فقـط نشـد الأحزمـة، شـد أيضـا قلوبنـا علـى بعضهـا، حتـى أوشـكت أن تنغلـق.
فـي عيـون إخوتـي، كان الرسـم جريمـة تسـتحق الوشـاية رغـم لجوئهـم الدائـم لـى لارسـم لهـم موضوعاتهـم الفنيـة او لوحاتهـم التعليمـة التـى تعلـق فـى الفصـل كنشـاط ، كانـوا لا يتـرددون فـي نقـل كل مـا يرونـه إلـى أبـي، كأنمـا يسـارعون إلـى تقديـم دليـل إدانـة.
لـم يكـن فـي الأمـر قسـوة متعمـدة، قـد تكـون نزعـة نجـاة، رغبـة فـي أن ينجـو أحدهـم ولـو علـى حسـاب الآخـر، كمـا لـو كنـا نسـبح فـي مركـب مثقـوب.
تغيـر كل شـئ بعـد نجاحـى بتفـوق ، فـي نبـرة أصواتهـم... نظراتهـم... حتـى فـي صمتهـم.
بـدا كأن المسـافة التـي ظلـت تفصلنـي عنهـم طـوال العمـر، قـد تقلصـت.

يارب اللفت يخــلص

في عالم تحكمه الضرورات، تتوارى
الأحلام خلف صمت الحيل

يارب اللفت يخلص

كان طعامنا الدائم هو الخبز مع اللفت أو الكبر
« والكبر هو نبات يشبه اللفت تماما لكنه بدون
رأس كان ينبت بين شجيرات الزرع بالحقول»
كنا نذهب كل فترة لجمع بعضه ويتم نقعه
بالماء والملح فيخلل
كنت متخيل أن إختفاء اللفت من الحقول سيرغم
امي إلي البحث عن غموس بديل.

الأن فهمت :

فهمت كيف يبدأ إنسان حياته وفي رقبته زوجه وطفلين،
يسكن في غرفة بشقة مشتركة، ثم بجهده وعمله يستطيع
ان يشتري البيت ويصبح ملك خالص له.
الأن فهمت :
كيف رعى هذا الشخص سبع من الأطفال حتى
تخرجوا من المدارس والمعاهد والجامعات المختلفة
الأن فهمت :
كيف إشتري قطعة أرض في مكان أرقي وبنا عليها
بيت جميل في وسط حديقة غناء من صنع يديه
كانت مزهرة طوال العام بأصناف الخضار والفاكهة
ما زلت أتذكر تكعيبة العنب المطلة علي مدخل البيت
وقد أهدي من عنبها كل بيوت الحي.
وقد حشوا جميعا من أوراقها
مازلت أري جزع شجرة الجوافة المتبقية حتي اليوم بعد
إستبدالنا الحديقة الغناء بغابة مسلحة من الأسمنت بعد
تفتيتنا للأرض بيننا بالتقسيم
الان فهمت : بعد أن إقتربت علي الرحيل ولم أترك
لأولادي غير شقة بنيتها من نصيبي من حديقة أبي

(رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)

3 بين رقاع الطفولة وخرائط الحلم الضائع

كنت الطفل الخامس لأسرة بسيطة ترعى سبع اطفال في مراحل التعليم المختلفة (اكل و شرب .
شرب؟
نعم شرب !!
«شرب كوب شاي لتسع أفراد ثلاث مرات في اليوم
فقد كان هذا الكوب البسيط يمثل عبء لتوفير كيس السكر وباكو الشاي » ،
ثم لبس ، دواء ، كهرباء ، ماء . .... الخ)

لم يكن هناك بنود توفر منها الاسرة نقود لاستكمال ما نقص في البيت الجديد غير « الاكل واللبس»

فكان لبسنا عبارة عن بيجامة كستور تفصل للطفل كل عيد فطر وإذا مزقت خلال العام يتم ترقيعها حتي يأتي العيد التالي ليضاف لها بيجامة جديدة

مـع الوقـت أصبحـت إحـرج مـن تلـك الرقـاع التـي أحيانـا مـا كانـت تغلـب الثـوب الاصلـي وتخفيـه خلفهـا .
فقـد كانـت تلـك الرقـاع تسـتر الجسـد ولكنهـا كانـت تظهـر العـوز
وهو ما جعلتي أبحث عن حل لها .
فـي إحـدي المـرات اثنـاء تجولـى بيـن الأسـواق لاحظـت توفـر أقمشـة مـن الاليـاف بالـوان عديـدة تبـاع بأسـعار زهيـدة ، فكـرت أن أشـتري منهـا وأفصـل ملابـس للبيـت بـدلا مـن البيجامـات المرقعـة
ولكنـي وجـدت أن هنـاك مشـكلة فـي أجـرة التـرزي وخصوصـا وأن التـرزي لا يأخـذ أجـره علـي حسـب نـوع القمـاش ، فأجـره ثابـت سـواء كان القمـاش صوفـا أو اليافـا
قررت تعلم الحياكة والتفصيل لنفسي
ولكـن كيـف السـبيل لذلـك وإيـن ذلـك التـرزي الـذي سـيوافق بتعليمـي مجانا ؟
واذا وجدتـه فكـم يسـتغرق ذلـك مـن الوقـت فالسـرعة مطلوبـة لتغطيـة تلـك الرقـاع التـي كانـت تتكاثـر بسـرعة و كأنها تلد و تفقص في أن واحد
حلـت المشـكلة عندمـا رأيـت موديـل عبايـة يرتديهـا أحـد الممثليـن فـي التلفزيـون ، إشـتريت متريـن قمـاش طبقتهـم مـن المنتصـف ، وفتحـت دائـرة يدخـل منهـا الـراس ، ثـم خياطـة الجانبيـن مـع تـرك فتحـة لـلازرع
نجحـت الفكـرة بإمتيـاز. ولأول مـرة أصبحـت أمتلـك أكثـر مـن ثـوب فـي نفـس الوقـت ، يخلـوا جميعـا مـن الرقـع

ثـم قـررت تفصيـل بنطلـون بعـد أن أتتنـي الفكـرة بفـك بنطلـون لـدي قديـم لـم يصلـح للبـس مـرة اخـري ، فكيـت أجـزاءه بسـن إبـرة
ثـم طبعـت الاجـزاء علـي القمـاش الجديـد بالطبشـور وقمـت بتجميعـه ، لأحصـل علـي بنطلـون جميـل.

إستحسـنت «سـناء» اختـي التـي تكبرنـي بإربـع سـنوات والطالبـة بالصـف الاول بكليـة الآداب، الفكـرة ، فجربتهـا علـي جيبـة لديهـا لتحصـل هـي الأخـرى علـي جيـب جديـد كنـا نخيـط الملابـس يدويـا قبـل أن نقنـع والدينـا بشـراء مكنـة خياطـة تغنينـا عن مشـوار الخيـاط وقـد تصبـح مشـروع جديد إقتنع الوالد واشترينا ماكينة خياطة سينجر.

شـغفت ''سـناء'' بحياكـة الملابـس فالتحقـت بمـدارس فيـرا للخياطـة وحصلـت علـي دورة فـي حياكـة الملابـس النسـائية ، لتحترفهـا بعـد ذلـك كعمـل إضافـي مـع عملهـا الأساسـي كمدرسـة لمـادة التاريـخ قبـل أن تسـتقر كأمينـة مكتبـة فـي مدرسـة قليـن الثانويـة بنيـن

علـى الجانـب الآخـر ، كان أخـي عبـد النبـي، الـذي يكبرنـي بسـت سـنوات، قـد أكمـل تعليمـه فـي المدرسـة الثانويـة الصناعيـة، حيـث تخصـص فـي قسـم الخراطـة.

وبعد أن أدى خدمته العسكرية، سافر إلى العراق، حيث كانت أبوابها مفتوحة للعرب دون قيد أو شرط، وكانت آنذاك وجهةً واعدة لكل من يطمح إلى تحسين حياته.

في العراق، وجد عبد النبي فرصة عمل مواتية، سرعان ما استقر فيها، وبدأت تحويلاته المالية تصل إلينا بالدولارات، مما جعل والدي يقرر أن يبني له بيتا خاصا على جزء من حديقة منزلنا.
وقبل ان ينتهي من تشطيب البيت عاد «عبد النبى» الى مصر بعد ان اتاه خطاب القوى العاملة بتعينة كمدرس في « مدرسة كفر الشيخ الثانويه الصناعية».

أراد « عبد النبى» تشطيب منزله سريعا ليقيم فيه.
بدأ بالبحث عن سباك لإنجاز ألاعمال الصحية، لكنه اصطدم بواقع لم يكن يتوقعه.
كانت البلاد تمر بفترة ازدهارعمراني غير مسبوق، بفضل تحويلات المصريين من الخارج، مما جعل العمالة الماهرة نادرة واجرتها مغالية.
أبلغنا السباك بأن علينا الإنتظار خمسة أشهر حتى يحين دورنا،
لم يكن الاجر المرتفع الذى طلبه السباك مشكلة، فالفلوس اصبحت حاضرة ، لكن الانتظار لخمسة أشهر اصبحت هى المعضلة .

حينها، خطرت لي فكرة جريئة. قلت له بحماس:
«ما رأيك لو إشترينا الأدوات اللازمة وقمنا بالأمر بنفسنا؟»
كان رده استنكارا خالصا، إذ بدا له الأمر ضربا من الجنون.
«كيف لنا أن ننجح في عمل لم نمارسه يوما؟ »
لكنني كنت قد شاهدت السباكين يوما يعملون في بيت جارنا وكنت اتبعهم جيدا وهم يعملون ، كنت اقضى معهم اليوم كلة ، استرجعت كل هذا فى ذاكرتى ودرست الأمر جيدا، وأصريت على المحاولة.
لم أترك له مجالا للرفض، وأقنعته بالسفر معي إلى طنطا لإستكشاف أسعار الأدوات اللازمة.

هناك، وجدنا أن كلفة شراء العدة أقل بكثير من الأجر الذي طلبه السباك كمصنعية فقط!
لم يفكر «عبد النبي » طويلا، فإشترينا الأدوات ولم نكن نعرف حتى أسمائها
إشترينا الخامات اللازمة ، وقمت برسم الشبكة على الحائط ،هنا حنفية حوض الوجه وهنا صرفه ،هنا حنفية حوض المطبخ وهنا صرفة ، هنا مكان الدش ، وهنا التواليت ، وهنا مكان الشطاف ، وهنا المحبس العمومى .
بدءنا بالتنفيذ خطوة خطوة بحرص شديد ، كنا نكتشف اثناء العمل إننا لم نشترى جميع الاداوات اللازمه فكنا نسافر ثانية لإستكمالها
كان شعور الإنجاز ساحر، لكن الأكثر دهشة كان رد فعل الجيران، الذين إنتشر الخبر بينهم بسرعة.

فجأة، وجدنا أنفسنا نتلقى طلبات من هنا وهناك، وأصبحنا في غضون أشهر معدودات نمارس المهنة كسباكين محترفين، نكسب دخلا جيدا .

لكنني، مع مرور الوقت، بدأت أشعر بالإنهاك. كانت المهنة مرهقة، تستنزف اليوم بأكمله، خاصة مع صعوبة العمل قبل ظهور المعدات الحديثة حيث كنا نحفر الجدران يدويا بالازاميل، ونستخدم المواسير الحديدية لشبكة المياة . والمواسير الزهر لشبكة الصرف، ونقوم بلحامها بالرصاص.
فلم يكن ذلك متوافقا مع طموحي، فقد كنت في بداية دراستي الجامعية، وأدركت أن هذا المجال لن يكون مستقبلي.
وهكذا، إنسحبت بهدوء، فيما إستمر «عبد النبي» في العمل، حتى أصبحت السباكة مصدر رزق إضافيا له إلى بجانب وظيفته في التدريس.
لكنه، بعد فترة، وجد نفسه يبتعد تدريجيا عن مهنة التدريس، لضعف راتبه، حتى قرر الاستقالة نهائيا.
لم يكن ذلك القرار سهلا، لكنه أدرك أن الفرص الأكبر كانت خارج أسوار المدرسة.
فشد الرحال مرة أخرى للسفر، هذه المرة إلى المملكة العربية السعودية، حيث بدأ فصلا جديدا من حياته، يعمل كسباك محترف في إحدى شركات المقاولات ، بعدما تحول من مدرس ثانوى صناعي إلى رجل صناعى متمرس في مهنته الجديدة، التي أتاحت له حياة أكثر دخلا وازدهارا

عندما تحكم الأقدار
......................مسار الحلم

في عام 1985، عندما أشرقت شمس نتيجة الثانوية العامة، انهالت النصائح من كل حدب وصوب، كالسيل الجارف، لتدفعني نحو كلية التجارة.
كانت أصوات الجميع تتحدث عن مستقبلها المشرق، وكيف أنها الوجهة الأكثر طلبا في سوق العمل، سواء في الحكومة أو في القطاع الخاص.
فالمحاسبون في ذلك الوقت كانوا كالذهب، يتهافت عليهم أصحاب الأعمال داخل مصر وخارجها، في دول الخليج والدول البترولية، حيث كان الاقتصاد مزدهرا.

في مصر، كانت شركات توظيف الأموال في أوج صعودها، تحمل أسماء براقة مثل السعد، الريان، الهدى مصر، والشريف، وكانت جميعها بحاجة إلى جيوش من المحاسبين برواتب مجزية.

كان المجال مفتوحا أمام خريجي كلية التجارة في كل الوزارات، على عكس كلية التربية، التي كانت فرص العمل فيها محصورة في وزارة التربية والتعليم فقط.

ومن بين تلك الأصوات التي أرادت رسم مستقبلي، كان هناك من قال لي:
«ادخل كلية التجارة، وارسم كما تشاء، فهل هناك من سيمنعك؟
العبقرية الحقيقية أن تتفوق في شيء خارج دراستك، أما أن تكون متميزا في مجالك، فهذا الامر العادى !»

رغم أن قلبي كان معلقا بحلم الفنون، كانت كل الطرق تسحبني قسرا نحو عالم التجارة.
شعرت وكأن يدي مكبلتان، لا سلطان لي على مصيري، حتى أقرب الناس إليّ شاركوا في رسم نهايتي دون أن يمنحوني حق الكلمة.
كانت "سناء"، التي كنت أظنها تعرف قلب أحلامي، ملأت استمارة الرغبات بدوني، وضعت كلية التجارة في الخيار الأول، ثم أسقطت حلمي الحقيقي، كلية الفنون الجميلة، إلى المرتبة الثانية، كما لو كانت نزوة عابرة يمكن الاستغناء عنها
.حين علمت بما فعلته، انتفض غضبي المكظوم، وواجهتها بصوت مرتعش من القهر: «كيف تجرؤين على رسم مستقبلي دون الرجوع إليّ؟
ألم تعلمي أن حياتي كلها معلقة هناك، بين الألوان واللوحات؟»
ردت ببرود جارح، كمن يسكب الماء المثلج فوق جمرات قلبي :
«لم كل هذا الانفعال؟ مجموعك لن يكفي لدخول التجارة، وإذا قبلت فيها، يمكنك تعديل رغبتك لاحقا. لا تقلق.»

لكنني كنت أعرف أن الأحلام لا تحتمل التأجيل.
تمر الأيام، ولا ينتظر الحلم أحدا.
وجاء اليوم المشؤوم. خطاب القبول... سطر واحد جاف، كان كفيل بتحطيم عالمي: «كلية التجارة – جامعة طنطا.»
سقط الخطاب من بين يدي، كأن ثقله أكبر من أن أحتمله.
حاولت أن أتماسك، أن أبحث عن عزاء صغير في ركام انكساري.
تذكرت كلمات صديقي "عبد المنعم" الطالب بكلية الهندسة، الذي روى لي عن أثقال الفنون الجميلة:
أدوات باهظة، ألوان لا ترحم الجيوب الفارغة، مشاريع تحتاج ميزانية لا تقوى عليها.
قال وهو يربت على كتفي:
... تحتاج ما لا يقل عن 80 جنيها شهريا.»
سألته مذهولا، وكأنني لا أصدق أذني:
«ثمانون جنيها؟ ومرتب والدي بالكاد يتجاوز المائة والعشرين!
كيف كنت سأواصل؟ كيف؟» كلماته سقطت على قلبي كسندان ثقيل، شعرت معها أنني سجين، قدري.
رأيت حلمي يتهاوى أمامي كلوحة جميلة سقطت من عليائها وتحطمت إلى ألف شظية.كنت أحلم أن أكون رساما... أن أملأ الدنيا ألوانا وفرحا، أن أجعل من الورق حياة تنبض.
لكنني وجدت نفسي مدفوعا في طريق آخر، كمن يساق إلى وجهة لا يعرفها، ولا يرغب أن يعرفها.
سرت في الطريق المرسوم لي، منكس الرأس، أحمل داخلي جنازة حلم، وأردد بصمت حزين:
«لندع الله يفعل ما يريد.»

الطريق إلى الأتيليه

أحيانا، يقودنا التيه نحو الحلم، هناك ، في أقصى إبتعاد، نكتشف أقرب نقطة لأنفسنا.

4 كان الطريـق إلـى الأتيليـه عـودة خفيـة إلـى ذاتـي، التـي أضعتهـا فـي زحـام مـا لا أريـد.

دخلـت كليـة التجـارة، شـعرت بأننـى طالبـا، غريبـا تائهـا فـي عالـم لا يشـبهني. كل شـيء بـدا لـي ثقيـلاً، كأن الأبـواب أغلقـت، كيـف اجبـرت علـى السـير فـي درب لا أريـد أن أخطـو فيـه خطـوة واحـدة.
حتـى زملائـي مـن الثانويـة لـم يصدقـوا أننـي هنـا طالـب، ظنـوا أننـي جئـت لزيـارة صديـق أو لصنـع مقلـب.

وعندمـا رأوا بطاقـة هويتـي الجامعيـة، ظنـوا أنهـا مـزورة، خاصـة أننـي لـم اضبـط مـرة أحمـل كتابـا أو حتـى قلمـا فى المرات القليله التى كنت اذهب فيها للكلية.

فـي أحـد الأيـام، وبينمـا كنـت أتجـول فـي أروقـة الكليـة بـلا هـدف، وقعـت عينـي علـى إعـلان صغيـر معلـق علـى أحـد الجـدران: «مسـابقة فنيـة تنظمهـا الجامعـة»

لأول مـرة، شـعرت أن هنـاك شيئا يخصنـي فـي هـذه الكلية. لـم أكمـل يومـي، خرجـت علـى الفـور، إسـتقليت القطـار عائـدا إلـى البيـت، وأعـددت لوحتـي بـكل شـغف، حيـث أن أخـر موعـد لاسـتلام الاعمـال قد ازف ، ثـم ذهبـت بهـا إلـى إدارة المسـابقة.

لكن الصدمة كانت قاسية. نظرت المشرفة على المسابقة، وتأملت لوحتي، ثم قالت ببرود:
«لوحة ضعيفة ، لا تصلح للمشاركة.»
كادت دموعي تخونني، قبل أن تهوي كلمتها الأخيرة على قلبي، أضافت:
«لكن واضح أنك موهوب... لماذا لا تأتي إلى الأتيليه لتنمية مهاراتك؟»
سألتها بدهشة:
« ما الأتيليه ؟ وأين هو؟ »
أخذتني إلى هناك، وحين رأيته، شعرت أنني اكتشفت كنز علي بابا، لكن هذه المرة، لم يكن هناك أربعون حراميا، كان هناك كل ما حلمت به يوما!
مرسم كبير، ألوان بلا حدود، توال، فرش، كتب عن الفن، نجار لتجهيز اللوحات، ساع ومساعدون، ورحلات لزيارة المعارض في القاهرة والإسكندرية، كل ذلك مجانا!

كان الأتيليه مفتوحا من الثامنة صباحا حتى السابعة مساء، يضم الموهوبين من جميع الكليات، يرسمون تحت إشراف مختصين في الفن.
«هل يمكنني الالتحاق به غدا؟» سألتها بحماس.
إبتسمت وقالت:
«ليس الآن، عليك الانتظار حتى العام القادم، فنحن في نهاية العام ونستعد لمعرض الجامعة.»

منذ بداية عامي الثاني في الجامعة، صار الأتيليه وجهتي اليومية، عالمي الخاص الذي أنتمي إليه دون قيد أو شرط. كنت أبدأ نهاري هناك، من العاشرة حتى أجد نفسي وسط الألوان واللوحات والأنامل المنغمسة في سحر الإبداع، أترك عقارب الزمن تتلاشى بين ضربات الفرشاة ولمسات الفحم على الورق.

ما إن دخلت الأتيليه حتى شعرت بأنني بين أهلي، تأقلمت سريعا وسط زملاء جاؤوا من كليات مختلفة، من الطب والعلوم والحقوق والزراعة والتجارة، اجتمعوا جميعا على عشق واحد، على لغة يفهمها الجميع رغم اختلاف تخصصاتهم .، كان الفن يوحدنا، يجمعنا في بوتقة واحده، كأننا أبناء عالم موازٍ، لا تحكمه القوانين الجامعية ولا الجداول الدراسية، عالم تحكمه الفرشاة، والألوان، والرغبة العارمة في الخلق.

لم يكن يعنيني شيء خارج حدود الاتيلية، حتى أنني نسيت طرقات الكلية، لم أدخلها إلا في أيام الامتحانات، كأنها محطة عابرة في مساري، أما الأتيليه، فكان موطني الحقيقي لا اغادره الا للذهاب الى محطة القطار فى الخامسة مساءاً لاعود للبيت.

فى الاتيليه تعرفت لأول مرة على الألوان الزيتية، ذلك العالم العميق الذي يختلط فيه الضوء بالحلم، فتتراقص الظلال على سطح اللوحة كأنها تحاول أن تبوح بسر لم يكشف بعد.

غزو الصحراء. كان هذا هو عنوان المسابقة، ولم أكن أدرك حينها أنها ستكون الخطوة الأولى نحو اكتشاف ذاتي الحقيقية.
لم أتردد، بدأت رحلتي مع الزيت والفرشاة، وكانت أولى محاولاتي لوحة أسميتها «الحقل»، تجسيد بسيط لأرض عطشى تحلم بالماء، وشمس تتربص بحقول تنتظر الحياة.
ثم اتبعتها بلوحة ثانية اسميتها «عايزنها تبقى خضرا».
سكبت فيها كل الشغف، كل الأمل، كل الإصرار على أن تتحول الصحراء إلى واحة خضراء تعج بالحياة.
لم أكن اشعر بقوة هذه اللوحة حتى جاء يوم العرض،لاكتشف ذلك في أعين الحاضرين، في وقوفهم الطويل أمامها، في تلك النظرات التي حملت إعجابا لم أعهده من قبل. فى نقاشاتهم معى عنها ،وفى مناقشتهم الجانبية سوياً .
وحين أعلنت النتائج، سمعت اسمي يرن في القاعة، لقد فزت! المركز الأول تصويرعن لوحتي «عايزنها تبقى خضرا»، ثم صعدت إلى مستوى الجامعات ، لتعلن النتيجة النهائية...
المركز الأول في التصوير الزيتي للعام الجامعي 1987

في تلك اللحظة، عرفت أن الأقدار قد تأخذنا أحيانا في مسارات لم نخترها، لكننا دوما نعود إلى ما كتب لنا حقا.
لم تكن كلية التجارة سوى محطة عابرة، أما قدري الحقيقي، فقد وجدته هناك... بين الألوان الزيتية، بين ضربات الفرشاة، بين اللوحات التي تحمل بين طياتها روحي، وحلمي الذي لن أتركه بعد الآن فى الاتيليه.

قراءة فنية فى لوحة
« عايزنها تبقى خضرا »

« عايزنها تبقى خضرا ».. ملحمة العمل والحلم



عايزنها تبقى خضرا
زيت على خشب - 100×70سم - انتاج 1987

تقدم اللوحة تجربة بصرية وفكرية، تنتمي إلى التكوينات التكعيبية التعبيرية، لكنها تتجاوز التصنيف المدرسي لتخاطب جوهر الإنسان وعلاقته بالأرض والزمن. العمل الفني يجسد فلاح كرمز كلي للكدح الجمعي، حيث يتحول الجسد إلى سلسلة متكررة من الحركات، تذوب فيها الذات الفردية في نسيج العمل الجماعي.

البنية الشكلية والديناميكية

من الوهلة الأولى، تفرض اللوحة إيقاعها الحركي على عين المتلقي.

الفلاح المرسوم يتكرر ثلاث مرات في لحظة ضرب الفأس، وكأننا أمام تسلسل زمني لزمن مجمد في لقطة واحدة. هذه التقنية، المستلهمة من تيارات «المستقبلية»، تمنح الجسد بعد زمني مكاني، وتحول الضربة الواحدة إلى سلسلة إيقاعية مستمرة.

الجسد هنا مشدود، مشطوب بخطوط قطرية حادة، توحي بالضغط العضلي والتوتر الداخلي، مما يخلق طاقة بصرية مكثفة.

الخطوط الهندسية الحادة، والانعطافات القوية في حركة الأطراف، تحاكي الحركات الفعلية للعمل اليدوي، وتعبر عن صرامة الصراع مع الأرض.
في المقابل، تأخذ الخلفية منحى مغاير؛ تتكون من دوامة لونية خضراء، تبدأ من نقطة مضيئة وتتفتح باتساع حلزوني، تذكر بعين الإعصار أو مركز الكون، وتمنح اللوحة بعد روحي يتجاوز الواقع المباشر.

يعتمد الفنان على تقنيات تصميمية واعية؛ فالتركيب يعتمد على مركزية الجسد، الذي يشكل محور بصري يدور حوله كل شيء.
الفأس المرفوع يستخدم كأداة زراعية، ورمز زمني، وكأن الزمن ذاته يطرق ويشكل عبر الضربات المتكررة. الألوان تلعب دور رمزي دقيق؛ درجات الأخضر، الممتدة من الخلفية إلى أطراف الجسد، تمثل الطبيعة و ترمز إلى الخصوبة والتحول. هناك صراع بصري بين الأخضر المتدرج والخطوط الداكنة الحادة التي تشطر الجسد، في تناغم يشير إلى العلاقة المعقدة بين الإنسان والطبيعة: علاقة كدح، لكنها أيضا علاقة أمل.
يمكن قراءة اللوحة كتجسيد بصري لفكرة «الزمن العامل».
الفلاح تجسيد للإنسان الجمعي، الذي يعيد تشكيل واقعه بجهده، رغم جفاف الأرض وقسوتها. الفؤوس عقارب زمنية تدير الكون في اتجاه الخصب، في لحظة أشبه بطقس كوني. الضوء الأخضر في الأفق يمثل نبوءة تشكيلية؛ نقطة التحول التي تبشر بالثمر، وهي الثمرة الرمزية التي تنبثق من عزم العمل وتكرار الجهد.

لوحة «عايزنها تبقى خضرا»

تمثل بيان بصري عن العمل الإنساني، قصيدة تشكيلية عن الكفاح والإصرار. العمل، يعيد صياغته صورة للفلاح كرمز، وقوة محركة للزمن، وكجزء من دوامة الحياة. بأسلوب تعبيري هندسي، ولغه تشكيلية صارمة، ينجح الفنان في تجسيد الفكرة الكبرى: أن الأرض، رغم عنادها، لا تملك إلا أن تستجيب حين تطرق بإيقاع الأمل.

«عايزنها تبقى خضرا»

ترنيمة بصرية للكدح، وترجمة تشكيلية لفلسفة البقاء، حيث يتحول العمل إلى طقس كوني، والفلاح إلى محور دوران الحياة.

تطور الرؤية: من «الحقل» إلى «عايزنها تبقى خضرا»

دراسة توضح أثير توفير خامات الرسم على أداء إبراهيم

عندما التحق إبراهيم بالأتيليه وأتيحت له الخامات والأدوات الفنية، خاض أول تجربة له في الرسم بألوان الزيت، فأنجز لوحته الأولى بعنوان «الحقل».

تصور اللوحة مشهد حيوي لعامل قوي البنية ينهمك في الحفر ممسك بفأسه، مرتدياً قميص بني وسروال أزرق مطوي عند الركبة. وفي الخلفية يظهر عدد من العمال الآخرين يتحركون في فضاء مفتوح، في مشهد ديناميكي يعكس روح العمل الجماعي داخل بيئة صحراوية تتخللها التلال وبعض الأشجار.

اتسمت اللوحة بطابع تعبيري واضح، تجلى في ضربات الفرشاة الحرة واستخدام الألوان الدافئة، خصوصاً تدرجات البني والذهبي، مما منح العمل إحساس بالحركة والمشقة.



ابراهيم شلبى بين اعماله فى مسابقة الكلية وعلى يمينه لوحة «الحقل» وعلى يساره لوحة « عايزنها تبقى خضرا » 1987

كمـا بـرزت رمزيـة الكفـاح وقـوة الإنسـان مـن خـلال وضـع العامـل فـي مقدمـة المشـهد بحجـم أكبـر نسـبياً، ليؤكـد حضـوره المحـوري ودوره فـي البنـاء والعمـل.
وفي الشهر نفسه أنجز الفنان عمل آخر بعنوان :
«عايزنها تبقى خضرا».
وعنـد مقارنـة اللوحتيـن يتضـح أن إبراهيـم حقـق قفـزة فنيـة ملحوظـة خـلال فتـرة قصيـرة، سـواء علـى مسـتوى المهـارة التقنية أو فـي طريقـة التفكيـر والمعالجـة البصريـة للموضـوع.

فـي لوحـة «الحقـل» يعتمـد الفنـان علـى تصويـر مباشـر لمشـهد العمـل الجسـدي، حيـث تبـدو الشـخصيات واضحـة والأجـواء قريبـة مـن الواقـع.
أمـا فـي «عايزنهـا تبقـى خضـرا» فيتجـه إلـى مسـتوى أكثـر تجريـداً، إذ تتحـول الشـخصيات إلـى أشـكال هندسـية مختزلـة، فـي محاولـة للتعبيـر عـن جوهـر الفكـرة بـدلاً مـن تفاصيلهـا الظاهريـة.

كمـا تكشـف اللوحـة الثانيـة عـن ملامـح هويـة أسـلوبية أكثـر استقلالاً، حيـث بـدأ الفنـان يتجـاوز التمثيـل الواقعـي نحـو معالجـة رمزيـة تعتمـد علـى الحركـة واللـون. فبينمـا تتسـم «الحقـل» بشـيء مـن الثبـات النسـبي، تمنـح «عايزنهـا تبقـى خضـرا» إحسـاس بالحركـة المسـتمرة، الأمـر الـذي يعـزز تأثيرهـا البصـري.

ويظهـر هـذا التطـور أيضـاً فـي معالجـة اللـون والتكويـن؛ ففـي «الحقـل» تبـدو ضربـات الفرشـاة أقـرب إلـى الأسـلوب التقليـدي، مـع تدرجـات لونيـة واضحـة وحـواف ناعمـة تعكـس نزعـة تصويريـة واقعيـة.

أما في العمل الثاني فتبدو الفرشاة أكثر جرأة، وتظهر الخطوط الهندسية بوضوح، في اتجاه نحو التبسيط والتعبير الحركي.

ومن خلال تحليل اللون والتكوين والأسلوب، يتضح أن الفنان انتقل سريعاً من الواقعية المباشرة إلى التعبير الرمزي والتجريد النسبي، وهو تحول يشير إلى نضج في رؤيته الفنية وقدرته على التعامل مع عناصر العمل التشكيلي بقدر أكبر من الحرية والإبداع.
ويكتسب هذا التحول أهمية خاصة لأن لوحة «عايزنها تبقى خضرا» أُنجزت مباشرة بعد «الحقل»، وهو ما يجعل هذا التطور سريعاً نسبياً. فغالباً ما تتطلب التحولات الأسلوبية لدى الفنانين مراحل طويلة من التجريب قبل أن تتبلور. الا أن ما حدث هنا يوحي بوعي بصري مبكر واستعداد لتجاوز الأساليب التقليدية بسرعة.

لذلك يمكن اعتبار هذا التطور السريع مؤشراً إيجابياً على حس تجريبي قوي وشجاعة فنية لدى الفنان، وقدرته على إعادة تشكيل أسلوبه واستكشاف مسارات تعبيرية جديدة في وقت مبكر من تجربته الفنية.

قصر الأميرات

عشر أيام كانت كافية

لا يهم من يرحل:
«العالم أوسـع من قـاعة محاضـرات،
والفرص تأتي حتى في غياب المرشدين.»

في صبيحة إحدي الأيام الجامعية
توافد عليّ زملاء الدفعة فـرادي
- انت معرفتش بالمصيبة اللي حصلت
= خير
- دكتور .... جاتله بعثة لفرنسا
= هاااارسود هي البعثة كانت جيالي ولطشها مني
- لاء
= امال أيه ؟
- هيسافر ومفيش حد هيشرح لنا المادة بتاعته
= وانت عايز حد يشرح لنا المادة ليه ؟
هو الكتاب مش معاك و بتعرف تقرأ !!!!!!

من منشورات الفيسبوك
فى 17 أغسطس 2024

5 أطياف في الغربة...
...................وألوان في العودة

ميز كلية التجارة أنها لا تفرض حضور، فأغلبها مواد نظرية ، مما أتاح لي الحرية في التواجد بالأتيليه بلا قيود.

لكن الأهم من ذلك، أنها منحتني فرصة السفر إلى العراق خلال الاجازة الصيفية ، حيث كانت الأبواب مفتوحة للمصريين بلا تعقيدات.

في صيف 1987م إستطعت السفر الى العراق. كان ذلك عالم آخر، يحمل تحدياته الخاصة، لكني لم أكن ممن يخشون البدايات الصعبة.

كنت أعرف أن السفر إلى العراق أقرب إلى مغامرة شاقة اختبر فيها صبري وحدود تحملي.

إخترت الطريق البري لتقليل التكاليف، مدركا أن ما سأوفره من نقود سأدفعه من راحتي، وربما من كرامتي.

بدأت الرحلة من مدينة قلين، حين صعدت إلى حافلة متهالكة ، جلست فيها أكثر من عشر ساعات متصلبة فيها أطرافي، لا أجد متنفسا للحركة ولا موطئا أريح عليه جسدي المنهك .

أضلاعي تأن تحت ثقل الساعات، وظهري يتيبس كأرض عطشى منذ سنين. كل شيء ساكن حولي، إلا التعب، فهو وحده الذي كان يعرف كيف يتحرك بلا رحمة،

طريقي كان إلى ميناء نويبع، وهناك تبدأ طقوس التفتيش وختم الخروج على جواز السفر، وتلك الإنتظارات الطويلة في صالة واسعة لا كراسي فيها، فقط أرض ساخنة تلهب الاجساد.

في ميناء نويبع، كان الإنتظار قاسيا، والوجوه حولي كتل من القلق والشك، الكل يراقب الكل، كأن الثقة صارت عملة نادرة.
حين صعدت إلى العبارة المتجهة إلى ميناء العقبة ،إستقر بي الحال فوق سطحها، أقف تحت السماء، أحدق في الماء الذي لا يحمل وعدا، والريح حيث تلسع وجهي والبحر يتهادى تحت أقدامي المثقلة ، كلما يغمض عيني ألمح صور متقطعة من وجوه لا أعرفها، ما إن وصلت العبارة إلى وجهتها، في ميناء العقبة، وجدت مندوب شركة السفر بانتظارنا، رجل جامد القسمات، يقودني مع باقي المسافرين إلى حافلة أخرى، تسير بنا كقطيع نحو بغداد.
ذكرتني الرحلة بمشاهد قديمة من أفلام الكاوبوي، حين ينقل العبيد من سواحل إفريقيا إلى أمريكا، ذات المهانة، ذات العيون الزائغة، وذات الصمت المشوب بالخوف.
لم يكن في الرحلة نوم حقيقي، ولا راحة بال. ثلاثة أيام في السفر مرت كجحيم متواصل، لا مجال فيها للغفلة؛ فسرقة الأمتعة أمر شائع، والنقود قد تتبخر في لحظة غفلة.
كان عليّ أن إحسن تدبير القليل من الطعام والماء الذي أحمله، فأسعارها في الطريق نار لا تطفئها الجيوب الفارغة، والجوع لا يرحم. وبين الخمول والإجهاد، كانت عيني دائما نصف مفتوحتين، أراقب الطريق، وأترقب النهاية.

وصلت الى بغداد، والساعة تقترب من الثامنة مساءً، دلفت أخيراً إلى سكن قريبي. كان جسدي حطاماً تذروه رياح رحلة طالت حتى تخطت حدود الصبر البشري، وكأن الطريق قد اقتطع من روحي قبل أن يقتطع من المسافات.

ذلك البيت، على تواضع جدرانه وبساطة حاله، كان المرفأ الذي تنفست فيه أولى أنفاس الأمان بعد ثلاثة أيام من التيه والترقب. كان السكن متواضعا، لكنه منحني أول أنفاس الأمان منذ ثلاثة أيام طويلة. يسكنه مجموعة من العمال المصريين، يتقاسمون الغرف كما تتقاسم الغربة قلوبهم. استقبلني قريبي عند الباب بابتسامة صادقة، وذراعين مفتوحتين كأنه يستقبل قطعة من وطن افتقدها طويلاً.

وضعت حقيبتي في ركن قصي، وجلست ألتمس الراحة، حتى استبد بي القلق، فاندفعت أسأل بلهفة عما يهدئ روع تطلعاتي: «أين أجد العمل؟».

ابتسم قريبي بهدوءٍ يمتص ثورتي وقال: - «هون عليك يا إبراهيم.. ما كل هذا الاستعجال؟ الأيام بين أيدينا، وأنت ضيفنا لعشرة أيام، وبعدها هجيب لك 100 شغلانة وانت اختار براحتك.»

لكن فكرة الانتظار كانت تطن في رأسي كالنحل؛ عشرة أيام؟ والإجازة برمتها لا تزيد عن ثلاثة أشهر؟! ولا مجال للتفريط في ساعة واحدة.

قلت وعزمي يسبق قلقي: «لا والله، لن أنتظر.»

ربت قريبي على كتفي برفقٍ أبوي، وقال بنبرة تفيض حناناً وفهماً:- «اهدأ يا فتى.. اترك للماء أن يغسل عنك وعثاء الطريق، وتناول عشاءك، وأرح جفنك المطفأ وجسدك المنهك.»

استسلمت لفيض كرمهم، وانخرطت مع الرفاق في سهرة مصرية دافئة؛ تعالت فيها الضحكات، وتجاذبنا أطراف الحديث عن «البلد» والأهل، وعن أخبار لا تجد صداها إلا في صدور المهاجرين الذين يقتاتون على الذكريات.

أعدوا لي فراشاً بسيطاً، لكنه كان وارفاً بالسكينة، فنمت وقلبي معقود على فجر جديد.
ومع تباشير الصباح الباكر، تسللت من فراشي بخفة الظل، سحبت الباب خلفي في صمت، خشية أن يوقظ صريره أحد، أو تعترض طريقي نصيحة تمنعني من المسير.
كان خروجي هجرة من سكون الانتظار إلى صخب فرصة، تتوارى خلف أبواب المدينة المشرعة. مشيت بخطى سريعة، ليست واثقة ولا مترددة. عبرت الشوارع حتى وصلت إلى ميدان وسط المدينة، ملتقى الطرق والمحال والحكايات.
وقفت هناك لحظة، ورحت اطالع الشوارع أقرأ خريطة في عقلي، خطط في نفسي: « سأبدأ من هذا الشارع واسأل في تلك المحلات، وإن لم أجد عملا في أحدهم، سأنتقل للشارع التالي ثم الذي يليه... سأدخل كل باب وأسأل، لا مجال للعودة خالي اليدين.»
كان في داخلي مزيج من الحماسة والخوف، كأن قلبي نصفه يقفز للأمام ونصفه الآخر يتراجع. وبدأت الرحلة: دخلت من أول باب صادفته محل ملابس وسألت بصوت خفيض:
– «هل لديكم عمل؟»
جاءني الرد بارد، قاطع: «ماكو شغل.»
لم اناقش، لم استفسر، خرجت في صمت، ثم دخلت الباب الثاني، فالثالث، فالرابع...حتى وصلت إلى نهاية الشارع، والرد هو ذاته، لا يتغير، لا يلين: « ماكو شغل ».
أدركت سريعاً، ومن تكرار التجربة، أن هذه الكلمة باللهجة العراقية تعني «لا يوجد شغل». أصبحت مألوفة في أذني، لكنها ما زالت تلسعني في قلبي كأنها لعنة، تتبعني من باب إلى باب.

عبـرت إلـى الجانـب الآخـر مـن الشـارع، تطرقـت الأبـواب مـن جديـد وكأنهـا أبـواب القـدر.
واحـداً تلـو الآخـر، تكـررت نفس الجملـة، كأنهـا تعويـذة تعيقنـي عن التقـدم. كانـت السـاعة تقتـرب مـن الواحـدة ظهـراً. قدمـاى أثقلتهمـا الخطـوات، وبطنـي تصـرخ مـن الجـوع، لـم أتنـاول فطـور، ولـم اذق شـيئ منـذ ليلـة الأمـس، لكـن رغـم الإرهـاق والجـوع والإحبـاط، ظللـت اسير. كـان هنـاك شـيء بداخلـي أقـوى مـن التعـب، ربمـا هـو الإصـرار، وربمـا... العنـاد الجميـل
عنـد بـاب أحـد المحـلات، لمحـت عامـلا مصريـا، إبتسـم القلـب لرؤيـة وجـه مألوف.دخلـت وسـألته برفـق: «هـل لديكـم عمـل؟»
فجاء الرد من جديد: «ماكو شغل.»
إبتلعـت خيبتـي وخرجـت، ثـم دخلـت المحـل المجـاور، وكـررت السـؤال، لكـن هـذه المـرة جائنـي الـرد صاعقـا، بصـوت غاضـب مرتفـع: «مـا تيجـي تشـتغل مكـان أحسـن؟» وقفـت مذهـولا، لا أفهـم هـذا الغضـب، فسـألته محتجـا:
- «لما تتكلم معي هكذا ؟ هل آذيتك؟»
رد العامل بدهشة أكبر:« إنت مش عارف إنت عملت إيه ؟
إنت مش لسه خارج من عندي حالا؟!»
نظـرت حولـي، ثـم إسـتوعبت الصدمـة: البابـان ينتميـان للمحـل ذاتـه، والرجـل نفسـه. خجلـت مـن نفسـي، وقلـت متأسـفا:
- «والله ما إنتبهت... من الصبح وأنا ألف، إختلط عليّ الأمر.»
تبـدل وجـه العامـل، وإرتخـى صوتـه، وربـت علـى كتفـي بلطـف، وقـال:- «ماشـي يـا عـم ولا يهمـك، معلـش. إسـمع لمـا تدخـل مكـان إفـرد نفسـك كـده... مـا تقولـش « فيـه عمـل»؟ ....قـول ‹أكو شـغل؟›.
« ومـا تلفـش هنـا، روح للسـعدون، أو الرشـيد، أو البيـاع... هنـاك حتلاقـي فـرص كتيـرة.»

سـألته بتردد:-«سـمعت عـن منطقـة إسـمها المنصـور... أروح هنـاك؟ »
رد بسـرعة: « أوعـى! دي منطقـة راقيـة، زي الزمالـك كـده عندنـا فـي مصـر... مـش أي حـد يشـتغل هنـاك.» كلهـا أجانـب و نـاس هـاى واللـى يشـتغل هنـاك لازم يبقـى زيهـم.
صمتـت، وداخـل نفسـي دار حـوار:« اكيـد كل النـاس بتفكـر كـدة والـكل بيخـاف يـروح هناك...بالتأكيـد لـو رحـت، هلاقـي بـدل الفرصـة عشـرة.»
قلت للعامل:- « شكرا جدا... سلام عليكم.»
ومـا إن خطيـت اولـي خطواتـي خـارج المحـل حتـى فوجئـت بأوتوبيس يقـف أمامـي، مكتـوب عليـه بخـط واضـح « المنصـور».
لـم أتـردد، كأنهـا إشـارة بعثـت لـي، صعـدت بخفـة أركـض نحـو المجهـول، وجلسـت بجـوار الشـباك، أنهـج قليـلاً مـن التعـب والركـض، وقلـت للسـائق بنبـرة متواضعة:«مـن فضلـك، لمـا نوصـل المنصـور عرفنـي... أنـا مـا بعـرف المـكان.»
تحـرك الأوتوبيس، وبـدأت التقـط أنفاسـي وانـا احـدق عبـر النافـذة، أرى البلـد للمـرة الأولـى. المبانـي، المحـلات، الوجـوه العابـرة، الزحـام... كل شـيء بـدا لـي مشـهد مـن فيلـم طويـل، وأنـا أحـد أبطالـه الصامتيـن. بيـن لحظـة وأخـرى، كنـت أحلـم. أتخيـل نفسـي أعمـل، أتطـور، احقـق شيئـ... أي شـيء. ورغـم التعـب، لـم يكـن داخلـي سـوى الطمأنينـة. كانـت المدينـة تمـر مـن أمامـي كحلـم، وأنـا أمـد يـدي التقـط مـا يمكننـي منهـا.
فجـأة، قطـع سيل أفكاري بصـوت السـائق:«اللي عايـز المنصـور... يستعد ! »
نهضـت مـن مقعـدى بسـرعة، أقتربـت مـن البـاب. ومـا أن نزلـت مـن الاتوبيس، حتـى إلتفتـت عينـاى إعـلان صغيـر، بسيط، معلـق

علـى زجـاج فاتريـنـة أنيقة:«مطلـوب عمـال للعمـل بالمعـرض.»
نظرت للأعلى وجدت يافطة: «معرض قصر الاميرات للأثاث»
دون أن أسـمح لأي شـك أن يعتـرض طريقـي، دخلـت المعـرض بخطـى ثابتـة. كان المـكان نظيفـا، يعبـق بعطـر الخشـب المصقـول والسـتائر الفخمـة. الأضـواء تعكـس جمـال الأرائـك والكراسـي، وكأنهـا قطـع مـن عالـم آخـر... عالـم لـم أعرفـه مـن قبـل، لكنـي لـم اشـعر بالغربـة فيـه. تقدمـت نحـو رجـل أنيـق يجلـس خلـف مكتـب خشـبي مهيـب وقلـت بهـدوء:« جئـت مـن أجـل الإعـلان هـذا .. .... وأدرت رأسي الي زجاج الفترينة وأشرت عليه بإصبعي...
أكـو شغل؟»
رفـع الرجـل رأسـه وإبتسـم قليـلاً، وقـال: « أكـو شـغل.» كلمـة واحدة فقـط، لكنهـا كسـرت سلسـلة طويلـة مـن « ماكـو» التـي طاردتنـي منـذ طلـوع الشـمس، شـعرت وكأنهـا أول بشـارة حقيقيـة فـي هـذا اليـوم الطويـل. داخلـي إمتـلأ بالامتنـان، ولمـع فـي عينيـي بريـق لـم يكـن موجـودا قبـل لحظـات.
تابـع الرجـل حديثه:«نحتـاج عامـل نظافـة للمعرض...الراتـب 80 دينـار شهريا،وسـنوفر لـك سـكن فـي المعـرض ووجبـة غـداء.»
لم أتردد، لم أحتاج وقتا للتفكير. رغم إني لا أعرف هل الراتب مناسب أم صغيـر ، وكان القرارالتزام.الإجـازة قصيـرة، والزمـن لا ينتظـر الحائريـن، وإن ضعـات هـذه الفرصـة، قـد لا أجـد غيرهـا، وربمـا يمـر أسـبوعان أو شـهر وانـا أبحـث فـي الدوائـر ذاتهـا.
نظـرت حولـي للحظـة. المـكان أنيـق، المعروضـات تشـي بالـذوق الرفيـع، والنـاس تتحـرك بلباقـة. هـذا عالـم جديـد علـيَ، لكني شـعرت فيـه بالالفـة ، شـعرت وكأنـي جئـت، لابـدأ مـن هنـا.
قلـت بحمـاس صـادق: « نعـم... أقبـل.» ثـم أضفـت: «سـأذهب الآن لأحضـر أمتعتـي، وسـأبدأ الشـغل مـن بكـرة إن شـاء الله.»

خرجت من المعرض هذه المرة بخطى مختلفة، لم يكن جسدي أخف، لكني روحي كانت تطير.
في صباح اليوم التالي، وقفت أمام بوابة « قصر الاميرات » بثياب نظيفة بسيطة، ممسكا بحقيبتي الصغيرة، أحمل فيها بعض الملابس وحاجياتي.كان الهواء ما يزال نديا، والشمس لم تشتد بعد، تنفست بعمق، ونظرت إلى اليافطة مرة أخرى، كما لو أني أطلب منها الإذن بالدخول . إلى عالمي الجديد.
دخلت المعرض بخطى ثابتة، وقلبي يخفق بتوتر خفيف. لم أكن خائفا، كنت أحترم اللحظة. تلك اللحظة التي تفتح فيها الأقدار بابا بعد طول طرق.
أستقبلني «أكرم» مدير المعرض ، رجل عراقي بدا في أواخر الاربعينيات، طويل القامة، نحيل البنية، يرتدي قميص أنيق.
كانت ملامحه هادئة، يغلفها وقار غامض لا يخلو من دفء، تقاعد من الجيش اثر إصابته بشذية فى قدمة اليسرى جعلته يمشى متعرجا. بعد إحالتة الى التقاعد عمل فى الموبيليا قضى عقدا من عمره بين أروقة معارض الأثاث المختلفة.
بدأ حياته المهنية ببساطة، يرتب الكراسي ويستقبل الزبائن. تلك السنوات الطويلة أكسبته خبرة عميقة في فهم خبايا السوق وأذواق العملاء. كان يرى في المعرض الحالي ثمرة جهده وصبره، وكان حريصا على صورته وسمعته أشد الحرص.
ضغوط صاحب المعرض لتحقيق أرقام مبيعات مرتفعة كانت تلازمه كظله، مما جعله يولي إهتماما خاصا بكل موظف قادر على تحقيق إضافة حقيقية، بادلني التحية بابتسامة مهذبة، نبرة رجل إعتاد النظام واللباقة، وأخذني في جولة سريعة ليعرفني بالمكان، وشرح لي المهام التي ستكون على عاتقي: تنظيف

الأرضيـات، تلميـع المعروضـات، ترتيـب بعض الزوايـا الجانبية، والحفـاظ علـى المظهـر العـام للمعـرض فـي كل الأوقـات.
توقف أمام العاملين بالمعرض، وقال بابتسامة واسعة ونبرة تجمع بين الحزم والمودة:
« دول زملائـك يـا إبراهيـم... أحمـد وصالـح، موظفيـن إسـتقبال وفنييـن تركيـب. وده هشـام، مسـؤول البوفيه.»ثـم التفـت إليهـم، عاقـدا يديـه خلـف ظهـره كمـن يعلـن عـن قـدوم فـرد جديـد إلـى عائلـة العمـل:« وده أخوكـم الصغيـر إبراهيـم... كلكـم إخـوات مصرييـن، وأنـا منتظـر منكـم التعـاون والمشـاركة. إحنـا هنـا عيلـة، وهدفنـا نحافـظ علـى المـكان زى بيتنـا.»
كان أحمد رجلاً في أواخر الثلاثينيات، طويل القامة، عريض المنكبين، بشرته سمراء. تخرج من معهد فني صناعي، وكان يحمل نفسه كأنه الحارس الأول للمعرض. نظر إليّ بنظرة هادئة طويلة، كمن يقيس وزن الوافد الجديد قبل أن يقرر هل يستحق البقاء أم لا.
أما صالح فكان أصغر منه بسنوات، نحيل الجسد، سريع الحركة، وجهه مدبب وشاربه خفيف. تخرج بليسانس آداب، كان يحرص أن يظهر للجميع أنه «المتعلم» بينهم.
ابتسم ابتسامة سريعة لم تصل عينيه، ثم عاد يرتب الأدوات بيده كأنه يشغل نفسه عن شيء لم يقل بعد.
وكان المعرض أشبه بقصر مصغر، كل زاوية فيه تحكي ذوقا رفيعا، الأرائك المزخرفة، الطاولات الفاخرة، المصابيح المتدلية بنعومة، وحتى الموسيقى الهادئة التي تنساب من مكبرات الصوت وكأنها تخاطب الزبائن قبل أن ينطق الموظفون.

لـم أكـن معتـادا علـى هـذا النـوع مـن الأماكـن، لكنـي لـم أشـعر أنـي أقـل مـن أن اكـون جـزءا منـه، أمسـكت بممسـحتي الأولـى كمـا لـو أنهـا سـلاح فـي معركـة شـخصية ضـد الفشـل. بـدأت بتنظيـف الأرضيـة، أتحـرك بهـدوء بيـن المعروضـات، احـاذر أن أسـقط شـيئا أو أخـدش سـطحا.

وفـي كل حركـة، كنـت اعيـد إكتشـاف نفسـي. مـرت السـاعات، ولـم أتوقـف لحظـة واحـدة عـن العمـل، رغـم التعـب الجديـد مـن الوقـوف الطويـل والإنتبـاه الدائـم.

إنتهـى يومـى الأول فـى العمـل بسـلام وإنطفـأت أضـواء المعـرض وأطفـأ ت آخـر مصبـاح فـي الزاويـة، ووقفـت لحظـة أتأمـل الفضـاء الـذي قضيـت فيـه سـاعات طويلـة انظـف أعيـد ترتيـب كل شـيء فيـه بحـرص يشـبه الطقـوس. شـعرت بالإرهـاق يسـحب جسـدى ببطء، لكـن فـي داخلـى كان هنـاك مـا يشـبه الرضـا .

دخلـت غرفتـى الملحقـة بالمعـرض مـن بـاب صغيـر فـي أحـد جوانبـه ، يفتـح علـى صالـة واسـعة، بسـقف مرتفـع مصنـوع مـن الصـاج ، تمتـد بخطواتـي نحـو العتمـة ، فـي أركانـه تكدسـت بعـض الكراكيـب: لوحـات قديمـة مغطـاة بالقمـاش، أرجـل طـاولات مقلوبـة، صناديـق كرتونيـة. علـى يميـن الصالـة كان هنـاك بابـان، بـاب غرفتـي، و الثانـى يـؤدي إلـى دورة ميـاه متواضعـة.

دخلـت غرفتـي بهـدوء. غرفـة بسـيطة، لا تزيـد عـن أربعـة جـدران وسـقف منخفـض. بهـا سـرير فـي إحـدى الاركان، و فـي الجانـب الاخـر دولاب خشـبي بنـي، عليـه طبقـة خفيفـة مـن الورنيـش المتقشـر، ومـرآة طويلـه معلقـة إلـى جـواره، عاكسـة ضـوء المصبـاح الوحيـد المعلـق فـي السـقف.

في لحظة من الهدوء، وقفت أتأمل نفسي في المرآة. لم ارى فيها عامل نظافة، رأيت شخصا بدأ رحلته، شخصا له مكان في هذا المكان، وإن كان صغيرا الآن. ثم أطفأ النور وصعدت علي سريري وغطيت نفسي بملاية رمادية أتنفس بعمق، وأغلق عيني، ونمت نوما عميقا، كنت أحتاجه منذ أيام

في صباح اليوم الثاني كان يوم هادئ كانت الشمس تمسح خيوطها على زجاج المعرض حين خطوت أولى خطواتي داخله، بقلب ممتلئ بالحماسة، وروح تتوهج بالعزم.
كنت أحمل في صدرى حبا للعمل، وإخلاص نادر يكاد يرى في العيون قبل الأفعال،بدأت يومى ، أدور بين زجاج العرض اللامع وممرات المكان الواسعة، أمسح الغبار وكأنى ازيحه عن مرآة طموحى. راقبني أصحاب المعرض في صمت، يتابعون إنحناءاتي الصادقة، ولمعان عيني وأنا أنظر للأثاث الفاخر بعيون المتأمل المتعلم. التهم التفاصيل بنهم، أراقب الاحظ أدون في مخيلتي.
في الظهيرة، نادى أكرم عليّ بصوته المعتاد الحازم ابراهيم:«تعال، ساعد العمال في نقل الكراتين.»
فورا، إستدرت وإنضممت إلى مجموعة العمال الذين بدأوا بإنزال حاويات ضخمة وصلت تواً من الميناء، لا تزال تفوح منها رائحة الخشب الجديد والمحيط البعيد.
وبينما كنت أحمل كرتونة متوسطة الحجم على كتفي، التفتت إلى أحد العمال، وسألته بفضول لا يخلو من الدهشة:«ما هذه الكراتين؟» إبتسم العامل، ومسح عرقه قبل أن يرد قائلاً:
«غرف نوم ومكاتب ومكتبات... من ألمانيا وإيطاليا.»

توقفت فـي مكانـي، وحدقت فـي الكرتونـة التي بين يـدي كمـا لـو كانت صندوقـاً سحرياً، ثم قلت مستنكراً:«دولاب؟ كمدينو؟ داخل هذه الكرتونة الصغيرة؟ تمزح، أليس كذلك؟»

ضحك العامـل وهـز رأسـه: «لا أمـزح، غـداً سـترى بنفسـك. المهنـدس سيأتي ليريكـم كيـف تجمـع.»

واصلـت حمـل الكراتيـن، وقـد أثقـل علـيّ السـؤال الـذي ظـل يتـردد فـي رأسـي كوتـر مشـدود: كيـف لسـرير أن ينـام فـي هـذا الصنـدوق؟ كيـف يختبـئ دولاب بيـن جوانبـه؟ وحيـن وضعـت آخـر كرتونـة فـي المخـزن الملحـق بالمعـرض، تمتمـت قائـلاً: «سـأنتظر الغـد... لأفهـم هـذا السـحر.»

وفـي صبـاح اليـوم التالـي، إستيقظت مبكـراً ، يغمرنـي حمـاس يشـبه حمـاس طفـل فـي يومـه الدراسـي الأول. أسـرعت إلـى المعـرض، وأتمـت عملـي الروتيني فـي وقـت قياسـي، ثم وقفت مترقبـا حضـور المهنـدس، كأنمـا أنتظـر بدايـة عـرض مسـرحي مدهـش.

وصـل المهنـدس إلـى المعـرض بخطـاه الثابتـة ، وفـي لحظـة مفاجئـة، لأكتشـف أن المهنـدس الـذي أنتظـره، كان السـيد «جـواد»، صاحـب المعـرض ذاتـه.

رجـلاً تجـاوز الخمسـين، بـدت علـى وجهـه آثـار سـنوات مـن العمـل الـدؤوب والنجـاح المتحقـق. صنـع نفسـه مـن العـدم، نشـأ يتيمـاً شـق طريقـه بيـن كـد العمـل ونهـارات الدراسـة، حتـى إرتقـى إلـى مـدارج كليـة الهندسـة، متسـلحاً بـالإرادة. سـنوات طويلـة أمضاهـا فـي بنـاء المعـرض، بالجهـد والمثابـرة قبـل سـنوات طويلـة بحلـم بسـيط ورؤيـة واضحـة، وبنـى سـمعته الراقيـة قطعـة قطعـة.

مع كل شحنة جديدة من الأثاث تصل إلى المعرض، كان المشهد يتكرر كطقسٍ لا مفر منه؛ يقف المهندس «جواد» صبوراً يحاول تدريب «أحمد وصالح» على فنون التركيب، رغم شهور خدمتهما الطويلة التي ظن الجميع أنها كافية لجعل أصابعهما تحفظ أسرار الخشب.

إلا أن الواقع كان مغايراً؛ فكثيراً ما كانت القطع الحديثة المبتكرة تقف أمامهما كطلاسم مستعصية، فتتبخر خبرتهما ويقفان عاجزين، تغلب عليهما الحيرة أمام تفاصيل لم يألفاها من قبل.

كان ذلك العجز يولد في صدر المهندس «جواد» ضيقاً مكتوماً، غضباً يبتلعه بصمتٍ مرير، فهو يعلم يقيناً أنه لا يملك في تلك اللحظة بديلاً عنهما، مما جعله يتجاوز خيباته فيهما مرغماً.

اقتربت والدهشة تملأ عيني، وأنفاسي محتبسة في صدري كأنني على أعتاب سحر وشيك؛ كنت أتوق لأن أرى بعيني كيف تحمل تلك «الكراتين» الصغيرة غرفة نوم بحجم الفيل.

شرع المهندس في عرضه العملي؛ كانت كل كرتونة تضم في جوفها جزأ مجزأ من اجزاء الغرفة، يرافق كل قطعة كيس صغير يحمل عصبها من مسامير ومفصلات،ومفك ، ومعهم «كتالوج» يشرح التفاصيل بالصور.

وقفت بجوارهم، عيناي تلاحقان كل حركة، ويداي تتحسسان ملمس الورق والخشب. وحين بدأ المهندس يشرح التعليماتِ خطوة بخطوة، وأحمد ينفذ خلفه بآلية، بدأت الملامح الأولى تظهر؛ لقد ولد «الكمدينو» من بين الركام.

في تلك اللحظة، لم أعد مجرد مراقب، فاستللت مشرطاً حاداً وشققت كرتونة بعزم، ثم أمسكت بالمفك وبدأت أربط المسامير بيد ثابتة لا تعرف الارتجاف.

هنـا، تبدلـت الأجـواء؛ شـعرت بنظـراتِ «أحمـد وصالـح» تخترقني، نظـرات يمتـزج فيهـا الغيـظ بالاسـتنكار، وكأن تعلمـي السـريع يمثـل خرقـا لنامـوس وضعـوه لأنفسـهم.

حملقـت عينـا أحمـد فـيّ بضيـق مكتـوم، وكانـت نظرتـه تصـرخ قبـل لسـانه: «مـا الـذي جـاء بـك إلـى هنـا يـا فتـى؟ أتحسـب الأمـر بهـذه البسـاطة؟». أمـا صالـح، فقـد آثـر أن يغلـف سـخريته بـرداء الشـفقة، وقـال بصـوت منخفـض يحمـل عتابـا زائفاً:«إبراهيـم.. مـا الـذي تفعلـه بنفسـك؟ هـذه التعقيـدات تفـوق مسـتواك، ولمـاذا ترهـق ذهنـك فيمـا لا يعنيـك؟ عـد إلـى عملـك يـا بنـي، فهـذه المهنـة لا تتقـن بسـهوله.»

كانـت كلماتهـم دروعـاً يحاولـون بهـا حمايـة «منطقتهـم الخاصـة». كانـت نبراتهـم تفضـح خـوف دفيـن؛ خوفـا مـن أن تتغيـر المعادلـة، ومـن أن يقتحـم هـذا «الصعلـوك» القـادم مـن بعيـد أسـوار معرفتهـم، ليزاحمهـم علـى مكانـة ظنـوا أنهـا حكـر عليهـم وحدهـم.

أمـا انـا، فلـم يكـن فـي قلبـي مـكان للغيـظ أو للشـفقة. كنـت أرى فـي هـذا المشـهد فصـل جديـد مـن فصـول تعليمـي، لا انافـس أحـد، ولا احـاول أن اثبـت شيئا لأحد.انـا فقـط أتعلـم، أزرع فـي أرضـي بـذور خبـرة قـد تثمـر يومـا مـا، حيـن لا يكـون فـي يـدي غيـر مـا يحملـه عقلـي مـن هـذا المـكان.

وفـي عـز إنشـغالهم بنظراتهـم وكلماتهـم، جلسـت فـي ركـن هـادئ، وفتحـت الكتيـب وتتبعـت الصـور، قـرأت الإرشـادات، وفهمـت التركيبـة، لـم تمـضِ أكثـر مـن خمـس عشـرة دقيقـة، حتـى عـدت إليهـم، اسـحب منضـدة افطـار مركبـة بإتقـان.

إبتسـم المهنـدس وأثنـى علـي بكلمـات مقتضبـة، فيهـا إعجـاب لـم يحـاول أن يخفيـه.

أمـا الفنيـون، فضحكـوا، لكـن ضحكاتهـم كانـت مشوشـة... فيهـا شـيء من السـخرية، وشـيء من الحـذر. لـم أكـن أطلـب تصفيقـا، كنـت أطلـب فهمـا. ولعلـي فـي تلـك اللحظـة، نلـت مـا أريـد وأكثـر.

فـي مسـاء احـدى الايـام، إكتـظ المعـرض بالزبائـن، أصواتهـم تتداخـل، وأسـئلتهم تتشـعب، بينمـا كان أحمـد وصالـح يتنقـلان بسـرعة بيـن الزوايـا، تتصبـب الجبـاه، وتضيـق الأنفـاس، ولـم يعد بمقدورهمـا تلبيـة الجميـع. كنـت منهمـكا فـي تنظيـف إحدى الزوايـا حيـن لمحـت زوجيـن يغـادران المعـرض وهـم يتمتمـان بكلمـات أمتعـاض، يتبـادلان نظـرات استياء واضحة.توقفت عـن مـا بيـدي، وإنطلقـت خلفهمـا بخطـوات سـريعة، ندهـت لهـم بـود وصـدق:
«استاذ، مدام، محتاجين أي مساعدة؟»
توقـف الزوجـان، التفتـا إلـيّ . وقالـت السـيدة: « كنـا نريـد السـؤال عـن هـذا البوفيـه، لكـن لـم نجـد مـن يـرد علينـا.»
إبتسـمت، ورحبـت بهـم ، ثـم بـدأت أتحـدث بلغـة واثقـة بكلمـات كنـت سـمعتها مـن أحمـد مـع الزبائـن، عـن جمـال التصميـم ومتانـة الخامـات، وأسـلوب التصنيـع، ومصـدر الأخشـاب.
إقتنع الزوجان، وأشارت السيدة مبتسمة:
«سنشتريه، لكن... ألا يوجد تخفيض؟»
ضحكت بخفة، وقلت: «أكيد، بس بشرط واحد.»
تبادلنـا النظـرات، قلـت وانـا امـازح: «أن تصبحـي زبونـة دائمـة للمعـرض!» ضحكـت السـيدة وقالـت: «إتفقنـا»
أشرت لهما نحو مكتب أكرم لإنهاء الإجراءات.
كان أكـرم يجلـس خلـف المكتـب منهمـكا، وإلـى جانبـه، المهنـدس جـواد علـى كرسـي الانتريـه، ينظـر حولـه بنظراتـه المتأملـة المعتـادة.

أعد أكرم الفاتورة وحين رأى الرجل السعر، قال:
«أين التخفيض الذي وعدني به المصري؟»
رفع أكرم حاجبه، وقال: « أي مصري تقصد؟»
أشار الرجل إلي، فأدار أكرم رأسه لي وناداني ثم سألني:
-«هل وقعت لهم تخفيضا؟»
قلت بثقة وهدوء: - « نعم.»
تجهم وجه أكرم وسأله بنبرة لم تخف حدتها:
- «ومن خولك بالبيع أو التخفيض؟»
تنفست بعمق، ثم قلت دون تردد:- « المعرض كان مزدحم، وأحمد وصالح مشغولين، والزبون كان غاضب ويهم بالخروج. خفت أن نخسرهم، فاعتذرت لهم بتخفيض بسيط مقابل وعدهم بأن يكونوا زبائن دائمين.»
ساد الصمت لحظة قصيرة لكنها مشحونة.
تدخل المهندس ، ونظر إلى الزبون بابتسامة خفيفة، ثم قال:
- « التخفيض الذى وقعه المصري، حيخلينا نخسر، لكن... إحنا معرض كبير، وكلمتنا واحدة، حتى لو أتت من عامل.»
ثم التفت لي، وحدق فيّ للحظة، كأنما يرى فيّ شيئا مختلفا... تلك اللحظة، كانت شهادة خفية، بأن القادم يحمل في جوانبه ما لا اتوقع.
بعد أن غادر الزبون وزوجته، و غادرت معهما لحظة التوتر عاد الهدوء ناداني المهندس بصوت نافذ: « إبراهيم، تعال.»
ذهبت اليه، وقفت أمامه، قال ، بنبرة هادئة خلت من الغضب لكنها امتلأت بالجدية: « لم أرد أن أصغرك أمام الزبون، لكن... كيف توقع تخفيضا هكذا من تلقاء نفسك؟ دون الرجوع إلينا؟»
لم أتردد، لم أبحث عن مبررات زائفة، قلتها ببساطة: «الجميع كان مشغول، والزبون كان على وشك المغادرة دون شراء.

ثم إنني كنت معكم من يومين، سمعتك تشتكي لأكرم من ركود هذه القطعة تحديدا، وطلبت منه أن يوقع عليها تخفيضا لتباع.» صمت للحظة، ثم أضفت بصوت خافت لكنه صادق:
«حسيت إني أقدر أساعد.»
رفع جواد رأسه وحدق فيا، بعين من يختبر لا من يوبخ، ثم قال بجملة بدت أقرب إلى نصيحة جافة:
- «آخر مرة تسويها! اشتغل شغلك ولا تتعدى حدودك، كل واحد إله اختصاصه ،وماحد يتجاوز على الثاني..»
لكني، برهافة من اعتاد قراءة الوجوه، التقط ما لم يقل. كان الرجل يقولها بشفتيه، لكن وجهه كان يقول العكس. في عينيه بريق رضا، وفي زوايا ابتسامته المختبئة،اعتراف ضمني. لم يكن غاضبا... كان فخورا. كان وجهه يهمس في صمت:
«إفعلها ثانية، وثالثة، ما دمت تفعلها بهذا الإخلاص.»
مشيت من امامه بخطى ثابتة، قلبي دافئ، لا يحمل صك ترقية، ولا وسام شكر، لكني خرجت بحقيقة واحدة... لقد بدأت ارى.
كان المهندس جواد يقدر في موظفيه الولاء والتفاني أكثر من أي شيء آخر، لأنه كان يرى فيهما انعكاسا لرحلته الخاصة.
كانت لديه قناعة راسخة بأن الفرص يجب أن تمنح لمن يستحقها، وأن النجاح الحقيقي لا يقاس بالشهادات أو الخبرة السابقة بقدر ما يقاس بالرغبة الصادقة في التعلم والنمو.
في البداية، كان ينظر لي بتحفظ، كأي عامل جديد، لكنه مع مرور الأيام بدأ يرى فيّ شيئا مختلفا، شرارة طموح وإخلاص نادرين.
كان صباح بداية الأسبوع الثالث هادئا كعادته، حين دوى صوت غاضب قطع سكون المعرض، صوت زبون منفعل يتقدم بخطى غاضبة، وصوته يعلو فوق همسات المعروضات

وسكون الأرائك المغلفة: «ثالث مرة توعدوني وتكذبون! لا فني إجا ولا شي! والله ما أطلع من المحل إلا يجي الفني قدامي، أو ترجعولي الغرفة وتطوني فلوسي كاملة!»

كانت نبرة الرجل لا تحتمل تأجيلا، ولا تترك مجالا للاعتذار.
في تلك اللحظة، لم يكن أحمد ولا صالح في المعرض،كانا يركبان شغلا في الخارج، وكان أكرم واقفا في منتصف الممر، يقطب جبينه، كأنه يبحث في الهواء عن حل لا يأتي.
بين أركان الحيرة التي خنقته، اقتربت منه، وهمست:«أنا مستعد أروح معاه، وأركب الغرفة.»توقف الزمن لحظة عند أكرم، حدق في بدهشة، كأن عقله يسأله إن كنت جادا. لكنه لم يجد بديلا، ولا مهربا.
أومأ لي بالموافقة، كمن يلقي بورقة الأمل الأخيرة في مهب الريح. خرجت مع الزبون، و بقي اكرم بالمعرض في حالة ترقب صامتة. لم تمضي غير ساعتين حين عدت، الى المعرض بوجه متهلا وتقدمت نحو أكرم مهرولاً، وقلت بابتسامة لا تصطنع:«ركبت الغرفة، والزبون مبسوط واعطاني هذا المبلغ » تغير وجه أكرم، من الحيرة إلى الانبهار، ومن التردد إلى دهشة خفيفة تخللتها ملامح إرتياح.
أمسك الهاتف على الفور، وإتصل بالزبون، يسأله بنبرة مترددة:
«إي استاذي... شسوا وياك المصري؟»
وجاءه الرد من الطرف الآخر، دافئا:
«كملت الشغلة، ممنون منك حبيبي.»
أغلق أكرم الخط، وظل لحظة ينظر لي... ثم قال: «المبلغ إلك، تستاهله عن جدارة، ولك مبلغ بعد مثله ويا قبض الراتب.»

لتتحول الامور بعدها لـ 180 درجة ولم امسك المقشة او فوطة التنظيف بعدها الا قليلا فقد قضيت بقية الاسبوع فى التركيبات اما الخارجية فى منازل الزبائن او الداخلية في المعرض للمعروضات الجديدة.فامر التركيب لم يكن صعبا بالنسبة لى على العكس كان في غاية السهوله فالمصنوعات من تلك الدول تاني بمنتهي الاتقان ومعها كتالوج بتعليمات التركيب ،حتى لو لم تنظر الى الكتالوج يمكنك ان تشعر بنفسك ان كنت فى طريقك الصيح من عدمه ، فاذا شعرت ان الجزء او البرغى (المسمار) لا يدخل بسلاسة في مكانه فاعلم انك بتركب غلط وان هذا المكان ليس مكانه الصحيح.
كان التركيب في بيت الزبون له اجران بالاضافة الى الاجر الشهري الاساسي ، الاول فى شكل اكرامية من العميل نفسة والثانى من المعرض نفسة باضافة مبلغ للتركيب الخارجي شيئا فشيئا وجد احمد وصالح انفسهم تحولا الى عمال نظافة.
فانا دائم الغياب عن المعرض فى التركيبات الخارجية .

في خلال ثلاثة أسابيع، ثلاثة أسابيع بذلت فيها من الجهد والعزيمة والإخلاص ما يفوق التصور، استطعت أن أحول مساري من عامل نظافة إلى فني تركيبات، قاطعاً بذلك مسافة شاسعة لم أكن لأحلم بها في بداياتي المتواضعة.
لقد كان هذا القرار الجريء من إدارة المعرض، والمبني على شهادات صامتة من إخلاصي وتفانيي، بمثابة تتويج لجهدي الصادق، وبشارة بمستقبل يخبئ لي الكثير.
في الجانب الآخر من المشهد، لم يكن الفرح عاماً ولا الترقي محبوباً من الجميع.

أحمد وصالح، اللذان قضيا شهوراً طويلة في المعرض، يكدان ويعرقان، شعرا أن السجادة بدأت تسحب من تحت اقدامهما ، تزايد تكليفات التركيب بالنسبة لي ، وتزايد مهام النظافة بالنسبة لهم ، حتى انقلب الامر تقريبا... مهام التنظيف قبل عملي بالمعرض كانوا هم المسئولين عنها بالفعل، وليس لديهم غضاضة بالعودة لها ، ولكن ما اثار غيظهم هو حداثة سني من ناحية وحداثة عملي بالمعرض من ناحية اخرى .

أحسا بالطعنة من تكليفات الإدارة المتلاحقة لي بمهام التركيب الذي وضع فجأة عامل النظافة يعمل فوقهم ، واستحوذ على رزقهم ، وهما من تكفل بنظافة المكان إلى أن يأتي عامل جديد ليشغل مكاني..... هكذا حسبوها، و وهكذا، كانت ترقيتي شرارة أشعلت في قلبيهما غلاً وقهراً.

وفي إحدى الأيام، بينما كنت منهمكاً في تركيب قطعة أثاث ثقيلة، إذ بأحمد يدخل عليّ فجأة. لم يقل شيئاً في البداية، لكنه أخذ يتجول حولي بحركات استفزازية، ثم بدأ يطلق التعليقات اللاذعة:«ما شاء الله... الفاح بقى فني تركيبات ،ومن الفاس للمفك ، يافرحة امك فيك »

تمالكت أعصابي في البداية، وحاولت أن أكمل عملي بصمت. لكنه لم يتوقف. كان كلما اقتربت من إنهاء التركيب، تحرك بقسوة ليزعزع القطعة، أو يمر بجسده عارضاً طريقي.

حتى انفجرت اللحظة.

لا أذكر من بدأ بالأول، لكنني أتذكر جيداً صوت المرآة وهي تتحطم. مرآة أحد الكونسلات الفاخرة، تلك التي كانت معلقة على الحائط كزهرة بيضاء، تحولت فجأة إلى آلاف الشظايا الصغيرة التي تطايرت في الهواء كالنجوم المتساقطة.

ملأ رزاز الزجاج أرجاء المعرض، وتوقف كل من كان حولنا مذعورين. شعرت بدم يسيل من يدي، لكنني لم أشعر بالألم. كان الألم في تلك اللحظة أعمق من جروح السطح.
من حسن حظي أن أكرم كان يشاهد الموقف من البداية. لم يتحرك ليفرق بيننا، ربما لأنه أراد أن يرى الحقيقة بعينيه قبل أن يحكم.
وبعد التحقيق الداخلي، الذي استمع فيه أكرم إلى روايات الجميع، ثم كشف الحقيقة كما رآها، أدين أحمد بشكل واضح لا يقبل الجدل.
المهندس جواد، عندما وصلته التقارير، لم يتردد. استدعى أحمد إلى مكتبه، وأبلغه بقرار الطرد، مع خصم ثمن المرآة من حسابه الأخير.
خرج أحمد من المعرض ذلك اليوم، وهو ينظر إليّ بنظرة لم أعرف إن كانت غضباً أم حسرة. لكنه مضى. ولم يعد.

أما صالح، فبعد ما حدث لأحمد، استكن في معاملته معي وتحاشى إلى حد كبير. كان يتجنب النظر إلى عيني، وإذا اضطر إلى الكلام معي، كانت كلماته مقتضبة، باردة، لكنها مهذبة.
كنت أظن أن صالح قد تعلم الدرس، وأن الخوف من ملاقاة مصير صديقه جعله يتراجع عن عدائيته. كنت أظن أن الهدوء الذي خيم على المعرض سيدوم.
لكني كنت مخطئاً.

لـم تـدم اسـتكانة صالـح طويـلاً. ربمـا اسـتمرت عشـرة أيـام، أو اثنـي عشـر. ثـم بـدأت ألحـظ أشـياء غريبـة.
لـم يعـد صالـح يواجهنـي مباشـرة، لكنـه كان يحـاول دائمـاً اختـلاق المشـاكل فـي صمـت. بـدأ يخـرب بعـض التركيبـات بعـد أن أنتهـي منهـا، ليفـك بعـض البراغـي بهـدوء، أو يخفـي بعـض الأدوات لاتهـم بالسـرقة او بالاهمـال. كان يتحـدث مـع الزبائـن بصـوت خافـت، يلقـي فـي آذانهـم شـكوكاً حـول جـودة عملـي، لكـن بطريقـة لا يمكننـي إثباتهـا.
كان شيطاناً صامتاً. لا تسمع وطأته، لكنك ترى أثره.
أكثـر مـن مـرة، كادت أعمالـي أن تنهـار بسـبب برغـي مفكـوك أو قطعـة مفقـودة. كنـت أبحـث طويـلاً عـن الأدوات فـلا أجدهـا، وتمـر الايـام وأنـا غـارق فـي الشـكوك.
لـم أسـتطع أن أتقـدم بشـكوى ضـده، لأننـي لـم أملـك دليـلاً واحـداً. كان صالـح بارعـاً فـي صمتـه، خبيـراً فـي التدميـر دون أن يتـرك أثـراً.
لكـن أكـرم، الـذي كان يمتلـك عينـاً لا تخفـى عليهـا التفاصيـل، بـدأ يلاحـظ الأمـور. لاحـظ أن المهـام التـي كنـت أنجزهـا فـي سـاعتين أصبحـت تسـتغرق نصـف يـوم. لاحـظ أن هنـاك خلـلاً مـا، لكنـه لـم يسـتطع تحديـد مصـدره.
فـي النهايـة، اتخـذت إدارة المعـرض قـراراً صامتـاً، دون أن توجـه اتهامـاً مباشـراً لأحـد: تـم تعليـق إعـلان جديـد علـى بـاب المعـرض:
«مطلوب موظفين جدد للعمل في المعرض، ذوخبرة وبدون.»
لـم يقـل الإعـلان إن صالـح هـو السـبب. لكـن صالـح فهـم. لقـد فهـم أن الإدارة لـم تعـد تثـق بـه، وأنهـا تبحـث عـن بديـل عنـه فـي صمـت، دون أن تضطـر إلـى طـرده كمـا فعلـت مـع أحمـد.

شعر صالح بالتهديد. كان ينظر إلى الإعلان كل صباح، وكأنه شبح يقف أمامه.
وبالفعل، تم تعيين ثلاثة موظفين جدد بعد جولات من المقابلات والاختبارات. كانوا شباباً نشيطين، طموحين، لا يحملون لأحد ضغينة.
منذ اليوم الأول، انحاز الموظفون الجدد إليَّ بشكل طبيعي. كانوا يرونني أقوم بالتركيبات الصعبة، وأتعامل مع الزبائن بمهارة، وأعرف خفايا المعرض التي لا يعرفها غيري. أصبحت لهم مرجعاً وأستاذاً.وهذا ما زاد الطين بلة بالنسبة لصالح.
لم يعد صالح يتحمل. كان يشعر أنه أصبح غريباً في المكان الذي قضى فيه شهورا طويلة . كان يشعر أن الموظفين الجدد يتجاهلونه، وأنني أنا من أخذ مكانته الطبيعية.
الأمر الأكثر إيلاماً بالنسبة له، أن راتبه انخفض إلى النصف تقريباً .
لم يكن هذا قراراً تعسفياً من الإدارة،ولكنه كان نتيجة طبيعية لتغيير طبيعة العمل. فقد تم تكليفي بجميع التركيبات الخارجية التي كانت مصدر الدخل الإضافي لأقدم الموظفين.
ومع وجود ثلاثة موظفين جدد يتقاسمون المهام في المعرض، لم يعد لصالح دور يذكر.
وقف صالح ذات مساء على رصيف أمام المعرض، يحتسي شاياً بارداً، وينظر إلى السماء. ربما كان يتذكر أيامه الأولى هنا، عندما كان هو البطل، هو المطلوب، هو الذي لا غنى عنه.لكن الزمن لا يرحم.
في اليوم التالي، دخل صالح إلى مكتب المهندس جواد، وطلب تصفية حسابه والاستقالة من العمل.

لم يجادله المهندس جواد. لم يقله: «تمهل، فكر مرة أخرى.» لم يقله: «ربما نستطيع تعديل راتبك.»
لا. المهندس جواد، الذي كان ينتظر هذه اللحظة منذ أسابيع، استجاب لطلبه على الفور، بترحاب واضح.
خرج صالح من المكتب بعد عشر دقائق، يحمل أغراضه الشخصية في كيس بلاستيكي. نظر إليّ للحظة، وأنا أقف بين الزبائن، أشرح لهم عن جمال الموبليا لدينا.
لم يقل شيئاً. لم يبتسم. لم يتقدم ليتصافح. التفت وخرج من الباب، واختفت خطواته في ضجيج الشارع. لم يعد صالح بعد ذلك اليوم. ولا أحمد.
استقر الوضع في المعرض، كأن العاصفة قد مرت وغسلت كل شيء. وبت ركيزة في المكان، لا يسألني أحد عن ماض، فالكل يرى حاضري ويشهد له.
ومرت الأيام هادئة، مليئة بالإنجازات والمبيعات، بالابتسامات من الزبائن، وبالنقاشات حول البيع والتركيب والأسعار.
مرت الثلاثة أشهر كأنها طرفة عين، حتى جاء اليوم الذي طالما عرفت أنه سيأتي... يوم المغادرة
دخلت الى المهندس جواد بإبتسامه هادئة وقلت:«جاء وقت الرحيل، أحتاج اجازة لأيام قليلة لإنهاء إجراءات السفر.» فوجئت بردة ، وقد وضع يده على كتفي بثقة، وقال: «لا تغلب روحك... ناولني جوازك.» وقال: « أكرم يكملك كلشي... يصرفلك الفلوس ويحجزلك تذكرة من مطار بغداد لمطار القاهرة.»

وفي يوم السفر، كان الجميع يقف عند باب المعرض، يودعني. الوجوه التي كانت تراني غريبا، صارت ترى فيّ فردا من العائلة. صافحني المهندس/ جواد وقال بنبرة صادقة: «مكانك محفوظ بأي وقت، من تخلص قرايتك... تعال بلا تأخير، انت صاحب مكان هنانا.»

إبتسمت بامتنان، وحملت حقائبي ، وخرجت من المعرض، تركت خلفي إسم محفور في جدران المكان،وتركت في القلوب يقينا: أن الجهد لا يضيع، وأن الشغف لا يخفى،وأن البداية، وإن كانت بالمكنسة... فالنهاية لا حدود لها.

عدت إلى مصر على متن طائرة «مصر للطيران» ، تطوي السماء طياً بين بغداد والقاهرة، في ساعتين فقط بدا خلالهما وكأن الزمان أراد أن يجبر خاطري بعد مشقة الذهاب.
فقد كانت رحلة الذهاب برا، شاقة، متعرجة، كأن كل ميل فيها إمتحان لصبري وإصراري، وها أنا أعود الآن محمولا على أجنحة الراحة، كأن السماء نفسها تحتفي بعودتي.
كانت الطائرة تتزلق في الأفق بهدوء، ومن خلف النافذة المستديرة، رحت أتأمل الغيم المتناثر، والضوء يتسلل بين طبقاتي كحكاية بيضاء تروى في صمت.
شعرت كأن الزمن منح لي فرصة صغيرة لالتقاط أنفاسي، لافكر في كل ما مر بي، وأتهيأ لما هو قادم.

عدت إلى مصر بقلب ممتلئ بحنين، وجيب ممتلئ ببعض الدولارات، و بأكثر مما يعد ويحصى: تجارب، رؤى، إنفتاحات جديدة على العالم والفن والذات.

حين وطئت قدماي أرض مصر ، كان في إستقبالي دفء لا يشبه أي دفء، عيون أهلي المشرقة، وابتساماتهم العريضة، وأياد لم تكف عن العناق.
ضحك، وابتسامات، وأصغاء لأسئلتهم ولهفتهم، وقضيت يومي بينهم وكأني لم اغادر قط. لكن روحي، رغم سعادتها، كانت تركض في جهة أخرى، جهة تعرفها جيدا.

مع أول خيوط الصباح، استيقظ قبل الجميع، قلبي يقرع كساعة قديمة تعرف موعدها بدقة. لم اتكاسل، لم اتأمل الفجر طويلاً، ارتدى من جديد ملابسي ، وركضت. ركضا نحو الجامعة، نحو الاتيليه، نحو وطني الثاني.
كنت اعرف الطريق عن ظهر قلب، كل زاوية، كل شجرة، كل مقعد على الرصيف كأنه يرحب بي. وصلت وانا الهث، من شوق تراكم في صدري طيلة الغياب.
وقفت أمام باب الأتيليه لحظة، ثم دخلت برفق، كمن يعود إلى بيته الحقيقي... حيث الاصدقاء والالوان، والفرش، ورائحة التنر والتربنتين ... حيث نفسي الحقيقية تنتظرني.
عدت إلى شغفي المتجدد، إلى الذي كان لى وطن آخر، بقعة نور نادرة أهدتني إياها الحياة وسط صخبها وزحامها.
رأيت فيه ملاذا يمنح الأمان، يهمس لي كل يوم بإمكانات جديدة، بأبواب تنتظر من يطرقها بجرأة وشغف
الأتيلية في عينني كان ميدانا للتجريب، مختبرا فنا لصقل الموهبة، ومرآة ارى فيها نفسي في كل مرحلة.
لم اكن اسعى وراء الجوائز أو الألقاب، همي المعرفة، اسعى خلف الدهشة، خلف ذلك الشعور النادر الذي يتسلل إلى القلب حين تمسك الفرشاة وتفقد الإحساس بالوقت.

في عامي الثاني بين جدران الأتيليه، بدات وكأني طفل في مدينة ألعاب فنية، أركض بين الخط العربي، والنحت، والرسم، والتصوير الزيتي.
لم أترك خامة إلا ولمستها، ولم يعرض أمامي أسلوب إلا وجربته، للتنوع، ولفتح نوافذ جديدة تطل على آفاق أوسع.
وقد أثمرت تلك المرحلة عن مجموعة أعمال متنوعة ومميزة، خاصة في الخط العربي والنحت، كان فيها صوتي الفني واضحا، لا يشبه أحدا سواه.
الا أن التحدي الحقيقي تمثل في قراري الجريء بالمشاركة في مسابقة الجامعة في مجال الخط العربي والزخرفة.
كان الهدف رغبتي الصادقة في إختبار تجربتي الوليدة، في توثيق فكرتي التي آمنت بها منذ البداية، لم أكن أسعى الى جائزة جديدة، .
كانت فكرتي بسيطة في ظاهرها، لكنها عميقة في جوهرها:
أن تجسد الكلمة معناها، أن تصبح حروفها مرآة لصورتها.
لم يكن هذا الاتجاه سائدا آنذاك، كانت هناك محاولات متفرقة هنا وهناك، لكنها لم تتشكل يوما كتيار فني معترف به.
وحين أعلنت النتيجة، كانت المفاجأة المبهجة: فزت بالمركز الأول للعام الثاني على التوالي،في مجال الخط العربي والزخرفة عن لوحتي «العقاب»، التي قدمتها في العام الجامعي 1988.
كان الفوزعلامة على أن الطريق الذي اسلكه ليس عبثا، وأن ما ازرعه بشغف، سيثمر يوما ما بإبداع يذكر.

قراءة فى لوحة

«العقـــــــاب»

الحائزة على المركز الاولى جامعات خط عربى وزخرفة للعام الجامعى 1988

يحمل العمل رسالة روحية وفكرية تتأمل العلاقة بين النعمة والجحود والعقاب، مستلهماً الآية الكريمة من سورة النحل:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.



ابراهيم شلبى مع عمله الفائز بالمركز الاول جامعات فى العام الجامعى -1988 - الوان جواش على ورق كانسون - 100×70 سم – انتاج 1988

وقد تمت معالجة النص القرآني بصرياً من خلال تكوينات حروفية تجمع بين جماليات الخط العربي الكلاسيكي وروح التجريد المعاصر، لتجسد بصرياً التباين بين الاستقرار والفوضى.

يقوم التكوين على تقسيم الآية إلى أربعة أجزاء مترابطة: النعمة، الجحود، النتيجة، والسبب.
في الخلفية يظهر الجزء الأول من الآية:
«مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ»
مكتوباً بخط الثلث في تكوين هرمي مزخرف ومتداخل، تتناغم فيه الألوان البيضاء والذهبية لتوحي بحالة من الرخاء والطمأنينة التي كانت تعيشها القرية. وتنساب

حولـه خلفيـة سـوداء تتخللهـا تشـكيلات خطيـة ذهبيـة تضيـف عمقـاً بصريـاً للمشـهد.في أعلـى اللوحـة يظهـر شـريط أحمـر عريـض يحمـل سـبب التحـول فـي الآيــة: «فَكَفَـرَتْ بِأَنْعُـمِ اللَّهِ»

مكتوبـاً بخـط النسـخ، بينمـا تختبـئ خلفـه أجـزاء مـن البسـملة المنفـذة بخـط الطغـرى، فـي إشـارة رمزيـة إلـى حالـة الجحـود والنكـران.

أما النقطة المحورية في العمل فتتمثل في الجزء الثالث من الآية:

«فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ»

وقـد كتـب بخـط الفارسـي داخـل دائـرة حمـراء محفـورة فـي الخلفيـة السـوداء، لتكـون رمـز للعقـاب والتحذيـر، حيـث يعـزز اللـون الأحمـر البعـد الدرامـي للنـص ويجسـد نتيجـة الجحـود. وفـي أسـفل اللوحـة يظهـر الجـزء الأخيـر مـن الآيــة: «بِمَـا كَانُـوا يَصْنَعُـونَ» داخـل مسـتطيل أسـود بخـط فارسـي، يخفـي خلفـه أجـزاء مـن عبـارة «صـدق الله العظيـم» المكتوبـة بخـط الطغـرى باللـون الأحمـر.

وعلـى يميـن اللوحـة يتكـرر اسـم الجلالـة «الله» فـي خـط أفقـي باللـون الأبيـض، ليجسـد ثبـات الإرادة الإلهيـة وقدسـية الذكـر، وليشـكل فاصـل رمـزي بيـن النعمـة والعقـاب. ويعـزز هـذا التكـرار الشـعور بالاسـتمرارية والذكـر الدائـم، فـي إشـارة إلـى أن الله هـو مصـدر الـرزق والطمأنينـة، وهـو أيضـاً مـن ينـزل العقـاب عنـد الجحـود.

مـن خـلال هـذا التكويـن المتعـدد الطبقـات، تتحـول الآيـة إلـى بنـاء بصـري يعكـس معانيهـا العميقـة؛ فالألـوان الذهبيـة تشـير إلـى النعمـة والرخـاء، بينمـا يرمـز الأسـود إلـى العمـق والرهبـة، ويبـرز الأحمـر كعلامـة تحذيـر وعقـاب. كمـا أن الجمـع بيـن خطـوط الثلـث والنسـخ والفارسـي والطغـرى يمنـح العمـل طابعـاً ديناميكيـاً، حيـث يحمـل كل خـط طاقـة تعبيريـة مختلفـة تسـهم فـي بنـاء إيقـاع بصـري متـوازن.

ويعمـل العمـود الأبيـض الـذي يضـم تكـرار اسـم الجلالـة علـى تحقيـق تـوازن بصـري داخـل التكويـن، إذ يقابـل الحركـة القويـة للعناصـر الأخـرى بثبـات رمـزي يعمـق الإحسـاس بالتقابـل بيـن الاسـتقرار والتحـول، وهـي الفكـرة الجوهريـة التـي تعكسـها الآيـة الكريمـة.

« قل هوالله احد »

تجسد هذه اللوحة فكرة التوحيد من خلال معالجة بصرية تجمع بين الحركة الرمزية وجماليات الخط العربي. يقوم العمل على تصوير مجموعة من الأيدي في أوضاع متتابعة، تتحول تدريجياً حتى تصل إلى الوضع النهائي برفع السبابة، في إشارة رمزية معروفة إلى الإقرار بوحدانية الله
اعتمد الفنان على توظيف الآية القرآنية «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» داخل تكوينات الأيدي نفسها، بحيث تتداخل الحروف مع أشكال الكفوف في علاقة عضوية تجمع بين الشكل والمعنى، فيتحول الخط العربي إلى عنصر تشكيلي يندمج مع الجسد ليعبر بصرياً عن مفهوم التوحيد.
تظهر الأيدي في أربعة أوضاع متتابعة، تمثل مراحل رمزية للحركة. تبدأ باليد المبسوطة التي تحتضن النص القرآني كاملاً، ثم تنتقل إلى يد منثنية تتكيف مع مسارات الحروف وانحناءاتها. يلي ذلك وضع اليد المقبوضة، الذي يوحي بالقوة والتركيز والاستعداد، قبل أن تبلغ الحركة ذروتها في اليد التي ترفع السبابة، باعتبارها العلامة الرمزية الأكثر وضوحاً للتوحيد.



ابراهيم شلبى مع لوحة بالخط العربى - بالوان الزيت على خشب ابلاكاج
كتابه صورة الاخلاص
« قل هو الله احد »
1988

يتوزع هذا التسلسل الحركي في تكوين شعاعي يمنح اللوحة إحساساً بالديناميكية والتطور، حيث تنجذب عين المشاهد تدريجياً نحو مركز التكوين، النقطة التي تتقاطع فيها الخطوط البصرية مع اليد التي ترفع السبابة بوصفها المحور البصري والروحي للعمل.
أما على المستوى اللوني، فقد اعتمد الفنان على درجات اللون البني بتنوعاتها المختلفة، ما يمنح اللوحة طابع روحاني دافئ ويعزز إحساسها بالوقار والسكينة، في انسجام مع الموضوع الروحي الذي يتناوله العمل.

قراءة فـــــى
قيود وهمية

تجليـات عـام 1988..
بيـن ماديـة المشـهد
وفلسـفة القيـد

تمثل الأعمـال المنجـزة فـي عـام 1988 محطـة استكشـافية، سـعى مـن خلالهـا إلـى تطويـع الخامـة لخدمة تسـاؤلات وجوديـة وحضاريـة، متنقـلاً بيـن ثنائيـة «الاسـتمرارية» فـي اللوحـة و» المواجهـة النفسـية» فـي التمثـال.



ابراهيم شلبي مع اعماله
الحضارة ـ زيت على نسيج بلاستيكى
مجسم نحت من الحجر الجيري
تمثل خروج المارد 1988

أولاً: لوحة نفرتيتي..

جدلية الذاكرة والحـــداثة
فـي هـذا العمـل، يقيـم ابراهيـم حـوار بصـري عابـر للزمـن، حيـث يلتقـي وجـه الملكـة «نفرتيتـي» برمزيتـه التاريخيـة مـع مفـردات الواقـع المعاصـر (المتـرو، الأبـراج السـكنية).

لا يقدم العمل كمقارنة بصرية، انما كطرح فكرة «الصيرورة الحضارية»؛ إذ تظل الهوية المصرية هي المتن الثابت الذي تتشكل حوله هوامش الحداثة.
وما يميز هذا العمل هو جرأة المعالجة التقنية؛ حيث استخدمت ألوان الزيت على نسيج بلاستيكي مغزول. هذا الاختيار المتعمد للخامة يمنح اللوحة «عمق مادي» وخشونة ملمسية تعكس تداخل خيوط الماضي والحاضر، وتحول المشهد من مجرد توثيق بصري إلى تجربة حسية تربط التراث بالحداثة في نسيج واحد متصل.

ثانياً: تمثال «قيد وهمي».. سيكولوجية العائق والعبور

ينتقل فيها في تجربته النحتية الأولى على الحجر الجيري والجبس إلى آفاق فلسفية أكثر عمقاً، متخذاً من شكل «الصدفة البحرية» مسرح لصراع كوني مصغر. التمثال يجسد كائنات تحاول الانعتاق من داخل صدفة مفتوحة، لكنها بدلاً من الخروج عبر المنافذ المتاحة، تختار شق طريقها عبر الجدار العلوي الصلب في محاولة مضنية للاختراق.
يستند العمل هنا إلى «مفارقة الوعي»؛ فالصدفة تمنح الحرية فعلياً من خلال فجواتها، لكن الكائنات تظل أسيرة «تصورها الخاص» عن العائق. إنها تهاجم الجدار لأنها أدركت القيد كحتمية، غافلة عن آفاق التحرر المحيطة بها.
يطرح «قيد وهمي» تساؤلاً جوهري حول طبيعة الحرية:
هل العوائق تسكن المادة أم تسكن الفكر؟
ليخلص العمل إلى أن التحرر الحقيقي ليس فعل فيزيائي يتطلب تحطيم الجدران، بقدر ما هو «إعادة إدراك» للذات وللمنافذ المفتوحة التي نغفل عنها بفعل قيودنا الذهنية والنفسية.

الخــطاط

الكتابة على جدران الغربة

فـي متاهـات الأقـدار الملتويـة، تتجلـى الـروح بصمتهـا العميـق، حيـث تتكسـر الأحـلام علـى عتبـات الواقـع الباهت، لتعيد بعـث ذاتهـا مـن رمـاد اليقيـن المنهـار. فالإخـلاص يقـاس بثبـات الخطـى علـى دروب التحديـات المجهولـة، متجـاوز صدمـات الفقـد ولسـعات الغـدر، ليحـول مـرارة الشـاي إلـى حـلاوة الصبـر، وتعـب الحـوض إلـى فن الشـواء؛ فالنجـاح هو ذاك الشـغف الأزلـي الـذي يتألـق فـي كل لحظـة مقاومـة، معلـن أن قيمـة الإنسـان يحددهـا إصـراره اللامتناهـي علـى أن يكـون، وأن يضـيء حتـى مـن بيـن الأنقـاض.

6 بين القاهرة والعــراق: ....سعي لا يعرف التوقف

إنتهـى العـام الدراسـي، وكأن القيـود قـد إنكسـرت فجـأة عـن قدميـي، فانطلقـت بخفـة مـن تحـرر لأسـابق ظلـي. لـم أتـوان لحظـة؛ أسـرعت فـي إتمـام أوراق جـواز السـفر، ثـم لـم تمـض أيـام حتـى حصلـت علـي تذكـرة سـفر علـى متـن عبـارة تشـق البحـر نحـو العـراق.
لـم تكـن رحلتـي هـذه كتلـك التـي سبقتها. لـم أكـن ذاهبـاً إلـى المجهـول كمـا فـي العـام الماضـي، حيـن حطـت قدمـاي هنـاك للمـرة الأولـى، وأنـا أجـر خلفـي شـكوكي، هـذه المـرة، كان فـي عينيـي بريـق العـارف، وفـي خطواتـي ثقـل التجربـة، وفـي قلبـي سـكون الاطمئنـان. صـار لـى فـى العـراق أصدقـاء، ومـكان يعرفنـي النـاس فيـه، ومهنـة يقدرهـا السـوق،
فـي تلـك المـرة، قبـل أن أشـد الرحـال مجـددا، جلـس معي أخـي الأكبـر عبـد النبـي، وفـي نبرتـه مزيـج مـن حنـان الأخـوة وخبـرة السـنين، وقـال: دعـك مـن بغـداد، وإذهـب إلــى تكريـت... فــي محافظــة صــلاح الديــن ، هنــاك أصدقــاء لــي كثــر، ســيقفون معــك كمــا وقفــت معهــم، ولــي فيهاغرفــة مفروشــة، بــكل المتطلبــات، تركتهــا كمــا هــي قبــل أن أعــود إلــى مصــر لأســتلام وظيفتــي بالتربيــة والتعليــم.

وأنت تعلم إنني أنتوي الرجوع، بمجرد حصولي علي أجازة من عملي واللحاق بك ، لنكون معاً .
كانت كلماته مغلفة بالعقل والمنطق، محملة بوعد الراحة والاستقرار، لم شمل الاخوة في الغربة، لكني كنت قد حددت هدفي في إستكمال رحلة النجاج الاولي والوصول بها الي محطة جديدة .
هزيت رأسي بابتسامة خفيفة، تحمل شيئا من الامتنان وكثيرا من العزم، وقلت:
« لن أترك بغداد، عملي هناك محجوز في معرض قصر الأميرات بالمنصور... دخلته عامل نظافة، وخرجت منه موظفا كبيرا، ومن يدري؟ قد تسنح لي فرصة أخرى، وأخرج منه هذه المرة مدير.»

سافرت إلى بغداد، علي نفس الطريق البري، كما لو أني إريد أن أمر بكل شبر فاتني من الأرض، أن أرى الغبار والحجارة والحقول والقرى وهي تتوالى أمامي ببطء، جلست في المقعد الخلفي للحافلة، نافذته نصف مفتوحة، يمر منها هواء لا هو بارد ولا حار، تماما كما هو حاله الآن: بين خوف قديم وطمأنينة جديدة.
الغريب أن معاناة السفر لم تكن كما كانت من قبل. الطريق ذاته، المسافات ذاتها، محطات التفتيش، الساعات الطويلة، لكن لم أشعر بتلك الغصة التي لازمتني في المرة الأولى، حين كان كل شيء مجهولا وكل وجه غريب.
ربما لأن قلبي هذه المرة كان أكثر اطمئنانا، أو ربما... لأني لم أعد ذلك الصبي الطري الذي ودع أهله أول مرة ودمعه في عينيه.

الزمن أثقلني، نعم، جعلني أكثر هدوءا، أكثر تقبلا، وأكثر فهما للصمت الطويل ، في الطريق كنت أنظر من النافذة لاتذكر: بغداد، حيث بدأت أول خطوة خارج الظل، وهناك حيث إنتظر مني القدر أن أكمل ما بدأت.

وصلت إلى بغداد كما يعود الحالم إلى سريره بعد غربة طويلة نزلت من الحافلة وأنا أحمل قلبا مثقلاً بالذكريات، وخطى تعرف وجهتها دون تردد.

ركبت الأوتوبيس متوجها إلى المنصور، أجلس بصمت والمدينة تمر من حولي كأنها شريط من ماض بعيد، كل شارع فيها يحمل لي زمن كان يضج بالحياة والأمل.

وحين وقفت أخيرا أمام المعرض، « قصر الاميرات للأثاث»، شعرت وكأني أعود إلى بيت قديم، بيت أحبه وسكنته وسكن فيّ. تأملت الواجهة التي أعرفها كما اعرف ملامح وجهي، لكن شيئا ما لم يكن على ما يرام.

إقتربت بخطوات بطيئة، وعيناي تنقبان عن الألفة، عن الحياة، عن الحركة. لم يكن هناك سوى صمت كثيف، أبواب مغلقة، وواجهات زجاجية باهتة، كأن الزمن نفسه قرر أن يغلق قلبي في هذا المكان. وضعت يدي على الزجاج، حاجبا ضوء النهار عن عينيي، ونظرت إلى الداخل...

المفروشات كما هي، في أماكنها، لم يتحرك منها شيء، لكن التراب غلفها كما يغلف الكفن جسد الميت. خيوط العنكبوت كانت كالنقوش السوداء على جدران الحزن، تتدلى من الزوايا كستائر حداد.

المعرض بدا جثة هامدة، والمفروشات كأنها تبكي... ...تبكي غياب من كان يمنحها روحا، من كان يعطر هواءها بصوته، بحركته، بأحلامه.

شعرت بطعنة صامتة في صدري. هذا لم يكن المكان الذي تركته. أين ذلك البريق؟ أين الضحكات والأنفاس والأنوار التي كانت لا تنطفئ؟ كان «قصر الأميرات» في قلبي لا يقل بهاء عن إسمه، والآن أقف أمامه وكأنه قبر مفتوح.
الخذلان تسرب إليا تدريجيا. لم أكن أتوقع أن أعود إلى حلمي لأجده رمادا. للحظة، تمنيت لو أني لم أعد، لو بقيت الصورة كما كانت، مشرقة في ذاكرتي، بعيدة عن التراب والعناكب.
وقفت طويلا لا أتحرك، كأني جزء من الواجهة، كأن حزني هو الستارة الجديدة التي نصبت أمام المعرض.
لم أكن أبكي، لكن شيئا في داخلي إنهار بصمت. فقد عدت أحمل الحنين، لأجد أن الحنين نفسه صار عبئا، وأن الماضي، حين ينهار، يترك خلفه صدى لا يمحى.
ركضت بخطى متعثرة، قلبي يسبق جسدي، أبحث عن تفسير لهذا الخراب، لهذا الصمت الذي لا يشبه بغداد التي أعرفها، ولا يشبه «قصر الأميرات» الذي كان بالأمس عالمي الصغير.
طرقت أبواب الجيران، وعيني ترجوان خبراً يطمئن القلب، ولكن ما سمعته كان أقسى من كل التصورات.

قالوا بهدوء مبلل بالحزن: «المهندس جواد... توفي. حادث أليم، لم ينج منه. ومنذ رحيله، والمعرض على حاله. أهملته الخلافات، تمزق بين الورثة، ولم يجد من يلم شتاته.»
تجمدت في مكاني. إنسحبت الأرض من تحت قدمي. لم يكن الحزن على وظيفة ضاعت أو فرصة تلاشت، كان حزني على رجل كان لي بمثابة الأب والمعلم، على عشرة طيبة، وإبتسامة رحبة، على أيام لن تعود.

وقفت أمام باب المعرض، وضعت يدي على الزجاج كأنما أربت على روح ميتة. حاولت أن أمنع الدمع من الهروب، لكنه كان أثقل من كبريائي، وأصدق من أي كلمات.
المكان كله تحول في عيني إلى شريط من الذكريات... يومي الأول حين وطئت العتبة بخجل العامل الجديد، النظرات الأولى، المهمات الصغيرة التي كانت تسلم ليَ بحنان، الضحكات في زاوية المعرض، لمعة الزجاج وقت الغروب، حتى لحظة الوداع الأخيرة، وكل شيء كتب على جدران قلبي الآن، يعرض أمامي كفيلم حزين لا يريد أن ينتهي.
همست لنفسي، بصوت منكسر:
«إنّا لله وإنّا إليه راجعون...»
ولم أكن أقصد المهندس / جواد فقط، قصدت ايضا، كل ما مضى. اقصد قلبي الذي ودع معه جزءا من صباه، من براءته، من ذلك الحلم الذي عشته ولو لأيام، فعاش في.
وقفت طويلا أمام باب «قصر الاميرات »، حتى بدا وكأني جزء من الجدار، كأن ذاكرتي التصقت بالحجارة القديمة والزجاج الباهت، وكأن روحي تأبى الرحيل.
لكن الدموع، مهما كانت دافئة، لا تبني بيتا، والحزن، مهما كان عميقا، لا يوقظ ميتا.
حين إستفقت من شرودي، مسحت وجهي بكف مرتجفة، وتنفست بعمق، كأنما الفظ آخر ما تبقى في صدري من ذكرى مؤلمة.
كانت كلمات «عبد النبي» لا تزال ترن في أذني، وكأنها الآن فقط وجدت طريقها إلى قلبي: «تكريت يا إبراهيم... هناك من ينتظرك.»

رغم أن الفرص أمامي كانت كثيرة؛ المعارض تحيط بي من كل جانب، يعرفوني واعرفهم، يكفي أن اخطو خطوة داخل أي منها، حتى يفتح لي الأبواب وتمد لي الأيادي.
لكني لم اكن ابحث عن عمل... كنت ابحث عن طهر البدايات. لا ارغب في أن ينزع اسمي من « قصر الأميرات» ويعلق على باب معرض آخر... كأن شيئا من الخيانة سيسكن في قلبي إن فعلت ذلك.
في داخلي، كنت اشعر أن البقاء خيانة للراحل /جواد، خيانة للعشرة، للمكان، للذكرى.
فالمعرض وإن أغلق، لا يزال حيا في قلبي، وكل معرض آخر سيكون ظل باهت، لا يشبه شيئا مما مضى.
بصمت يشبه الوداع، غادرت المكان. عبرت الشوارع التي طالما عرفتها، وتجنبت النظرات التي تعرفني.
اتجهت إلى موقف الأوتوبيس، احمل حقيبتي وذكري لا تفارقني.
جلست في المقعد، وأدرت وجهي إلى النافذة، اترقب ابتعاد بغداد تدريجيا، كما اودع حبيبا اعرف أنني لن اعود إليه.
اتجه إلى «تكريت»، مسقط رأس الرئيس صدام حسين، الواقعة على بعد 175 كيلومترا شمال بغداد.
لم أكن أعرف ما الذي ينتظرني هناك، لكني كنت أعرف تماما ما تركته خلفي: قلبا مثقلا بالحزن، وحلما طواه الغبار، ووفاء لصديق رحل قبل أن أودعه.
وكان في عينيي شيء لا يقال، شيء يشبه الحنين، ويشبه الحسم... كأنما بدأت فصلاً جديدا، لكن على صفحة لا تزال رطبة من دموع الأمس.
حين وصلت إلى تكريت، لم اشعر بالغربة كما كنت اتوقع. كان المكان غريبا عن عينيي ، لكنه مألوف في قلبي .

أخرجـت مـن جيبـي ورقـة العنـوان. سـرت فـي الشـوارع بهدوء، اسأل حين احتاج، واصمت حين تغمرني الذكريات، حتـى وصلـت.
المنطقـة كانـت سـكنية، يطلقـون علـى البيـوت فيهـا اسـم «حـوش»، وكان لـكل حـوش طابعـه الخـاص، بيـت مـن دور واحـد تحيطـه حديقـة، تحميـه أسـوار متوسـطة، كأن البيـوت هنـاك تعـرف سـر السـتر والطمأنينـة.
أمـا «الحـوش» الـذي انتميت إليـه، فقد بـدا كأنـه ينتظرنـي. بيت كبيـر، تقـف حولـه الأشـجار صامتـة، ونافـذة مفتوحـة تنظـر إليـه كعيـن حنونـة. دخلـت بخطـى متـرددة، كأن قلبـي لا يـزال عالقـا ببغداد، لكنـي مـا لبثـت أن استسلمت للسكينة التـي تسـكن المـكان.
كل الوجـوه التـي قابلتهـا كانـت تحمـل شـيئا مـن الـود: دفء الكلمـات، طيـب السـريره. استقبلوني كمـا يستقبل الابـن الغائب.
دخلـت غرفتـي. غرفـة بسيطة، نظيفـة، مرتبـة، خلعت ملابسـي، كأنمـا اخلـع عـن جسـدي تعـب السـفر، وغبـار المـدن، ودمـوع الأمـس. تمددت علـى السـرير، وأغمضـت عينيـي، فهبـت عليـا نسـمات مـن الحديقـة، تحمـل رائحـة الهـدوء، وشـعورا غامضـا يشـبه العـزاء.
وفـي غمـرة الصمـت، وبيـن آخـر لحظـة وعـي وأولـى لحظـات النـوم، كان قلبـي يهمـس: «ربمـا لا أنسـى، لكـن يمكننـي أن أبـدأ مـن هنـا.»
استيقظت بعد سـاعات مـن نـوم عميـق، كأن جسـدي كان يحمـل أوزان سـنوات، وكان هـذا السـرير الهـادئ فـي تكريـت أول حضـن آمـن لـي منـذ وصولـي.

جلست على حافة السرير، اتطلع إلى الغرفة من حولي، رأيت يد «عبد النبي» وهي ترتب فيها الأثاث ، تفكر، تضع منشفة هنا، ووسادة إضافية هناك، سمعته دون صوت: «اطمئن... لن تكون وحدك.»
فتحت النافذة، نظرت إلى الحديقة الصغيرة التي تطوق البيت، أشجار، وعشب يابس في أطرافه لكنه لا يزال ينبض بالحياة.
بدا لي المكان كصفحة بيضاء، ليس فيها غبار بغداد ولا دموع قصر الاميرات. فيها فقط الحاضر، بصوته الخافت، يدعوني لأن اعيش، بهدوء.
ومع أن الحنين لم يغادرني، ومع أن قلبي ما زال يحمل جنازة رجل وذكرى معرض مات واقفا، إلا أن شيئا بداخلي بدأ يلين، كأن الصقيع الذي كان يحيط بروحي قد وجد نارا صغيرة يتدفأ بها، أخيرا.
ارتديت ملابسي، ومضيت إلى الشارع بخطى وادعة... للبحث عن عمل، عن باب أدخل منه إلى حياة جديدة.

تكريت بدت لي أكثر وضوحا في ضوء النهار. مدينة صغيرة، دافئة. كل شيء فيها يمر عبر طريق واحد طويل، كأن الزمن هنا، يسير في سطر مستقيم. بها لمسة ريفية، تجعل من الناس أكثر قربا، ومن الأماكن أكثر صدقا.
كنت أعرف تماما ما أريد. قلبي ما زال متعلقا بعالم لإعلانات،لأنه الأقرب لي. سألت عن وكالات الإعلان،فعرفت أن تكريت لا يوجد بها سوى وكالتين، متواليتين على ذات الطريق.
دخلت أولا إلى الخطاط « سليم للدعاية والإعلان»، وكان اللقاء أبعد ما يكون عن الرسمية.

وجدت رجلاً أربعينيا، ملامحه تبعث على الراحة، له عينان صادقتان وصوت هادئ، فيه نبرة الأخ والصديق معا. وقفت أمامه، قدمت نفسي ببساطة، وتحدثت عن رغبتي في العمل.
اعتذر الاستاذ «سليم» بلطف، لم يكن بحاجة إلى موظف،كان إعتذاره مليئا بالاحترام والاهتمام، كأنما كان يود لو استطاع أن يخترع مكانا لي قد يكون تعاطف معي من أول لحظة.
ذلك اللقاء، على قصره، نسج خيطا من مودة صامتة بيننا، لم يكن هناك وعد ولا مصلحة، لكني شعرت بوجود شخصا أرى فيه ما لا يراه كثيرون، ومنذ ذلك اليوم، صار بينا ود يشبه الأخوة. تبادلنا الزيارات، كنت ازوره من حين لاخر، لاستظل بتلك السكينة التي كانت تحيط به، وسليم بدوره، لم ينس أن يرد الزيارة، حاملاً معه ابتسامته.

خرجت من وكالة «سليم» وفي قلبي خيط رفيع من الراحة، وإن لم احمل معي وظيفة. والواقع ما زال يفرض سطوته، والحاجة للعمل تدق على بابي بلا رحمة.
قادتني قدماي إلى الوكالة الثانية، الخطاط « أبو أنس»، لم تكن بعيدة، فتكريت مدينة تمشي على طريق واحد. عندما دخلت المكان، أحسست بشيء بارد في الهواء. شيء لا يرى، لكنه يشعر. كان أبو أنس رجلاً في الخمسين، طويل القامة ونحيلًا، أبيض الشعر والبشرة، بعينين جاحظتين تعطيان وجهه مظهر دائم التوتر. كان صوته جافا، وابتسامته نادرة وميتة، كأنها تظهر فقط لأسباب عملية.
قلت بهدوء:ـ «هل تحتاج إلى خطاط؟»

لـم يجـب الرجـل بكلمــة، أشــار بيـده فقـط إلـى كرسـي أمــام مكتـب خشـبي، خـال مـن الـود. ناولنـي قلـم خطـاط وسـكتش للرسـم، ثـم قـال بنبـرة خاليـة مـن الحماسـة: ـ «وريـنـي خطـك.»
جلسـت، واسـتعدت هدوئـي، وبـدأت أرسـم الحـروف، كتبـت «الخطـاط ابـو انـس» ، بخـط الرقعـة، مـرة ثـم النسـخ، فالثلـث، الفارســي وأخيـرا الديوانــي...
إنتهيت، ورفعت رأسـي إلـى الرجـل، منتظـرا، لعل عينيـه تلمعـان، أو صوتـه يليـن. نظـر أبـو أنـس إلـى الأوراق بوجـه خـال مـن الإعجـاب، وقـال بجمـود: ـ «خطـك وحـش... مـا ينفعـش توشـتغل عنـدي.»
انطفـأ فـي قلبـي شـيء. لـم يكـن الرفـض مؤلمـا بقـدر مـا كانـت القسـوة، تلـك الطريقـة التـي تقصـي بهـا الأحـلام دون رحمـة.
قلت بهدوء: ـ «شكرا.» وغادرت المكان.
لـم اعـرف إلـى أيـن اذهـب، فتركـت قدمـي تختـار الطريـق. جلسـت فـي مقهـى شـعبي صغيـر، الطـاولات متآكلـة والزجـاج متسـخ، كان مـأوى مؤقتـا لعقلـي المشـوش. طلبـت كـوب شـاي، أمسـكته بيـن يـدي كأنمـا اطلـب منـه دفء ، رغـم اننـا فـي قلـب حـرارة يونيـو. تأملـت الشـارع بصمـت، والنـاس يعبـرون أمامـي كلا فيمـا يسـر لـه. فكـرت: مـا الـذي جـاء بـي إلـى هنـا؟ إلـى هـذه المدينـة ؟ تنهـدت، كمـن اعتـاد الهزيمـة، ووسـط هـذا الشـاي المـر، والحـروف التـي لـم تقـدر، جلسـت افكـر... فـي مـا يجـب أن افعلـه لاظـل واقفـا
حيـن خرجـت مـن المقهـى، كان الشـاي قـد تـرك مرارتـه فـي فمـي، وتـرك الواقـع ثقلـه علـى كتفيـي. تـردد السـؤال فـي رأسـي كأن أحـدا يهمـس بـه مـرارا: هـل أرجـع إلـى بغـداد؟ هنـاك المدينـة الكبيـرة، المتشـعبة، مليئـة بالفـرص والـوكالات، والوجـوه التـي ربمـا مـا

زالت تذكرني وتقدرني... لكن شيئا ما في داخلي لم يكن متأكد. لم أريد أن أستعجل القرار. مضيت أتسكع في طرقات تكريت، أراقب الوجوه، أقف على ناصيه، أحدق في أسماء المحلات، التقط الروائح من الأسواق، واتنفس المدينة كمن يريد أن يعرفها قبل أن يختار الرحيل عنها.
وفي زحمة التجول، شدتني رائحة مشويات قوية تسللت إلى أنفي وجعلتني اتبعها بلا وعي. دخلت مطعم شعبي، بسيط في ديكوره، لكنه يعج بالحركة. كان هناك رجل عراقي ضخم الجثة، طويل القامة، يجلس قرب موظف الحسابات، بان عليه الوقار والهيبة، فتوقعت دون تردد أنه صاحب المطعم.
اقتربت منه، وبادرته بتحية سريعة، ثم قلت بلهجة عراقية خفيفة تعلمتها من أيامي السابقة في بغداد:ـ «أكو شغل؟»
نظر إليا الرجل بعينين مليئتين بالخبرة، ورد التحية، ثم قال مباشرة:ـ نريد واحد يشتغل عالحوض... يغسل المعون
لم اتردد ، سألت ببساطة:ـ «كم الراتب؟ وما هي الامتيازات؟»
أجابه الرجل بهدوء:ـ «أربعة دنانير في اليوم... وبالنسبة للأكل، شكو ماكو كدامك.»
كان الراتب متواضعا ، لكنه بدا لي كحبل نجاة ،استراحة لترتيب الافكار . ابتسمت وقلت بثقة المتصالح مع ظروفه:ـ سوف «أبدأ من الغد إن شاء الله.»
خرجت من المطعم، و أكملت يومي بالتجول في الشوارع، كأن المدينة بدأت تتقبلني أخيرا.
في صباح،اليوم التالي نهضت مبكرا كعادتي منذ أيام بغداد، لكن هذه المرة لم تكن وجهتي معرض لقطع الأثاث اللامعة، كان لحوض مطبخ رطب الجدران، يعج بأصوات الملاعق والمقالي، وروائح التوابل والدخان.

دخلـت المطعـم متوثبـا كجنـدي علــى أهبـة المعركــة، ارتديـت مريولــه ووقفـت أمـام الحـوض، والمـاء يتدفـق كمـا تتدفـق فـي قلبــي مشــاعر مختلطــة: حماســة، فضــول، وخيبــة خفيــة.
المطعـم لـم يكـن عاديـا، كان لــه سـمعته، ولـه زبائنــه الذيـن لا ينقطعــون. ومــع كل دفعــة أطبــاق تغســل، كانــت تنهــال عليــا دفعـة جديـدة كالسـيل، حتـى لـم أعـد أشـعر بيـدي مـن فـرط البلـل والصابــون. والــم بالظهــر والرقبــة والكتفيــن يتصاعــد مــع كل موجــه اطبــاق تهـل ، ومـع ذلك،لـم اشـكو،او اتزمـر فلـم يكـن غرضـــي الغســيل ، كان هنــاك شـــيء أبعــد وأعمــق: أن اتعلــم.
كنــت اظــن – ببســاطة قلبــي – أن الحــوض داخــل المطبــخ، سـيكون بوابــة للتعلـم، وأن الطهـاة سـيعلمونني، سـيجيبون عـن أسـئلتي فـي الطبـخ، لكـن الواقـع لـم يكـن كمـا تخيلـت. وجـدت كل شـيف، وكل صنايعـي فـي تخصصـة، يغلـف أسـراره بطبقـة مـن الغمــوض والغيــرة. لــم تكــن هنــاك كتالوجــات، ولا ابتســامات مشـجعة، فقـط أعيـن ترمقنــي كلمـا اقتربـت، وكأن العلـم حكـر علــى مـن سـبق.
لكني لم ايأس، لجأت لحيلة الصمت والمراقبة.
كنـت، كلمـا فرغـت مـن دفعـة مـن الأطبـاق، سـرقت نظـري، اقـف فــي زاويــة المطبــخ، اتظاهــر بالبحــث عــن شـــيء، ثــم احـدق فـي يـد شـيف الشـواية، كيـف يمسـك السـكين، كيـف يخلـط التوابـل، كيـف يعلـق الدجاجـة علــى السـيخ، وكيــف تتحــول القطعــة البيضــاء إلــى وجبــة تفتــح شـهية المــارة.
وبيـن دفقـة مـاء وأخـرى، بيـن طبـق وأوان، التقـط مـا خفـي مـن أسـراره. الشـيف كان يخفـي الخلطـة، لكنـي بعيـن المتعلـم العنيـد، وبقلـب الجائـع للمعرفـة، أدركـت أن السـر فـي «التتبيلـة»... فـي تلـك الحـركات الصغيـرة، فــي ترتيـب البهــارات، فــي الزمـن

الـذي تتـرك فيـه الدجاجـة قبـل أن تشـوى. اكتشـف، فـي أربعـة أيـام، مـا لـم يـرده لـي أن اعـرف.
ورغـم أن الشـيف كان يلاحـظ تطفلـي، ويحـاول صـدي بتكشـيرة أو بجملـة عابـرة، لـم أتراجـع. كنـت اراقـب بصمـت، ولا اطلـب شـيئ، مـن أحـد.
لقـد تعلمـت شـيئا جديـدا: أن العزيمـة الصامتـة أقـوى مـن كل الرفض، وأن الحلـم – حتـى لـو بـدأ مـن حـوض غسيل – لا يخلـو مـن نكهـة التتبيلـة السـحرية.
ذهبـت الـي صاحـب المطعـم وطلبـت منـه أن يصفـي حسـابي ، فالعمـل مرهـق ولا أسـتطيع المداومـه عليـه تفهـم الرجـل الامـر وأعطانـي حسـاب الأربـع ايـام ورحلـت
بـدأت رحلتـي مـن جديـد، للبحـث عـن عمـل ، لكـن هـذه المـرة لـم اكـن ابحـث عـن فرصـه كعامـل ، عرضـت نفسـي كشـيف شـوي دجـاج ، مهنـة لـم احترفهـا ، ولكنـي افهـم الطريقـة اعـرف اسـرارها فهمـت الطريقـة، التقـط الأسـرار مـن بيـن أصابـع الصنايعيـة المتكتميـن، جمعتهـا فـي قلبـي كمـن يجمـع فتـات الذهـب، ثـم قلـت لنفسـي بصـوت خافـت، فيـه رجـاء وفيـه شـيء مـن المجازفـة:
«سـأغامر، قـد أنجـح... وقـد يصلحنـي الله شـيف شـوي بحـق.»
وجـدت المطعـم سـريعا. حيـن قدمـت نفسـي لـه، لـم أكـن أحمـل شـهادة ولا توصيـة، فقـط تلـك الثقـة الهشـة التـي تنبـت مـن خـوف التجربـة، كـررت فـي عقلـي الخطـوات التـي ألتقطهـا خلسـة مـن خلـف أكـوام الصحـون، تذكـرت كيـف كانـت التتبيلـة تخلـط، وكيـف تعلـق الدجاجـة فـي السـيخ، وكيـف يتحـول اللهيـب إلـى نكهـة.
وقفـت أمـام صاحـب العمـل بثبـات، وبعـد إختبـار عملـي بسـيط مـر كالسـهم، رآنـي الجميـع كمـا أردت أن أرى: « معلـم » قديـم، لا يحتـاج إلـى شـرح.

تم قبولي بالمطعم مقابل تسعة دنانير في اليوم، رقم لم أكن أحلم به منذ وطأت قدمي أرض تكريت.
في اليوم الأول، أشتعل الفرن، وأشتعل معه قلبي، مليء المكان، بلهيب النارو توتر البدايات وإرتعاشة المجازفة.
وقفت هناك كجندي في أول معركة، والعيون تترقبي من بعيد: كيف سأعد التتبيلة؟ هل سأنجح في نزع ذغب الريش العالق بذلمكة الدجاج وجناحية؟ هل أعرف كيف ينظف قلب الدجاجة من بقايا الدم المتخثر، وكيف أكتفها بإحكام في السيخ كأنها أمانة بين يدي؟ كنت أتحرك بحذر ، أضبط سرعة دوران السيخ ، أراقب لون الجلد وهو يتغير، يتحول من شحوب إلى ذهب مشبع بالتحمير. أسحب الدجاجة من الفرن بعناية، أقطعها إلى أنصاف أو أرباع حسب الطلب، واقدمها في طبق نظيف أو أغلفها بشياكة للطلبات الخارجية، كأن كل وجبة منها تحمل توقيعي الخاص.
مر اليوم بسلام، بنبض داخلي حار، كأن الشواية صديقتي القديمة التي فصلت عنها بالسنين، والدجاجات رفاق رحلة أستعدتهم فجأة. لم أخطئ كثيرا، لم ابطئ، لم أتعثر. كانت كل دجاجة مشروع صغير يخرج من تحت يدي بإتقان. تشبعها النار وتطريها التجربة. كل واحدة منها كانت درسا، وقطعة من يقيني الجديد.كانت تغادر الشوايه ، مغلفة أو مرصوصة في طبق ، كأنها رسالة تقول: أنا هنا، وأستطيع.
عشرة أيام مرت، وفي كل صباح أستقبل 250 دجاجة، أخط على جلودها أسماء غير مرئية...أسماء من تقع في نصيبه من الزبائن، أخط على جلودها أحلامي المؤجلة.
كان العمل قاسي، متلاحق، لا مجال فيه لإلتقاط الأنفاس: تتبيل، تكتيف، شوي، تقطيع، تعبئة، تسليم. كأن الزمن يدور في دوامة نار لا تهدأ.

رغم الأجر الجيد، كان جسدي يئن من التعب، يداي المتشققتان تشهدان على النار التي لازمتني عشر ساعات يوميا، وروحي المكدودة توحي أن الشواية لم تكن هدفي، كانت محطة مؤقتة. كان في قلبي فكرة تكبر كل يوم إنشاء: وكالة دعاية وإعلان، مشروع لطالما حلمت به.
تكريت لا تزال عطشى... وتستوعب المزيد .عندما شعرت أن ما إدخرته من يوميات كافي لبدأ مشروعي، وقفت أمام صاحب المطعم وقلت بهدوء ...« أريد أن أصفي حسابي.»
تفهم الرجل، وأعطاني أجري كاملاً دون جدال.
خرجت من المطعم وفي جيبي مبلغ ليس بالكبير، لكنه كافي لبدأ مشروعي ، فلن أحتاج إلى أكثر من الأدوات (فرش رسم وألوان زيت، وبعض أمتار من القماش أسكب فيها خبرتي وشغفي. لم أكن أنفق شيئا تقريبا، فالسكن كان مجاني ، والطعام كان يأتيي من المطعم بلا مقابل، وكنت أسلك دروبه مشياً، دون حاجة لحافلة. كانت تلك الأيام القليلة كأنها صوم عن الرغبات، لأدخر ما يكفي لأزرع حلمي الصغير. والآن، حان وقت البذر.
وفي قلبي يقين خافت، أن تكريت ستتزوق لوني حين أرسم، وستبتسم ليافطاتي حين أخط عليها إسمي لأول مرة.
حين قررت أن أبدأ مشروعي، أدركت سريعا أن قلب المدينة لا يتسع لأحلام الفقراء. أسعار المحلات في وسط تكريت كانت تتعالى كما تتعالى الطموحات دون سند، فمدت نظري نحو أطراف المدينة، حيث البيوت القديمة، والسكون الذي يشبه صفحة بيضاء تنتظر أول خط. وبعد بحث لم يدم طويلا، وجدت بيتا صغيرا، شبه مهجور، على أطراف العمران، لا يجاوره جار، ولا تبلغه الأصوات.

صاحبه عرضه بأبخس الأثمان، لم أتردد لحظة، وأجرت المكان علي الفور ، وذهبت إلى سوق المستعمل، إشتريت مكتبا خشبي عتيق، له خدوش تروي أعمارا مرت عليه، وكرسيين أحدهما يهتز قليلا، لكنهما كافيان لبدء الحكاية.
حين تدخل للمحل، لم تري سوى الصمت. ومكتب في المنتصف، و كرسي خلف المكتب والاخرأمامه كأنهما يتحاوران. أما الفرش والألوان، فقد تراها علي الارض في أحد الأركان.
حملت قطعة خشبية مستطيلة، جهزتها، وكتبت عليها بخط واضح: «الخطاط».
كلمة واحدة علقتها على واجهة المحل، ونظرت إليها طويلا، ثم رجعت إلى السكن مترجلا، رغم طول المسافة ،لكنها بدت قصيرة، خفيفة، كأن خطواتي تطير فوق الأرض. تمددت على سريري، ولم يغمض ليّ عين. رحت أتخيل غدا... كيف سأفتح باب المحل بهدوء، كيف سأجلس على كرسيه الخشبي البسيط، كيف سيأتي أول زبون...
وفي الصباح ، إستيقظت مبكرا، ثم مضيت في دربي الطويل.
وحين وصلت إلى المحل، كانت تنتظرني مفاجأة لم تخطر علي بال، أعد لي القدر مشهدا لم اتجرأ أن أحلم به
صف طويل من السيارات يمتد أمام الواجهة، بعضها نقل كبير، واكثرها سيارات نصف نقل واخرى تاكسي يكسوه غبار الطريق. توقفت للحظة، نظرت إلى الوجوه داخل العربات، أغلبهم رجال بسطاء، يرتدون ملامح يوم شاق، لكن أعينهم كانت تتطلع إلي بثقة غريبة.
إقتربت منهم وسألت:– «خيريا رجال؟»
أجاب أحدهم وهو يخرج رأسه من نافذة السيارة:–«جايين نكتب بيانات السيارات... ما أنت الخطاط، مو هيچ؟»

إبتسمت بدهشة لم أستطع إخفاءها. فتحت باب المحل بيد مرتجفة، وأنا لا أزال غير مصدق لما أرى. .
سحبت فرشتي، وسرعان ما بدأت في العمل. السيارة تلو الأخرى...، نوع المركبة، أرقام اللوحة، الطول، العرض، الوزن...ثم تأتي الطلبات الخاصة: عبارات دينية، حكم شعبية، دعوات للسفر الآمن، جمل تلامس القلب أو تثير الضحك.
كانت الأبواب تفتح وتغلق، وأصوات المحركات تختلط بصوت فرشاتي وهي تراقص الحروف. لم أشعر بالوقت، كنت منغمسا في العمل كأنهي أعزف نوتة حياة جديدة. حين أنتهي من كتابه السيارة الاولي ، سألني صاحب السيارة:
ـ«كم تريد يا أستاذ؟»
ترددت. لم اكن قد واجهت هذا المشهد من قبل.
رديت بهدوء وسؤال:
ـ «أنت دفعت كم في الكتابة القديمة؟»
ـ«ثلاث دنانير.»
أومأت برأسي وقلت بثقة خجولة:
ـ « تمام، هات ثلاث دنانير.»
كان المبلغ كبير، لكن ليس فيه طمع، كان هو السعر المتداول. بعض الزبائن، ممن طلبوا كتابة دعاء أو حكمة على مؤخرة السيارة، دفعوا خمسة دنانير عن طيب خاطر.
في ذلك اليوم،ربحت المال ،وربحت إسمي في المدينة. بدأ الغرباء ينادوني بلقبي الجديد: «الخطاط.» وكان في داخلي صوت صغير يقول: «بدأ الحلم يرسم نفسه، أخيرا.» إنتهي اليوم بسلام وسعادة ولم يقابلني أي مشاكل في العمل إو شكوي من أحدهم.

ولكن لم أكن ممن يمر على المصادفات مرور الكرام، فبعد انتهاء ذلك اليوم الطويل، جلست في محلي أتأمل ما حدث، وأطرح الأسئلة على نفسي.

شيء ما في الأمر لم يكن طبيعيا، ذلك الطابور الطويل لم يكن صدفة او حظ عابر. دفعني فضولي إلى السؤال والبحث. في اليوم التالي، وبعد أن إنتهيت من آخر سيارة، أخذت اسأل أحد الزبائن بتودد: -«هي الناس كلها بتيجي مرة وحدة كده؟» فضحك الرجل وقال: - «يا طيب، هذى وحدة المرور واشار باصابعة ! ما تطلع رخصة السيارة غير بكتابة هادى البيانات كأن لمبة أضاءت داخل رأسي. لقد إخترت هذا المكان فقط لأنه رخيص... لكن القدر وضعني هنا، أمام نقطة التقاء الحاجة بالمهارة. تفحصت موقعي بعين جديدة. وجدت المحل في أهم نقطة حركة لأصحاب السيارات. في تلك الليلة، عنما إكتشف هذه الصدفة المعجزة لم أستطع النوم. ملئت السعادة صدرى استلقيت على السرير،احدق في سقف الغرفة، إبتسم كلما تذكرت طابور السيارات، وأول رجل طلب مني: «كتابة بيانات سيارته؟»

لم أكن أعلم حينها أن هذه الجملة ستغير كل شيء.الآن عرفت... أن المحل الذي كان «بعيدا عن العمار» كان قريب من الرزق. كان بجانب قلب المدينة الإدارية، حيث الحاجة تولد كل صباح. لم أكن لأسمح لهذا الظرف الذهبي أن يمر بلا تطوير،عندما لاحظت ان البيانات المطلوبه واحدة لم تتغير ورقم السيارة وحده هو المتغير، جلست مساءأ، وأمسكت بمسطرة ومشرط وبعض أوراق البلاستيك الشفاف، ورسمت بيدي أول استنسيل. بدأت بالعبارات الأساسية: «الطول، العرض، الوزن، نوع المركبة» قطعت الحروف بدقة، ورتبتها على شريط بلاستيكي،

ثم جربت رشه بالسبراي على قطعة كرتون، وأكملت الأرقام بالفرشة. كانت النتيجة رائعة... لا تستهلك من وقتي إلا دقائق. العمل أصبح أسرع، الشكل أجمل، والدقة أكبر. مر أسبوع، وكان روتيني اليومي قد استقر على وتيرة واحدة؛ افتح باب المحل في الصباح الباكر، أرش الأرضية بالماء، المع المكتب، واجهز علب الألوان والفرشاة، ثم لا يلبث أن يبدأ طابور السيارات بالتواجد أمام بابي.

لم تعد السيارات تدخل إلى وسط البلد كما في السابق، كل من يطلب منه تجديد البيانات، فور خروجة من وحدة المرور يلتفت مباشرة نحو اليافطة الخشبية :«الخطاط»، ويقف أمامي، ينتظر دوره.

لم يطل الوقت حتى بدأ «أبو أنس»، الخطاط الذي طالما إحتكر السوق، يلاحظ شيئا غريبا. حركة السيارات أمام مكتبه إنخفضت، والهدوء الذي لم يعتد عليه بدأ يلف المكان.

خرج من دكانه بخطى متوترة، يبحث عن السبب، ليقع بصره على اليافطة الجديدة، والمحل الذي لم يكن موجودا قبل أيام. اقترب أكثر... وهناك، وجدني، منهمكا في كتابة أرقام لوحة سيارة . وقف فوقي فجأة، وبصوته الجاف قال:

ـ شلونك إبراهيم؟

رفعت رأسي، فابتسم تلقائيا:

-أبو أنس! أهلين وسهلين، شلونك إنت؟

ضحك أبو أنس ضحكة باهتة:

آني كلت ليش ماكو سيارات تجيني، طلع فتح هنانا محل جديد! ... منو صاحب هالمحل؟

أجابت ببساطة: آني، فتحتة قبل أسبوع.

قطب أبو أنس حاجبيه وقال بنبرة مريبة: عدك إجازة من البلدية يابراهيم ؟ هزيت رأسي: = لا، بعدني ما قدمت.
– تدري إن هذا مخالف؟ وممنوع تشتغل بلا إجازة؟
ثم اقترب وهمس لي:
– إسمعني زين، سكر المحل وتعال تشتغل عندي.
رديت باستغراب:
= بس إنت كلت خطي ما يفيد، وما أشتغل يمك؟
–كنت غلطان... إنت شغلك مضبوط، وأنا أريدك وياي.
= وشكد الراتب؟
– نتقاسم الدخل، نص للمحل، ربع إليَ، وربع إلك.
ضحكت ضحكة استنكار:
= يعني آني أشتغل من الصبح للمغرب، وآخذ ربع بس؟ وكمان انت تعرف ان الخامات ما تاخذ ربع الدخل ولا حتى تمنة
رد أبو أنس بنبرة مستفزة: – زين... أسوي اجازة هاد المحل باسمي، و آخذ ربع من الدخل.
= وتطلعة باسمك ليه؟ انا من الصبح هروح البلدية واطلعة باسمي. ضحك ضحكة صفراء طويلة ثم قال :
- ما تكدر، لازم يكون عندك شريك عراقي، هاي القوانين.
ثم كشر عن أنيابه، وبعينيه الجاحظتين قال:
– إسمع يا زلمة، عدك يومين تفكر، يا تشتغل عندي وتأخذ ربع الدخل، يا أسوي إجازة لمحلك باسمي وأخذ ربع الدخل.
نهضت، ونظرت في عينيه بثبات:
= خذ جوابي من هسه... آني ما أوافق، وسوي اللي تريده، آني ما أنهدد.
اشتعل وجه أبو أنس غضبا، وضرب الأرض بكعب حذائه:
– لا تنسى... آني جيت لعندك باحترام، وإنت رفضتني... بس ما راح أرحمك... وراح تندم!

ثـم اسـتدار، ومشــي مـن المـكان، يجـر خلفـه ظـلا مثقـلاً بـالخيبـة والغيـرة.

ورجعـت لاكمـال عملـي وقلبـي يرجـف ويـدي ترتعش، قضيـت بقيـة اليوم جالسـا علـى كرسـي متوتـرا امـام بـاب المحل أراقـب المـارة بعيـون شـاردة، أرى السـيارات تمـر، لكننــي لا أراهـا، أسـمع صريـر الفرشـاة وهـي تخـط علـى الحديـد، لكـن الصـوت لا يصـل إلـى قلبـي.

كان رأســي ممتلئــا، كأن شـيئا ثقيـلا وضــع داخلــي ولــم يعـد بالإمـكان إخراجـه. قلقـت علـى... ذاك الحلـم الـذي بـدأ بخـط بسـيط علــي بــاب سـيارة، صــار اليـوم مهـددا بالسـقوط.

بعد أن انتهيت من عملي في المحل، ذهبت إلى وكالة سليم.

كان يجلـس خلـف مكتبـه، يرتشـف الشــاي بهـدوء. اسـتقبلني بابتسـامته المعتـادة، لكنـه سـرعان مـا لاحـظ التوتـر فـي وجهـي. صـب لـي كـوب شـاي. بعـد صمـت قصيـر، قـال بنبـرة هادئـة :«سـمعت إن أبـو أنـس زارك اليـوم... وإن الأمـور صـارت معقـدة.» نظـرت إليـه وأومـأت برأسـي. لـم أخـفِ شـيئا.

حكيـت لـه عن التهديد، عن مطالبتـه بنصيب من الدخل، وعن رفضـي. استمع سليم بصمت، ثم تنهد وقـال:

اليوم انـا كمـان، زارنـي أبـو أنـس... وطلـب منـي أشـاركه فـي تقديـم شـكوى ضـدك، بحجـة إنـك فتحـت المحل مـن غيـر إجـازة. فاجأنـي الأمـر، رغـم أننـي توقعتـه.

- أنـا رفضـت، وقلـت لـه الزلمـة جـاي مـن بـلاد الله، سـايب أهلـه، وجـاي يـاكل لقمــة بالحـلال... بـس هـو مصـر، ونـاوي يقـدم الشـكوى.

سـاد صمـت قصيـر بيننا.كنـت أحـاول فهـم مـا أسـمعه. ثـم سـألته، بصـوت مختنـق: - يعنـي...اعمل ايه ؟ إذا مسـكونـي... يسـجنونـي؟

أطرق السيد سليم رأسه قليلا ثم رفعه وقال:
- إي نعم، القانون هنيه صعب، وأي محل يشتغل بدون إجازة معرض للمسائلة. بس... في حل.
اقترب قليلا، وخفض صوته، كأنه يسر إلي بسر من أسرار الحياة: - شوف يا إبراهيم... تكريت، هي دار أهل السيد الرئيس، وأهله واولاد عمومته كلهم هنيه. ومعظم المحلات يشتغلون تحت حماية واحد منهم. يعني شريك بالاسم، مقابل الحماية. الجميع يعرف القواعد، و الجميع يخشاها.
نظرت إليه بدهشة، ولا اعرف إن كانت هذة ستكون نجاتي أم نهايتي.
فأكمل السيد سليم: - روح لجعفر... ابن عم السيد الرئيس. هو معروف، ورجال محترم، ويحمي اللي تحته. قله إنك محتاج شراكة باسمه عشان تمشي أمورك.
كانت الكلمات تهبط في قلبي كحبات مطر على أرض عطشى، لا أدري هل ستنبت أملا أم تغرق ما تبقى.
شكرت السيد سليم، لكن الحيرة كانت تسكن عيني، فأنا الغريب... والمدينة هذه لا ترحم من لا يعرف دهاليزها. لكن شيء واحد كنت أعلمه... أن التراجع لم يعد خيارا.

ذهبت إلى السيد جعفر في مكتبه وسط المدينة. وجدته شابا في أوائل الثلاثين، قصير القامة، نحيل الجسد، يعلو وجهه شحوب واضح. لحيته الخفيفة كانت أنيقة، لكنها لا تخفي ملامحه اليومية. كان يرتدي دشداشة بيضاء نظيفة وشماغا أبيض مثبتا بعناية. جلس في وسط مجموعة صغيرة من الشباب، يستمع أكثر مما يتكلم. الضحكات كانت هادئة، والحديث يدور ببطء، كأن الجميع يعرف أن وجوده هو الذي يعطي الجلسة وزنها.

حكيت له باختصار ما جرى مع أبو أنس: التهديد، المطالبة بالاتاوة، والاستقواء. رويت الكلام بحذر، أراقب ردة فعله.تغير وجهه. اختفت الابتسامة الهادئة، وشدت ملامحه. لم يصرخ ولم يقم، لكنه نظر إليّ بنظرة باردة وواضحة. قال بصوت هادئ لكنه حازم، لا يقبل النقاش:«زين يا إبراهيم. لا تشيل هم، ولا يهمك منه بشيء. روح نام الليلة، وبكرة ترجع لمحلك كأن ما صار شيء. وإذا جاك أحد، قول له ببساطة: المحل تابع لجعفر.»

خرجت من عنده وأنا أحمل في صدري مزيجا من الارتياح والضيق. ارتياح لأنني لم أعد وحدي في هذه اللعبة، وضيق لأنني أدركت أن نجاحي الصغير في تكريت لم يعد يعتمد فقط على فرشاتي ومهارتي، أصبح مرتبطا بشبكة من القرابات والمصالح التي لا أفهمها تماما.

في اليوم التالي، كنت أجلس أمام المحل أراقب السيارات تمر أمام وحدة المرور. الشمس كانت تميل إلى الغروب، والشارع يبدأ يهدأ تدريجيا.

فجأة توقفت سيارة قديمة بيضاء اللون أمام المحل. تعرفت عليها فورا. ترجل أبو أنس منها ببطء. كان وجهه شاحبا، وعيناه مطأطأتين. لم يكن ذلك الرجل الطويل القاسي الذي هددني قبل يومين. مشى بخطوات متعثرة حتى وقف أمامي مباشرة. ثم، وبدون مقدمات، انحنى وقبل رأسي. مد يديه المرتجفتين نحو كتفي وقال بصوت منخفض، مكسور:

-«إبراهيم... سامحني والله. كنت أمزح... ما كان قصدي. أنت أخوي، فوق راسي. أبوس إيدك... سامحني.»

جمدت في مكاني. الشارع كان شبه خالٍ، لكني شعرت أن كل من مر بجانبنا ينظر إلينا.

لم أكن أعرف ماذا أفعل. الرجل الذي كان يهددني بالاعتقال ويطالب بنصيب من دخلي، هو الآن منكسرا أمامي متأسفا. تنفست بعمق وحاولت أن أبدو هادئا أكثر مما كنت عليه.
قلت له بهدوء:«خلاص يا أبو أنس... خلاص، انتهت السالفة. ما صار شيء.» . نظرت بعينيه، وجدت فيهما خوف حقيقي لم أره من قبل.
قال بصوت أكثر انكسار:«بس أطلب منك طلب واحد... تعال وياي لعند جعفر. قول له إنك سامحتني. والله ما أنساها لك طول عمري.» وقفت صامتا لحظات.
كنت أعرف أن التهديد الذي تلقاه من جعفرلم يكن كلاما عابرا. تكريت لم تكن مدينة عادية. كانت عائلة الرئيس وعشيرته البو ناصر تسيطر على مفاصل الحياة اليومية.
أدركت أن أبو أنس لم يكن يتاسف لي، انما يتاسف للاسم الذي أصبحت مرتبطا به. أخيرا مددت يدي وصافحته، قلت:«حاضر... أجي وياك.»
مشينا معا نحو السيارة. لم يتكلم أحد منا طوال الطريق. كان صمته يقول أكثر مما قاله خضوعه.

من بعدها انتظم العمل في مكتبي، وصارت الأمور تسير بانضباط عسكري، كما لو أن وجودي قد وقع عليه بأمر جمهوري.
كانت حركة السيارات تبدأ صباحا باكراً، وتنتهي قبل الثالثة عصرا، مع نهاية الدوام الحكومي في وحدة المرور. ومع حلول الثالثة، كنت أعود إلى عالمي الأول... إلى الفن
.أقفل باب المحل، أتناول وجبة الغداء، في احدي المطاعم ، ثم أعود إلى ركني المفضل، حيث تنتظرني الخامات، وتلك الرائحة المدهشة للزيت واللاكيه و التنروالخشب الخام.

أرسم البورتريهات للأشخاص اكتب يفط واعلانات للمحلات او اذهب معهم لكتابة اللافتة علي واجهة المحل مباشرة .
مع الوقت،أصبح لي أصدقاء صارت الشوارع تعرف خطاي، والوجوه المألوفة تومئ لي من بعيد كأني أحد أبناء الحي، لا الغريب الذي وطأها بحثا عن رزق.
وفي خضم تلك العلاقات اليومية، تعرفت على فنان سوداني في الستينيات من عمره، رجل لا ينسى بملامحه الغريبة.
كان أسود البشرة بلون الفحم المصقول، نحيلًا إلى درجة تجعلك تظن أن هيكله العظمي يتحرك تحت الجلد، وشعره الكثيف المجعد يتدلى على كتفيه كستارة قديمة في بيت تراثي مهجور.
كان طويل القامة، يمشي بخطى بطيئة هادئة كأنه يحمل في جسده كل سنوات الغربة. كان يرسم مناظر طبيعية: شلالات خضراء، أنهار، وأشجار تتمايل تحت ريح لا تراها.
ينجز لوحاته في صمت غرفته الضيقة بفندق شعبي رخيص، لا يكاد يخرج منها إلا للضرورة. فإذا أنهى دفعة جديدة، حملها وتوجه بها إلى بغداد، يبيعها في الجاليريهات هناك، ثم يعود إلى تكريت بهدوئه المعتاد وغموضه الذي لا يفارقه.
نشأت بيننا صداقة هادئة، كأنها ولدت في الظل وترعرعت على الحذر والاحترام المتبادل. كنت أزوره كل مساء بعد أن أغلق باب المحل. أطرق الباب بلطف، فيفتح وهو يبتسم ابتسامة خفيفة، بعينين غائرتين تنبضان بالحياة رغم جسده المرهق وسنواته الطويلة.كانت غرفته مرسما وغرفة نوم في آن واحد. اجلس على اطراف السرير، ونتحدث بهدوء عن الفن، عن الوطن، عن الوحدة التي تجمع بين الغرباء.
كان حديثه موسيقى هادئة لا تعلو فيها نبرة، ولا يفرض فيها رأيا. علمني أن الريشة يمكن أن تكون سلاح صامت، وأن اللون

يحمل جمالا كما يحمل وجع، لا يظهر إلا حين يحب الإنسان ما يرسمه. في تلك الليالي، لم أكن أزوره فقط لأتحدث عن الفن. كنت أزحف بهدوء نحو ذاتي، وأكتشف وجوها أخرى لإبراهيم... وجوها لم أرها إلا في عيني ذلك الفنان السوداني الذي عرفت لاحقًا أن اسمه «سيد».

مرت الأيام كأنها صفحة ناصعة من كتاب عمري ما عرف فيه الحزن، وتوالت الصباحات على المحل الصغير المزين بريش الطموح وماء الألوان.

كان النجاح يتمدد كل يوم على أعتاب باب المحل، يدخل برفقة الزبائن ويبيت في قلبي قبل أن انام.

لكن اللحظة التي تغيرت فيها ملامح حياتي حقًا، كانت لحظة وصول «عبد النبي». أخي الكبير، رفيق الروح، ورفيق الطفولة. لا شيء يوازي أن تجتمع الدماء في أرض الغربة.

استطاع اخيرا الحصول على اجازة واللحاق بي كما خطط سابقًا ،كانت بغداد لي وطنا، والمحل بيتا، وعبد النبي أخا، وشريكا في الحلم. لكن، خلف هذا الفرح، كان يقبع غيم صغير لا يكف عن التمدد، كنت أعلم أن هناك شيئا يتربص بي، حقيقة لا مهرب منها: «السنة الأخيرة في الكلية».

القرار كان صعبا، مؤلما، لكن لا مفر منه... إن عدت إلى مصر، وأتممت الدراسة، فلن أستطيع السفر بعدها، لأن التجنيد سيغلق باب العودة الى العراق.

كثيرا ما جلست مع نفسي، أطالع زوايا المحل، أراقب الشمس حين تتسلل من خلف اليافطة التي علقتها بيدي، وأقول: أأترك كل هذا؟ أترك المكان الذي صرت فيه شيئا؟

وسط هذا العالم، شعرت بأني وجدت مكانا مثاليا لحياة افضلها فكرت جديا في عدم العودة إلى مصر، افصحت عن ذلك لاهلي

. فقد رأيت العراق بالنسبة لي أرض الفرص، والمستقبل الذي يمكن أن أبنيه بعيدا عن القيود والتوقعات التقليدية.
لكني لم أكن وحدي أملك القرار.لم أكن أتوقع أن دموع والدتي ستكون أقوى من كل أحلامي. حين جاءت رسالتها، لم تكن كلماتها تحمل أمراً صريحا، لكنها كانت مليئة بالخوف، مشبعة بالرجاء، متوسلة إلي أن اعود، أن اكمل تعليمي، أن لا اترك مستقبلي معلقا في الهواء.
كنت أعلم أن مستقبلي في العراق يبدو أكثر بريقا مما قد ينتظرني في مصر، لكني لم أستطيع مواجهة ضعفها، على تجاهل إرتعاشة صوتها حين تحدثت عن خوفها عليّ، وعن قلقها الدائم من أن تبتلعني الغربة، كان ذلك كفيلاً بأن أتراجع عن قراري، لكن ليس بالكامل. عدت إلى مصر، لكني حملت معي خطة للعودة مجددا، سيتطلب الأمر الرسوب في ثلاث مواد لأحصل على فرصة سفر أخرى.
عدت إلى مصر، جسد منهك، وقلبا يتفتت في كل مطار، وكل محطة. تركت وراء ظهري قطعة من روحي، أخي، والمحل، والرائحة التي لا تشبه سوى النجاح... نجاحي.
وكأن كل ما بنيته انهار في لحظة، وكنت كمن يصعد الجبل وهو يعلم أن عليه أن يعود، بلا قمة... فقط، يحمل التعب.
عدت إلى القاهرة بعد تأخري شهر ونصف عن بداية العام الدراسي ،عدت إلى الاتيلية، ذلك الملاذ الوحيد الذي شعرت داخله بأنني فنان يبحث عن ذاته بين الألوان والفرشاة.
كان كل يوم يمر في الأتيليه يضيف ليّ شيئا جديد، يوسع عالمي، يجعلني أكثر شغفا وأكثر يقينا بأن هذا هو مكاني الحقيقي.

هنـا أجـد نفسـي، بيـن لوحـة لـم تكتمـل، وظـل يحـاول أن يجـد موقعـه فـي الرسـم، وبيـن ضحـكات زمـلاء يشـاركونني الحلـم ذاتـه.

كان الأتيليـه حيـاة بأكملهـا، حيـاة تشـبهني. كنـت بحاجـة إلـى أن اضـع بصمتـي، أن اثبـت لنفسـي قبـل الآخريـن أن الغيـاب كان رحلـة فـي أعماقـي.

قـررت هـذه المـرة العـودة إلـى التصويـر الزيتـي، لكـن لـم اكـن احمـل فكـرة واضحـة عمـا سارسـمه.

تركـت الأمـر للريشـة كـي تقودنـي، فكانـت النتيجـة مشـهدا ريفيـا : سـماء ممتـدة، ونخيـل يحـرس ضفـاف النيـل، ومراكـب تنسـاب فـوق سـطح المـاء، وجـرار مـاء مـن الفخـار يعكـس بسـاطة الحيـاة، «حكايـات علـى شـط النيـل» كانـت احـدى لوحاتـي.

ولوحـة ثانيـة لثلاثـة من جرار مـاء من الفخـار أطلقت عليهـا اسـم « أنيـن الطيـن »، كان ذلـك فـي تناغـم لونـي يظهـر مهاراتـى الجديـدة التـي صقلتهـا التجربـة، لكنـى لـم افـز بـأي جائـزة ، فـى أي منهمـا فاللجنـة قـررت استبعادهم مـن التقييم.

لـم يكـن ذلـك محبطـا لـى، لكنـه أثـار فضولـي. توجـت إلـى اللجنــة، ليـس للاعتـراض، لكـن رغبـة فـي التعلـم.

وعندمـا سـمعت رأيهـم، أدركـت أنـي حصلـت علـى مكافـأة أكبـر مـن أي جائـزة؛ فقـد رأوا فـي عملـي صنعـة تتجـاوز مسـتوى طالـب، لمحـوا أن هنـاك مـن سـاعدني فـي رسـمهما.

لـم اكـن بحاجـة لإقناعهـم، فالحقيقـة كانـت واضحـة، تركتهـم بإبتسـامة، معتبـرا أن التشـكيك فـي قدرتـى هـو فـي حـد ذاتـه شـهادة بأنـي قـد وصلـت إلـى مسـتوى أعلـى ممـا توقعـه الآخرون.

قـــــــراءة في لوحـــــة..
حكايات على شط النيل.

.... حكاية الضوء والظل

اللوحة الاولى التى رسمتها فى مسابقة الجامعة 1989

تعكس اللوحـة جوهر الحيـاة الريفيـة المصريـة، حيـث يجتمـع الفخـار والنيـل والنخيل فـي مشـهد متجانس يبرز الجمـال الكامـن فـي البسـاطة والتـراث.
تأخـذك اللوحـة فـي رحلـة عبـر الزمـن، حيـث يتوقـف كل شـيء عنـد لحظـة سـكون تتشـابك فيهـا تفاصيـل الماضـي والحاضـر.
الجـرار الفخاريـة ترقـد بهـدوء فـي المقدمـة، كأنهـا تحمـل فـي جوفهـا أسـرار الحيـاة ، مـاء كان أو ذكـرى، بينمـا تنعكـس عليهـا ظـلال الشـمس الخافتـة، تحكـي قصـص الأيـدي التـي صنعتهـا، والأرض التـي احتضنتهـا.
خلفهـا، المراكب الشراعية تقف شـامخة، متأهبـة للرحيـل أو عائـدة مـن سـفر طويـل، تمثـل رحلـة الإنسـان المسـتمرة بيـن الثبـات والتغيـر، بيـن الجـذور التـي تربطـه بالماضـي والأفـق المفتـوح الـذي يدعـوه إلـى المسـتقبل.



ابراهيم شلبى مع زملائه فى الاتيلية امام لوحته حكايات على شط النيل-
160×120سم - زيت على خشب -معرض الجامعة 1989م

وفـي الأعلـى، تتناثـر السـحب فـي مشـهد يوحـي بالتحـول، وكأنهـا تراقـب الأرض بصمــت، تعكـس صراعـات الإنســان الداخليـة بيـن الاسـتقرار والترحــال، بيـن الارتبـاط والانفـلات.
أمـا النخيـل، بإمتـداده نحـو السـماء، فهـو الشـاهد الصامـت، رمـز الزمـن الـذي لا يتوقـف، وجـذوره العميقـة فـي الأرض تهمـس لنـا أن لا شـيء يضيـع، كل شـئ يعـاد تشـكيله فـي دورة الحيـاة.

توظـف اللوحـة المدرسـة الواقعيـة التعبيريـة، حيـث تدمـج بيـن الواقعيـة فـي تفاصيـل العناصـر والتعبيريـة فـي اسـتخدام الألـوان والضـوء لخلـق أجـواء دراميـة. تتسـم بتكويـن متـوازن يجمـع بيـن العناصـر الأماميـة (الجـرار) والخلفيـة (المراكـب والنخيـل والسـماء)، ممـا يخلـق إحسـاس بالعمـق والامتـداد البصـري. وظـف التبايـن بيـن الضـوء والظـل لإبـراز الأشـكال وإعطائهـا إحسـاس بالكتلـة والواقعيـة، خاصـة فـي الجـرار التـي تبـدو وكأنهـا تتلقـى ضـوء دارمـي مـن زاويـة معينـة.
تجسـد اللوحـة عناصـر تراثيـة مصريـة أصيلـة، ممـا يجعلهـا تعبيـرا عـن الحنيـن إلـى الجـذور والهويـة الثقافيـة. كمـا يمكـن اعتبارهـا رمـز لاسـتمرارية التـراث المصـري رغـم تغيـر الزمـن. هنـاك تبايـن بيـن الجـرار الثابتـة والمراكـب التـي توحـي بالحركـة، ممـا يعكـس فلسـفة الثبـات والتغيـر، حيـث يظـل الماضـي حاضـر لكنـه يتفاعـل مـع الحاضـر والمسـتقبل.
فنيـا، تتميـز اللوحـة بتـوازن بصـري متميـز، وتوظيـف رائـع للضـوء والظـل، ممـا اضفـي عليهـا عمـق وحيويـة.
فلسـفيا، تحمـل اللوحـة دلالات عـن الزمـن، التغيـر، العلاقـة بيـن الإنسـان والطبيعـة، والهويـة الثقافيـة، ممـا يجعلهـا نافـذة علـى روح المكـان والزمان.

اللوحـة تحمـل طابـع مميـز يجسـد البيئـة المصريـة بأسـلوب فنـي معبـر، وتعتبـر مثـالا علـى التكنيـك الماهـر فـي اسـتخدام الضـوء واللـون لإضفـاء الحيـاة علـى المشـهد.

قراءة للوحة
« أنين الطين »
اللوحة الثانية التي رسمت في مسابقة الجامعة 1989

تراشيح الطين: فلسفة البقاء في حضرة الانكسار
لا تقف هذه اللوحة عند حدود «الطبيعة الصامتة» كجنس فني تقليدي،انها تتحول إلى مختبر بصري يستنطق المادة الهامدة، لتبوح بأسرار الزمن، والفناء، والقوة الكامنة في صلب الأشياء. اللوحة هنا، تمثل مرايا طينية تعكس شتات الذات البشرية في لحظات تماسكها وتبعثرها.
استطاع الفنان أن يمزج بين انضباط الواقعية وجموح التعبيرية في نسيج واحد: تتجلى الواقعية في تلك الدقة التي تتبع ملمس الفخار، وتفاصيل المسام والخشونة، مما يجعل المتلقي «يلمس» اللوحة بعينيه قبل يديه.
الضوءفي اللوحة هو أداة درامية تعيد صياغة الظلال لتمنح المشهد بعد نفسي مهيب، وكأن الظل هو «صوت الصمت» الذي يملأ فراغات المكان.

سيمفونية الكتل.. حضور الغياب


انيين الطين
- زيت على توال - 80×100 سم 1989-م

في تكوين مدروس، تتوزع الجرار الثلاث لتخلق عمقاً دراميأ يتجاوز الأبعاد الثلاثة:
مقدمة المواجهة:
تبرز «الجرة المكسورة» في الصدارة، كبطل تراجيدي يحمل ندوب التجربة. وضعها في المقدمة يكسر جمود المشهد ويمنحه ديناميكية حركية توحي بالتحول.
في الخلفية، تقف

الجرار السليمة كشواهد على الاستقرار، مما يخلق توازن بصري بين «ما كان» و»ما آل إليه الأمر»، مدعوم بباليتة ألوان دافئة (الأحمر، البرتقالي، والبني) تضفي حميمية على قسوة الكسر. بين دفء اللون وعتمة الظل، تطرح اللوحة تساؤلاً وجودياً: هل الكسر ضعف، أم أنه تجل آخر لصلابة الروح؟

تدعونا هذه القراءة البصرية إلى الإيمان بحتمية التحول؛ فالجمال في فلسفة هذه اللوحة يكمن في الأثر الذي يتركه الزمن. إن كل شق في جسد الفخار هو «ثغر» يروي حكاية صمود، وكل قطعة مكسورة هي بداية لتكوين جديد، يسمع أنينه في ملمس الطين ويرى ضوؤه في بريق الأمل المنبعث من قلب العتمة.

«إن الجمال الحقيقي لا يكتمل إلا بلمسة من الانكسار، حيث يجد الضوء طريقه ليعبر من خلال الثقوب إلى الداخل.»



ابراهيم شلبى امام اعماله بالخط العربى فى احدى معارض الجامعة
مع امينة الاتيلية مدام/ سهير 1987

بين الخرائط والمدافع:

رسم للحرب بدلا من الحياة

فـــي السادســـة مــن عمــري، لــم تكــن الحيـاة سـوى لوحـة بيضـاء تنتظـر أولـى لمســاتي.

وفـــي أحــد الأيــام، ظهــرت فــي حياتـــي علبــة صغيــرة، بسـيطة، لكنهــا إحتــوت عالمــا كامــلا:

علبــة ألــوان. لــم أكــن أعــرف حينهــا أنهــا ســتكون جــواز ســفري إلــى عوالــم لــم تخطــر ببالـــي، وأن تلــك العصـــي الشــمعية الملونــة ســتحمل فـــي طياتهــا حكاياتـــي وأحلامـــي.

7 عندما يباغتك النجاح،
وتخذلك الخطط ....

كان الفقر شبح يطاردني، و قدرا محفورا في تفاصيل حياتي، في جدران بيتي ، في الأيام التي قضيتها بين الكتب الجامعية كنت أحلم بسماء أوسع للألوان، بفرشاة لا يقيدها العوز ولا الجغرافيا.

كنت أعلم أن الطالب الراسب يمكنه إستخراج جواز سفر من الكلية، و كان هذا سبيلي الوحيد للعودة إلى العراق، إلى حيث شعرت أن الحياة تبتسم لي.

فشلت خطتي في الرسوب في ثلاث مواد ، فقد إستحدثت أقسام جديدة في الكلية إستلزمت تعديل المناهج وكانت دفعتي، هي أخر دفعة في النظام القديم، قررت إدارة الكلية تخريج الجميع ، ولأول مرة كانت النتيجة لم يرسب أحد حين علمت بالأمر، كان حزني مضاعفا: على ضياع فرصة السفر،من ناحية وعلى التقدير الذي خرجت به من ناحية أخرى « مقبول». نظرت إلى النتيجة، وفكرت: لو كنت أعلم أن النجاح محتوم، لاجتهدت قليلا. كانت المواد سهلة بالنسبة لي، وكان يمكنني إقتناص تقدير أعلى دون عناء

أنهيت دراستي الجامعية، ولم يكن هناك وقت للراحة أو الأحلام المؤجلة، فسرعان ما التحقت بالخدمة العسكرية الإجبارية، خطوة كنت أرى فيها الطريق الوحيد للتحرر من

قيود البطالة والضياع، لابدأ حياتي العملية وأبحث عن فرصة لبناء ذاتي بعيدا عن ظلال الحاجة.
في الجيش على هضبة السلوم التحقت بمركز عمليات اللواء 130 مشاة ميكانيكا، كلفت بمهمة لم أتخيل يوما أنها ستكون جزءا من حياتي:
رسم الخرائط العسكرية. خرائط ضخمة، تمتد لأكثر من أربعة أمتار، كل سنتيمتر على الخريطة يعادل كيلو متر على أرض الوقع.
كل مليمتر فيها يحدد مصير الجنود على أرض المعركة، فخطأ بسيط في رسم تمركز الجنود قد يعني سقوط سرية أو وحدة عسكرية ، كاملة في مرمى النيران ، بدلا من إحتمائهم خلف تبة أو تل.
كنت أرسم التلال والوديان، وأضع الحسابات الدقيقة التي تجعل الجندي محتميا خلف تل بدلا من أن يكون مكشوفا في العراء.
كنت أرسم، لكني لم أكن أرسم الحياة، كنت أرسم الموت المحتمل، الحروب التي قد تندلع في أي لحظة.
كانت يدي تتحرك فوق الورق، لكني كنت أتخيل الأقدام التي ستخطو فوق تلك الخطوط، الجنود الذين سيتبعون مسارات رسمي، بعضهم قد يعود، والبعض قد يظل هناك إلى الأبد.
مر العام، وخرجت من الخدمة العسكرية محملا بتجربة كانت درسا في الدقة، في التأثير الذي قد تتركه ريشة رسام على مصير البشر.

8 الوان مؤجلة
..............خارج أسوار الجامعة

لم أكن أعلم أن خروجي إلى الحياة المدنية سيكون عبورا نحو صدمة جديدة . فقد ودعت الخدمة العسكرية وفي قلبي رجاء، بأن يكون الخارج أرحب من الداخل، بأن تنتهي حياة الانضباط الصارم لابدأ فصلاً أكثر حرية، أكثر إتساعا، فصلاً يشبه روحي التي ظلت تمتلئ بالألوان رغم كل ما عانيته.

لكن العالم، كعادته، لم ينتظر. فجأة تغير كل شيء. خريطة الأرض التي كانت تستعد لإستقبالي، بدأت تتفكك على وقع الدبابات. العراق إجتاح الكويت، والمنطقة إشتعلت.

حرب الخليج إندلعت، وأبواب السفر التي بالكاد بدأت تنفتح، أغلقت دفعة واحدة. أصبحت الحدود نار، والمطارات صمت، والأحلام أوراق مؤجلة في أدراج موظفين خائفين.

لم يكن هذا كل شيء. في الداخل، كانت البلاد تتأرجح. الاقتصاد ينهار كما تنهار أعمدة بيت قديم. شركات توظيف الأموال تسقط، واحدة تلو الأخرى، يتبعها أصحابها إلى السجون... أو إلى الهروب الكبير.

وفيما الشاشات تعج بالأخبار، كانت الشوارع تزدحم بالعاطلين، والخيبة تسري في الوجوه كما يسري الغبار في مدينة بلا مطر. ألغت الدولة نظام القوى العاملة، وانتهى بذلك ما كان يعتبر آخر مظلة حكومية للخريجين.

كان يفترض أن تبدأ حياتي. لكني وجد نفسي ، مثل آلاف غيري ، مجرد رقم في طابور... ينتظر دوره في المجهول.

ومـع نهايـة سـنوات الجامعـة، أسـدل السـتار علـى مرحلـة كانـت نافـذة مشـرعة علـى الألـوان، حيث كنـت أحصـل عليهـا بالمجـان، كمـا لـو أن الحيـاة قـررت أن تمنحنــي فسـحة صغيـرة لأحلـم.
الآن، وقـد خرجـت مـن أسـوار تلـك المرحلـة، وجـدت نفســي فــي مواجهـة السـؤال القديـم الـذي ظـل يرافقنــي كظـل في ظهيـرة صيـف: «كيـف أحصـل علـى علبـة ألـوان؟» فــي الطفولــة، كان السـؤال بريئـا، رغبـة صغيـرة تطـرح علـى أم أو تهمـس فـي أذن أب، يمكـن أن تجـاب بابتسـامة أو وعـد مؤجـل. أمـا الآن، فالأمـر مختلـف. لـم أكـن أبحـث عـن إجابـة، فالإجابـات صـارت كثيـرة، مكـررة، باهتـة.
كنـت أبحـث عـن «حـل». حـل يعيـد إلـيّ الألـوان، كـأدوات رسـم مـن ناحيـة وكامتـداد لروحـي، كلـون طـازج ينسـكب علـى بيـاض الأيـام مـن ناحيـة اخـرى . علبـة الألـوان لـم تعـد حلـم طفولـي، صـارت رمـزا لمعركـة أخوضهـا فـي صمـت؛ معركـة لا تنتهـي عنـد بـاب مكتبـة، معركـة تبـدأ مـن هنـاك. مـع كل خطـوة إبتعـدت فيهـا عـن أسـوار الجامعـة، كنـت أشـعر وكأنـي أنفصـل تدريجيـا عـن مصـدر الضـوء الـذي كان يلـون عالمـي. كانـت علبـة الألـوان المجانيـة رمـز بسـيط، لكنـه عميـق، لـكل مـا كان متـاح في الماضـي دون مقابـل.
أمـا الآن، وقـد أصبحـت فـي مواجهـة العالـم وحـدي، أصبـح السـؤال عـن الألـوان معادلـة وجـود. وفـي هـذا الامتـداد الزمنـي مـن الحلـم إلـى الواقـع، بـدأت اللوحـة الأوسـع لحياتـي تكمـل تفاصيلهـا.
كانـت حياتـي لوحـة هائلـة، رسـمتها الأقـدار بفرشـاة مـن الفـرص المشـرقة والانكسـارات الصامتـة. تنقلـت بيـن مصـر والعـراق، بيـن الأتيليـه حيـث تنبـض الأرواح، وثكنـات الخدمـة العسـكرية حيـث يصمـت كل شـيء. عشـت بيـن الفـن الـذي يمنحنـي الأمـل، والواقـع الـذي إحـاول تقليصـه داخـل قوالـب ضيقـة.

كنت أعرف أن العالم تغير. الأحلام تراقب من خلف زجاج الواقع السميك، والحياة تمنح لمن يصر، وليس لمن يستحق، لكن شيئا واحدا ظل ثابتا فيَ: شغفي بالفن، ذاك الشغف الذي لم تنل منه تقلبات الحياة، ولا البعد عن مصادر الدعم، ولا حتى الفقر، الذي كان ضيق في الجيب، و إمتحانا متكررا لقدرتي على الإبداع وسط الانطفاء. لم أكن أحلم بحياة مريحة، كان حلمي حياة حقيقية، قوامها ريشة، وبعض الألوان، وكثير من الإيمان. لم أعرف ما يخبئه لي الغد، لكن قلبي كان مستعد، يطرق أبواب المستقبل بيدي العارية، حاملاً حبي لما يصنع، مؤمنا بأن كل سقوط ليس إلا لوحة ناقصة... تنتظر ضربة فرشاة أخيرة لتكتمل.
قادتني الظروف إلى العمل كرسام موبيليا «رسم ورد وزخارف نباتية على الأثاث.» في ورش الموبيليا، كنت أرسم على أبواب الدواليب، أدراج الكومودينو، طاولات السفرة، وازين كراسي الصالون بالتذهيب. لم يكن هذا الفن الذي أحلم به، لكنه كان فنا على أي حال. كان الدخل يكفي لمصروفات الحياة، لكنني لم اشكي، فقد كان هناك حلم آخر، فكرة ظلت تراودني رغم كل شيء: «السفر» ،

حين قررت أن أشق طريقي خارج حدود بلادي، بحثت عن وظيفة في« مكتب دعاية واعلان» رافضا كل الفرص التي أتتني كمحاسب ، لم يكن الأمر إندفاع أعمى ولا هروبا، كان إستمرارا منطقيا في السرد الطويل لحياتي؛ تلك الحياة التي لم تكن يوما سهلة، لكنها علمتني كيف اصنع من الانكسار بداية، ومن الألم دافعا.كان الفن دائما طريقي، وعلبة الألوان حلمي الصغير.

حين قيل لي إن هناك فرصة، وإن وكالة دعاية وإعلان تنتظر موهبتي. لكن هناك شرط واحد بدا بسيط في ظاهره، لكنه كان كالجدار في طريقي: أن يكون جواز السفر مدون فيه «خطاط ورسام».

عندها أدركت أن عليا أن اتنازل عن مؤهلي العالي، شهادة كلية التجارة التي أفنيت فيها أربع سنوات، وعلقها والدي بفخر على جدار غرفة الضيوف.

لم يكن القرار سهلا. لقد نشأت في بيئة تقدر التعليم، حيث كانت الشهادة درع إجتماعي، وسلاح في وجه الحاجة.

لكن قلبي لم يكن يوما في الحسابات والأرقام، كان في الظلال والألوان، في السطور التي ترسم الحكايات لا التي تجمع الإيرادات.

مضيت بخطوات صامتة نحو تضحيتي الكبرى، بحث عن طريقة تمكنني من تثبيت المهنة التي أرادوها.

لجأت لإحدى المطابع التي كنت أتعاون معها ، وقامت بالتأمين عليا كموظف لديهم ، لأحصل على رقم تأميني يمكنني من تعديل بطاقتي الشخصية، لاصبح رسميا «خطاط ورسام».

لم تكن تلك الوظيفة الأجدى من حيث المال، ولا الأسهل من حيث الطريق، لكنها كانت الأقرب إلى قلبي، إلى الحلم الذي حملته منذ كنت طفلا أتساءل ببراءة:

«كيف أحصل على علبة ألوان؟»

كانت هذه الفرصة وعد صامت لحياة تبنى بالريشة وليس بالرقم، بالحلم وليس بالحساب. ولأجلها، فضلت أن أترك ما أعتبره الناس «ضمانا للمستقبل» وظيفة كمحاسب، كانت

تنتظرني بثبات، تضع لي كرسي ومكتب في زاوية آمنة من هذا العالم المتقلب. لكني لم أخلق للزوايا.
نعم، لقد ضحيت بمؤهلي العالي، لكن لم أكن اشعر بأني افقد شيئ. كنت أربح شيئا أعمق: ربحت حقي في أن اكون في المكان الذي أحلم به، أن أعمل ليس لأن عليا أن أعمل، لكن لأنني أريد أن أصنع شيئا يشبهني.
كانت التضحية كبيرة. لكن الهدف... كان أكبر.
كانت الفرصة في وكالة للدعاية بالرياض سأكون شريكا، واحصل على 60٪ من الأرباح، بينما يحصل الكفيل السعودي على 40٪ مقابل الترخيص والكفالة. كانت النسبة مغرية، جعلتني اعجل بإنهاء اعمالي سريعا في مصر ..»
جهزت حقيبتي، التي لم تكن تحوي إلا القليل: بعض الملابس، دفاتر رسومات، وريشة قديمة لا أعرف إن كانت ستصلح لما هو قادم.
حين وطأت قدماي أرض الرياض، كانت الشمس قد بدأت تميل نحو الغروب، ترسم على الجدران الطويلة ظلالاً تمتد كأنها تهمس لي: «ها قد وصلت، فماذا بعد؟»
في جيبي عنوان كتب على عجل، وفي قلبي مزيج من الخوف والرجاء .
سألت سائق التاكسي أن يوصلني إلى الموقع، فقادني الطريق إلى شارع هادئ تتراص على جانبيه مكاتب صغيرة بلافتات متشابهة، وكأنها نسخ مكررة من بعضها البعض. وصلت إلى المكان، شارع عسير.
كان «المكان» عبارة عن واجهة بسيطة، تحمل لافتة كتب عليها بخط متأنق: «مكتب المقيل للعقارات»

ترددت لحظة أمام الباب الزجاجي، ثم دفعته بخفة. دخلت.
فاحت رائحة بخور وملفات قديمة، وفي الداخل، جلس رجل على مكتب خشبي كبير،
واقتربت بخطوات هادئة، وقلت بنبرة مهذبة:
-«من فضلك... فين ألاقي الأستاذ /علي المقبل؟»
رفع الرجل عينيه نحوي، وبابتسامة عريضة، قال بصوت واثق، وبلهجة سعودية دافئة:«ياهلا بالمصري... ياهلا والله... اتفضل، استريح يا طويل العمر.»

كان الترحيب أكبر من المكان، وربما أدفأ من الغرفة ذات التكييف. جلست، اخبئ في عينيى آلاف الحكايات، ولا اعلم أن أول فصول غربتي قد بدأت... من هنا.

«علي المقبل» شاب في أوائل الثلاثينات من عمره، قصير القامة، يميل إلى الامتلاء، بجسد يبدو وكأنه لم يعرف يوما رياضة أو حمية. بشرته بيضاء تميل إلى الاحمرار، وكأن الشمس لم تزره إلا لماما، أو لعلها اعتادت أن تتركه في ظلال المكاتب لا تحت وهجها.
مظهره كان بسيط ، بملابس تظهر ميله للراحة أكثر من الأناقة، يرتدي دشداشة بيضاء بلايقة مرتفعة والعقال السعودى. تخرج من كلية الآداب، قسم اللغة العربية، لكنه لم يكن ممن يفاخرون بتحصيلهم العلمي. على العكس كان يعترف، دون مواربة، أن مستواه لم يكن يؤهله لتعليم المراحل العليا.
ولهذا، حين جاءه تعيينه في المرحلة الإعدادية، اعتذر بلطف، مفضلا العمل مع طلاب المرحلة الابتدائية، حيث يجد نفسه أقدر على الشرح، وأقل عرضة للارتباك أمام الأسئلة العميقة أو التحليلات النحوية المعقدة.

كان ودودا، مرحا، سريع الثقة بالناس، لكنه لا يخفي حذره حين تلوح رائحة المجازفة، في داخله خليط من الطيبة الفطرية، والانكماش المهني، وكأنه يسير في الحياة بمحاذاة الجدار، لا يتقدم كثيرا، ولا يتراجع كثيرا، فقط يكتفي بأن يكون موجودا، أن يشار إليه بابتسامة خفيفة، لا بدهشة.

لكن خلف هذا الوجه الهادئ، كان هناك رجل يتمنى لو أن الدنيا أعطته فرصة واحدة، كما يعطي هو طلابه فرصة إعادة الإملاء... دون علامات حمراء.

جلست على كرسي الانترية المواجة للمكتب ، وقلبي يخفق، من الترقب. رحت انظر حولي، سألت، وقد بدأ القلق يتسلل إلى صوتي:- «طيب... الوكالة فين؟ ومتى نبدأ الشغل؟»

هنا، تغيرت نبرته. قال لي بنبرة هادئة، كأنما يطمئن طفلاً خائفاً:- لا تشغل بالك. روح مع أشرف، يوصلك للسكن، تاخد دش دافي، تتعشى، وتستريح. بكره الصبح نتفاهم.

مشيت مع أشرف، حتى وصلنا لسكن العمال، وفى طريقنا الى السكن تبادلنا أطراف الحديث.

لم نركب سيارة، فقد كان المكان قريباً من المكتب، لا يبعد أكثر من خطوات معدودة.

أشرف شاب مصري من المنصورة في الثلاثين من عمره، مرح الطباع، سريع الأنس. عرفت منه خلال تلك الدقائق القليلة أنه خريج كلية تجارة، يعمل محاسباً مع علي في المكتب منذ سنوات. كان يتحدث بسهولة، وكأنه يعرفني منذ زمن، يلوح بيده هنا وهناك، يشرح لي طرق المنطقة، وينتقد بخفة بعض عادات العمل. شعرت للحظة أن الغربة بدأت تذوب، أو على الأقل، أنها تمنحتني أولى بشائرها الدافئة

. سكن العمال
.... رحلة البرد والإنتظار

كان البيت متآكلا من الزمن، كأنه لم يبن ليسكنه بشر، بيت عربي الطراز، منهك تحت ثقل السنوات، يتنفس بشق الأنفاس من بين شقوق جدرانه المتصدعة، التي كانت تشبه أجسادا نحيلة أنهكها البرد والجفاف.
من الخارج بدا كركام ذا ذاكرة، ومن الداخل يئن ... بصمت لا يسمعه أحد ، كأن كل شيء فيه يوشك على السقوط. في الطابق الأول، كانت صالة توزيع واسعة، توحي بالرحابة لكنها لا تمنحها، تؤدي إلى غرف ضيقة كأنها خلقت لتحتجز الهواء. المطبخ كان بوتوجاز وبجانبه تربيزة يحتلان ركن من ممر بالكاد يتسع لجسد يتحرك، والحمام... قطعة خجولة من البلاط القديم، يئن هو الآخر من صدأ المواسير وتصدع حيطانه وتراكم الزمن على جدرانه وعلى الجانب الأيمن، سلم حجري، مهترئا كأن الزمن مضغ درجاته بأسنانه، يصر تحت كل خطوة، ويحكي ، دون أن يسأل ، حكايات أقدام مرت من هنا، بعضها كان مثقلاً بالحلم، وبعضها بالتعب، وأكثرها لم تعد.
يقودك السلم إلى الطابق الثاني، حيث يتكرر المشهد وكأنه صورة مستنسخة، إلا أن الصالة هناك كانت بلا سقف مفتوحة للسماء... مشرعة للبرد، كأنها ترفع يديها للنجوم طلبا للرحمة في الليالي القارسة.
كان الهواء فيها أكثر حضورا، والليل لا يغلق الباب خلفه، يبقى جالسا على البلاط، يتسرب إلى العظام، يهمس بالوحدة، ويذكرك أنك في مكان لا يدفيك فيه سوى جلدك... إن استطعت.

فـي هـذا البيـت، كانـت البـرودة إحساسـاً يقيـم فـي الجـدران، فـي الأرض، فـي تفاصيـل الأشـياء. بيـت لا يحتضـن، يذكـرك دومـاً أنـك عابـر، وأن عليـك أن تبحـث عـن دفئـك بنفسـك، قبـل أن تلتهمـك الليالـي كمـا التهمـت مـن كانـوا هنـا قبلـك.
كان البيـت لعائلـة المقيبـل، قبـل أن ينتقلـوا إلـى فيلاتهـم الجديـدة، أو قـل قصورهـم. فـي الطابـق الأول، يسـكن عمـال علـى كفالـة الوالـد «سـعد المقيبـل»، وفـي الطابـق الثانـي، عمـال علـى كفالـة الابـن «علـي سـعد المقيبـل».
دخلنـا المنـزل، فوجدنـا بعـض سـكانه جلوسـاً فـي الصالـة. ومـا إن سـمعوا صـوت أشـرف العالـي -الـذي يسـبقه دائمـاً ضحكـة ويختمـه بهـا- حتـى أتـى الباقـون مـن غرفهـم إلينـا.
عرفنـي أشـرف علـى الجميـع؛ كانـوا عمـالاً باليوميـة فـي أعمـال البنـاء والمعمـار. ثـم قدمنـي إليهـم قائـلاً:
- دا يـا جماعـة، إبراهيـم مـن كفـر الشـيخ. خطـاط ورسـام، جـاى يشـتغل فـي وكالـة المقيبـل للدعايـة والإعـلان.
سكت الجميع للحظة، ثم سأل أحدهم باستغراب
:- هو علي عنده وكالة دعاية وإعلان؟
نظروا إلى بعضهم باندهاش، ولم يجب أحد على السؤال.

فـي تلـك اللحظـة، أدركـت سـريعاً أنـه لا توجـد وكالـة. وقفـت مذهـولاً، أسـتوعب أن «الفرصـة» لـم تكـن سـوى خدعـة، وأننـي أصبحـت قطعـة فـي لعبـة. فهمـت بعدهـا أن» علـيّ المقيبـل « مثـل غيـرة الكثيريـن مـن السـعوديين الذيـن يمتلكـون «التراخيـص» التـي تمنحهـم الحق فـي اسـتقدام العمـال، ليتركـوا لهم الشـوارع والأسـواق وورش البنـاء، يبحثـون فيهـا عـن أي شـيء، مقابـل نسـبة يدفعونهـا شـهرياً للكفيـل... ضريبـة وجـود، لا أكثر.فهمـت سـر النسـبة الكبيـرة لـي.

الليلة الاولى بالسعودية

كانت ليلتي الأولى في السعودية أشبه بانهيار صامت، كأن كل شيء فيه يعيد تشكيلي تحت قسوة البرد والخذلان.

لم تكن الغرفة التي التحق بها إلا قفصا ضيقًا من الإسمنت، لا تتجاوز مساحتها ثلاثة في أربعة أمتار، بداخلها أربعة أسرة من الحديد البارد، كل اثنين متقابلان، وبينهما متر واحد بالكاد يتسع لعبور جسد

. ذلك المتر... كان قدرى.

كان سريرى.

لا مكان لى على الأسرة، لا ترحيب، ولا حتى مجاملة من جيرانى العمال الذين بدوا كأنهم حفروا من صخر، قلوبهم باردة، ملامحهم جامدة، لا يرون فيه إلا عبئا جديدا بلا فائدة.

افترشت الأرض، والتحف بالعراء، واضعا حقيبتى تحت رأسى، كأنها آخر ما تبقى لى من دفء الوطن.

كانت الليلة شديدة البرودة، فبراير من عام 1991، وكان الشتاء في ذروته، والريح تصرخ في زوايا الغرفة كأنها جيوش من الصقيع تسللت من كل شق في الجدار، هجمت على جسدى الهزيل بلا درع، بلا مأوى.

كنت أتقلب على الارض كمن يبحث عن زاوية أقل قسوة، لكن الأرض كانت واحدة، والبرد واحد، والوحشة واحدة.

في ذلك الليل الطويل، لم يكن الألم من سيقانى المتجمد وحدها، كان داخلى أيضا. هناك، حيث كان الأمل يتحول إلى جليد، قطعة بعد أخرى.

وحين نظرت إلى وجوه من حولى، إلى هؤلاء العمال المهاجرين مثلى، والمصرين مثلى رأيت فيهم شيئا أقسى من الصقيع:

رأيت البرودة المتعمدة، النفور الذي لا يلين، كأن الفقر لا يكفي، فلا بد أن تكتمل غربتك بعزلة باردة من بني جلدتك.
تلك القلوب المتحجرة التي لانت وصارت كالحليب بعد ان أصبحت صاحب عمل، إنقلبت، وأظهرت دفئا كنت أترجاه في تلك الليلة، حين كنت الوحيد، النائم على الأرض، والبرد يلتهمني ببطء.
في تلك الليلة، لم أنم. لكني تعلمت أن البرد الذي ينبع من القلوب أقسى الف مرة من البرد الذي ياتي من الخارج، تلك القلوب التي لم تعرف معنى العون، إلا إذا رأت من ورائه نفعاً.
في الصباح، خرجت من ذلك البيت العتيق، أجر جسدي المتصلب من البرد كما لو كنت أسحب جثة من تحت الركام.
كل خطوة كانت تئن تحتها الأرض، وكأنها تسجل حزني الذي لم أصرح به، حزني الذي حملته في عينين باكيتين، وفي يدين متجمدتين، وفي قلب خذله الدفء.
توجهت إلى الكفيل، متردداً، بين كرامة تضربني على كتفي وتهمس لي أن أصمت، وحاجة تمسكني من عنقي وتدفعني للكلام. وقفت أمام الرجل، وصوتي مكسور من الليل، ومن الأرض الباردة، ومن الشعور بأني غريب لا يرى.
قلت بهدوء متعب:
- يا أبو سعد... البارح ما نمت. ما لقيت سرير، نمت على الأرض من غير لحاف، ولا حتى مخدة.
رفع الكفيل رأسه من أوراقه، ونظر إلي بنصف اهتمام، ثم قال بنبرة فيها شيء من الوعود المعلبة:- لا تشيل هم... أفرجها لك قريب إن شاء الله. بنجيب لك سرير، قريب، قريب.

مد يده إلى درج جانبي ببطء، كأنه يمنح نفسه فرصة ليفكر، ثم سحب منه ورقة نقدية. ناولها لي وقال:

- هاك... خذ دي خمسمية ريال. اشتر لك بطانية، والباقي خله لأكلك... لين نجهز السرير.

أخذتها منه، ورسمت ابتسامة على وجهي لم تلمس شفتيَ حقاً، ثم سألته:- وأين الوكالة؟ أريد أن نبدأ العمل.

بدت الإجابة فيها مراوغة واضحة: الوكالة موجودة، لكنها تحتاج إلى بعض الإصلاحات.

لكني ضغطت عليه، وأحكمت عليه الحصار. فما كان منه إلا أن فتح احد الملفات ، وأخرج ورقة، مدها لي ببرود أشبه بالصقيع، وقال بصوت خال من الحماس:

- خذ... هذي صورة من ترخيص الوكالة هليه معك . حنا نبحث عن دكان في مكان راقي ونجهزه.

كتمت غضبي، وسألته:

- ألم تقل لي مراراً في التليفون إن الوكالة موجودة، وإن العمل معطل فقط لتأخري في الحضور إلى السعودية؟

بدأ يراوغ من جديد، ويتمتم بكلمات غير مفهومة. لكني تأكدت من إجابة السؤال الذي سأله أحد العمال في الليلة الماضية: لا يوجد وكالة، ولا أدوات، لا شيء سوى الترخيص.

كتمت غضبي. لم أكن غبياً، ولم أكن ساذجاً، لكني كنت أتوق إلى فرصة، وكنت أعرف أن الحياة لا تمنحها بسهولة.

وجدت أنه يجب أن أقاتل، حتى لو لم أكن أملك سوى ورقة، وقلب لا يعرف الاستسلام.

مرت الأيام، تجر خلفها الأسابيع، والأسابيع تحولت إلى شهور، ولم يأت المقر.

لا وكالـة، ولا تجهيز، فقط وعود تتبخر كلما اقتربت منها، وكأنها تروى على لسان سراب.

خمسة أشهر كاملة، كنت اعيش فيها على الهامش، اتنقل بين الدوائر والطرقات، بين قروض صغيرة من زملاء الغربة وبين صمت طويل لا يقطعه إلا تنهيدة.

كان يلتهمني الوقت كما التهمه، احاول أن اظل واقفا بينما الأيام تدفعني للسقوط، ابحث عن فرصة، عن باب، عن بداية... ولو ضيقة كالممر الذي كنت انام فيه.

رغم كل شيء، لم أنطفئ. كان داخلي شيء يشبه الجمر... لا يظهر، لكنه لا ينطفئ. وكنت اؤمن، ولو في أقصى حلكة، أن الفجر... مهما تأخر، لا بد أن يأتي.

خلال تلك الأشهر الخمس،كنت عابر للشوارع، جوال راصدا صامتا، اسير على أطراف الحلم، بعين الفنان، وقلب الغريب.

تجولت في طرقات الرياض كأنها متحف مفتوح، التقط من المارة طباعهم، من الأسواق نبضها، ومن اللوحات الإعلانية أخطاءها.

كنت اراها تملأ الواجهات، لكن لا شيء فيها يشبه الفن ، ألوان تصرخ بلا انسجام، تصاميم كأنها نزعت من كراسة طالب هاو، وخطوط مرتعشة كأن من رسمها لم يعرف يوما معنى الثقة باليد أو بالفكرة

وكنت اقول في نفسي، بثقة لا يراها أحد:

«أنا أقدر أعمل أحسن من كدا... بكثير.»

لم يكن لدي مكتب، ولا وظيفة، ولا حتى وعد ثابت. لكن كان لدي عين تلتقط التفاصيل، وعقل لا يتوقف عن التعلم.

ومع كل يوم يمر، كانت شوارع الرياض تصبح لي مألوفة، كتحدى، اصر أن اجد فيها لنفسي مكان... ولو صغيرا، ولو بجهدي وحدي. تعلمت كيف يفكر السوق، كيف تضيء الإعلانات، وكيف تتحول فكرة إلى أثر ملموس.
إكتشفت خامات لم أرها من قبل، الأكريليك، النيون، ومواد لم تكن متاحة في محيطي السابق. رأيت آلات الطباعة المتقدمة، أنظمة الإضاءة الذكية، تصاميم تتحرك بالإلكترون.
كنت انتظر... نعم. لكن إنتظاري لم يكن سكون، كان اشتعال داخلي هادئ، مثل نار تحت الرماد تعد نفسها للحظة الانطلاق. حولت الوقت الضائع إلى درس في الصبر، والصبر إلى تجربة، والتجربة إلى إصرار.
في كل لوحة مشوهة كنت أرى فرصة، في كل واجهة غير موفقة كنت أخطط كيف كان يجب أن تكون، كيف يمكن أن إظهر براعتي، متى تسنح لي الفرصة.
وكنت اعلم، حدسي الذي لم يخذلني، أن لحظة البداية قادمة. أن ما اعيشه الان ليس سوى فصل أول، فصل لا يحمل نهاية، يحمل تمهيد لحكاية لم تكتب بعد... حكاية بطلها فنان جاء من بعيد، محملا بالوعود، ممتلئ بالإيمان.

في خضم ذلك الانتظار، وسط شوارع الرياض التي حفظتها خطوة خطوة، وأنا أتتبع فيها أثر الفرص، وقع بصري على إعلان صغير في إحدى الصحف المحلية. وقعه علي كان كبرق في سماء راكدة.
مسابقة من شركة «أجفا فيلم» العالمية، لتصميم لافتة موحدة لجميع ستوديوهات التصوير في المملكة.

قـرأت الإعـلان مـرة، ثـم مرتيـن، ثـم عـدت أُحـدق فيـه وكأن الكلمـات تلمع:«المشـاركة فـي المسـابقة مقصورة علـى الوكالات، وسـيمنح الفائـز عقد تنفيـذ الحملـة علـى مسـتوى المملكـة.»
ارتجـف شـيء فـي داخلـي، ذاك الشـيء الـذي ظـل يتغـذى علـى الأمـل طيلـة خمسـة أشـهر مـن الصمـت.
لـم أكـن أملـك وكالـة فعليـة، لا مقـر ولا فريـق ولا ميزانيـة. لكنـي أملـك ترخيـص وكالـة، انتزعتـه مـن جيـب كفيلـي ذات صبـاح حيـن ألقـاه أمامـي وقـال: «هـذا هـو ترخيصـك... والباقـي عليـك.»
لكنـي كنـت أملـك مـا هـو أثمـن مـن ذلـك كلـه: رؤيـة. يـدا تعـرف كيـف ترسـم، وقلـب لا يعتـرف باليـأس.
عـدت فـي تلـك الليلـة إلـى سـريري البـارد، أو بالأحـرى إلـى بلاطـة الأرض التـي صـرت أعرفهـا جيـداً وتعرفنـي. لكـن البـرد لـم أعـد أشـعر بـه، فذهنـي كان مشـتعلاً، وأصابعـي تتحـرك فـي الهـواء، ترسـم الخطـوط وتخلـط الألـوان فـي خيالـي.
قلـت لنفسـي وأنـا أطـوي الجريـدة بعنايـة، كأنهـا الخلاص:«إنهـا فرصتـي... حتـى لـو بـدا الأمـر ضربـاً مـن الجنـون. حتـى لـو ضحكـوا علـيّ وقالـوا: وش تبـي تسـوي بترخيـص خبـر علـى ورق؟»
قـررت أن أرسـم. أن أطـرق بـاب الحلم.فـي تلـك الصالـة العلويـة، المفتوحـة للسـماء، حيـث تبـث نورهـا فـي ضيـاء، جلسـت علـى كرسـي بلاسـتيكي كسـرت إحـدى أرجلـه، فرممتـه بسـلك كهربائي عثـرت عليـه فـي أحـد الأركان. أمامـي منضـدة خشـبية متآكلـة، يسـتخدمها العمـال أحيانـاً لتجهيـز طعامهـم، وتركوهـا شـاهدة علـى تعبهـم، وعلـى مـا تبقـى مـن حـواف خشـبها المهترئـة.
هناك، في ذلك الركن المتواضع، بدأت.

فـردت فـرخ ورق «كانسـون» بحـرص، كأنني أهيئ سـاحة عـرض، ووضعـت بجانبـي المسـطرة وقلـم الرصـاص وعلبـة الألـوان الفلوماسـتر التـي اشـتريتها بمـا معـي مـن ريـالات قليلـة مـن مكتبـة جرير بالريـاض. كنت أعلم جيداً أنهـا لا تليـق بمسـابقة عالميـة ترعاهـا شـركة «أجفـا فيلـم»، لكـن لـم يكـن لـدي مـا يكفـي لشـراء غيرهـا.
مسـكت بيـدي القلـم الرصـاص، وبـدأت أرسـم التصميـم، كمـن يكتـب رسـالة إلـى العالـم يقـول فيهـا: «أنـا هنـا، هـل مـن مجيـب؟»
كان كل خـط، كل لـون، كل ظـل، شـهادة علـى مـا عشـته فـي هـذه المدينـة. شـهادة فنـان لـم يكـن لديـه إلا القليـل مـن الأدوات، لكنـه امتلـك مـا لـم تمتلكـه وكالات كبـرى: قلبـاً لا يـكل، وروحـاً لا تعرف التراجـع.
وحيـن انتهيـت مـن الرسـم، رفعـت عينـي نحـو السـماء المفتوحـة فوقـي، وشـعرت للحظـة أن هـذا السـقف الـذي كان مصـدراً للبـرودة صـار شـاهداً علـى ولادة شـيء مختلـف.
كتبـت البيانـات علـى اللوحـة، ورقـم ترخيص الوكالـة، ثـم أرسـلت التصميـم عبـر الوكيـل السـعودي إلـى ألمانيـا. وبـدأت الانتظـار.

كان الانتظـار ثقيـلاً، كأن كل لحظـة تقيس مـدى صبري وإصراري.
مـرت أيـام، ثـم أسـابيع، وكنـت كل صبـاح أفتـح الجريـدة بخـوف، أبحـث عـن اسـمي بيـن الأخبـار.
ثم... جاء الخبر.
كالرجفة في قلبي، كيد مدت إليّ من بعيد لتخرجني من الظل.
تصميمي فاز.
تفوق علـى وكالات كبـرى، علـى جيـوش مـن المصمميـن. شـعرت أن فـوزي كان اعترافـاً مـن العالـم بوجـودي. لقـد سـمعوا ندائـي.

لـم أكـن أملـك أكثـر مـن كرسـي مكسـور، ومنضـدة أكلهـا الزمـن، ومسـطرة، وقلـم رصـاص، وعلبـة ألـوان. لكنـي أثبـت أن الفـن يقاس بالصـدق، لا بالمكاتـب ولا بالأمـوال. صـدق الفكـرة، صـدق اليـد، والإيمـان بـأن كل حلـم، مهمـا صغـر، قـادر أن يمـلأ السـماء... لـو وجـد مـن يرسـمه بيـده.

وهكـذا، صـار اسـم «المقيبـل» يتـردد فـي الأوسـاط الفنيـة، وكأنهـا وكالـة عريقـة لهـا جـذور فـي السـوق منـذ سـنوات. كان قلبـي يخفق بقـوة، والنصـر يتشـكل فـي الظـل كطيـف طـال انتظـاره.

أنا على الطريق.

رفعـت سـماعة الهاتـف وطلبـت «علـي المقيبـل»، وصوتـي يفيـض بحماسـة تخبـئ عاصفـة مـن الفـرح. لـم أمهلـه كثيـراً، فقـط قلـت بهـدوء مشـوب بالتوتر:-أبغـى أقابلـك، فـي شـي مهـم داووقـت حـالاً.

تـردد «علـي» للحظـة، ثـم طلـب منـي الحضـور الـى بيتـه بعـد صـلاة الظهـر.

مـا إن جلسـنا وجهـاً لوجـه، حتـى اندفعـت الكلمـات منـي كالنهـر بعـد موسـم جفـاف. رحـت أسـرد التفاصيـل بـلا توقـف: عـن المسـابقة، عـن التصميـم، عـن الورقـة التـي رسـمت علـى منضـدة طعـام قديمـة، علـى كرسـي معـوج، عـن الألـوان التـي لا تليـق بمقـام المسـابقة، وعـن الرسـالة التـي طـارت إلـى ألمانيـا وقلبـي معهـا.

كان الكفيـل ينصـت، ووجهـه متجمـد بيـن الدهشـة والشـك، وكأنمـا العقـل لا يصـدق مـا تسـمعه الأذنـان. ثـم قـال بنبـرة لا تخلـو مـن توجـس: لحظـة... لحظـة، وش تقـول أنـت؟ وشـو؟ أنـت اللـي سـويت كل ذا لحالـك؟!

ضحكـت بهـدوء، ضحـك مـن ذاق اليـأس فعـرف طعـم النصـر الحقيقـي. ثـم أجبـت بثقـة:- إيـه... وأكثـر. وتـرى تـم تحديـد موعـد توقيـع العقـود اليـوم، السـاعة أربعـة العصـر... وبنسـتلم الدفعـة الأولـى مـن التعاقـد.

تغيرت ملامح علي فجأة. نظر إلي بعينين واسعتين، وكأنه يحاول استيعاب ما سمعه. ثم انفرج وجهه، كما لو أن دهشة البدايات استسلمت للواقع الجديد. عيناه تدوران وكأنهما تبحثان عن تفسير منطقي لما يحدث، لكن صوته خرج بنبرة فرح لم يستطع كتمانها:

- يا ولد... والله إنك جبتها! والله إنك رفعت الراس!

وهكذا، بدأت الرحلة من جديد... لكنها هذه المرة كانت تسير في اتجاه الضوء.

صلينا العصر معاً في بيته، ثم تحركنا على الفور متجهين إلى الوكيل. في الطريق، كان الصمت غالباً، لكنه صمت مختلف، صمت يحمل في طياته فرحة لم تعلن بعد. كان علي يقود ببطء، وكأنه يريد أن يطيل اللحظة.

في داخل مقر الوكالة، تم توقيع العقد الرسمي للحملة الإعلانية مع شركة «أجفا فيلم». حضر اللقاء وكيل الشركة في السعودية، ومحامٍ يمثل الجانبين، وشخصيات أخرى لم أكن أعرفها. جلست إلى جانب علي، وأنا أشاهد الأقلام تتحرك على الورق، وأشعر أن كل حرف يُكتب هو اعتراف بأن وجودي هنا لم يكن عبثاً.

استلم علي الدفعة الأولى من العربون، وكان وجهه يشرق بابتسامة رضا، كأنما نال كنزاً دون عناء.

في السيارة، على طريق العودة، أدرت رأسي نحو الكفيل وقلت بنبرة هادئة لكنها محملة بالمعنى:

- خدت بالك من البند السادس والسابع في العقد؟

رفع المقيبل حاجبه مستغرباً، وكأنه لم يكن يتوقع سؤالاً كهذا:

- وش فيها البنود ذي يا إبراهيم؟ ما انتبهت والله، وش صاير؟

- طيب بص بنفسك... طلع العقد واقراهم، هتعرف كل حاجة.

على الفور، أوقف المقيبل السيارة جانباً، ومد يده إلى حقيبته وسحب...العقد. أخذ يقلب صفحاته بسرعة، حتى وصل إلى البند السادس... وفجأة، تبدلت ملامحه.

- «وش ذا الكلام؟ عشر أيام فقط لتسليم الدفعه الأولى من اليفط؟!»

تابع القراءة، وإذا بالبند السابع يقفز إلى عينيه كصفعة:

- شرط جزائي «غرامة 500 ريال ؟!

عن كل يوم تأخير؟! يا ساتر!»

التفت لي وقد اشتعل وجهه غضبا:

- «ليه ما قلت لي من أول؟! وش هالشروط اللي مثل السم؟!»

بهدوء، رديت بثقة:- «يا عم علي، العقد كان في إيدك...

وانت اللي وقعت عليه، من غير حتى ما تقرا.»

تردد المقيبل، ونظر بعيدا للحظة، كأن الدنيا تدور حوله، ثم عاد يسأل بصوت فيه ارتباك:

- «طيب... وإنت تقدر تسويها؟ كم تحتاج وقت؟»

إبتسمت، وفي عيني لمعة إصرار:

- «لو وفرتلي الأدوات والمحل النهاردة...

هسلم في الميعاد، زي ما مكتوب بالحرف.»

كان ذلك البند... ذلك التحدي... من تخطيطي، بإتفاق مسبق مع الجهة الموكلة، لاضمن أن لا يتأخر التنفيذ، ولاجبر الكفيل على الوفاء بما وعد، رغماً عن تردده السابق.

«كما أن ذلك منح الشركة إنطباع إيجابي عن وكالة المقيبل والتزامهم، فهم من بادروا بطلب إدراج الشرط الجزائي، ولو لم يكونوا صادقين في نواياهم لما أقدموا على كتابة شرط يتجنبه الجميع عادة.»

كان وقع الشرط مثل السهم، على «علي المقيبل » لكنه لم يصبه في مقتل، أيقظه.

لـم يكـن يتخيـل أبـدا أن يكـون أنـا مـن بـادرت بوضـع الشـرط الجزائـي، ولا أن أتحمـس لـه بهـذا الشـكل.
من جهتـي، لـم أكـن اراهـن علـى الـورق فقـط، كان علـى إيقـاظ الإحسـاس بالمسؤولية فـي عقـل الكفيـل، ودفعـه دفعـا نحـو الجـد.
كنـت اعلـم أن لا وقـت للتسـويف، وأن حلمـي أكبـر مـن أن اتـرك رهينـة لتقاعـس الآخريـن.
وقبـل اذان مغـرب اليـوم التالـى ، حـدث مـا توقعتـه تحـرك «علـي المقيبـل» بسـرعة البـرق، إستأجر مقـر، جهـزه بالماكينـات والخامـات، ثـم وقـف أمامـيـي بثبـات ومـد يـده بمفتـاح المكتـب والأدوات قائـلاً بصـوت صـارم: «هذا هـو مكتبـك، وهـذه أدواتـك.
إن لـم تتمكـن مـن تجهيـز الحملـة فـي الوقـت المحـدد بالعقـد، فسـتتحمل وحـدك غرامـة التأخيـر.»
قالهـا ثـم إستدار وإنصـرف، تـاركا خلفـه صدى كلماتـه يتـردد فـي أرجـاء المـكان، وكأنهـا تحـد معلـن لا مجـال للتهـرب منـه!
كنـت متعطـش للعمـل ، ممتلـئ بالحمـاس، عينـت ثـلاث مسـاعدين مـن بنجلاديش وايـران والهنـد لمسـاعدتي.
قسمتهم علـي ورديـات كلا فـى تخصصـه ،وقسـمت الشـغل بينهـم بالتوالـى ، فـالأول حـداد لتجهيـز الصناديـق بألـواح الصـاج ، والثانـى كهربائـى لتوصيـل اللمبـات النيـون بهـا ، والثالـث صنايعـى مقـص ،لقـص حـروف اللافتـات البلاسـتيكية التـى كنـت اكتبهـا لـه ، ثـم اقـوم انـا بتجميعهـا بنفسـى ، فهـم لا يعرفـون العربيـة ، ولـم يسـتطيع اى منهـم بالقيـام بعمليـة التجميـع .
فكانـت الوكالـة تفتـح أبوابهـا مـن الثامنـة صباحـا حتـي الثانيـة ليلا،فـى ورديـات متعاقبـة بيننـا ، بخـلاف جميـع الـوكالات الأخـرى التـي تفتـح مـن الثامنـة حتـي السـابعة مسـاءا وثـلاث سـاعات راحـة فـي المنتصـف مـن الظهـر الـي العصـر

سلمت الدفعة الأولى من اللافتات بسلام رغم تأخر التسليم أسبوعين عن الموعد المدون في العقد، لم تحدث اى مشكلة او لوم او مطالبة بتعويض .لانه لم يكن هناك داع في الأصل لهذا الالتزام الصارم بالموعد .

فالفكرة لم تكن أن تسلم اللافتات جميعها دفعة واحدة، كانت اللافتات تجهز وتركن في ركن خاص داخل الوكالة، إلى أن يأتيني «الأوردر»، اسم الاستوديو الذي سأكتبه على المكان الفارغ من الواجهة. ثم تذهب الى وجهتها على واجهة الاستوديو.للتركيب؟ لا أحد يستعجلني.

إن تأخرت يوما أو أسبوعا، لا أحد يسأل. وإن تزامنت عدة طلبات، فالسؤال عن من يأتي أولًا لم يكن له وزن.

كلهم سينالون نصيبهم في النهاية، ولا أحد يغادر بلا لافتة.

وعلى العكس من ذلك اذا تأخر موعد التسليم يأتي صاحب الاستوديو بهدية يقدمها بوجه باسم وكلمات مغلفة بالمودة:

ـ «بس علشان تفكرني... وتركب لافتتي الاول.»

ولم لا؟ وهم لا يدفعون شيئا في اللافتة من جيوبهم...

فكل شيء تتحمله الوكالة، من التصميم إلى التنفيذ والتركيب

مر عام بأكمله كلمح البصر، لكنه كان عاما من العمل الشاق، من التحدي المستمر، ومن الانتصارات الصغيرة التي شيدت جدارا من النجاح، حجرا فوق حجر.

لم يكن النوم إلا محطة قصيرة بين أيام طويلة، كنت أواصل الليل بالنهار، كمن يسابق الزمن وهو يحمل في قلبه يقين الحالم، لا يخشى السقوط ما دام الطريق يخبئ له الأمل.

سلمت باقي اللافتات، واحدة تلو الأخرى، بلا شكوى، مرت الأيام رخية، وادعة، تحمل في طياتها الرغد والطمأنينة، كأن الحياة أرادت أن تعوضني عن برد الليلة الأولى، وعن الوعود الكاذبة، وعن طوابير الخيبة التي تركتها خلفي في الوطن.
توالت العقود، وتوالت الحملات، وتدفقت علينا «البراندات» الجديدة كما تتدفق السيول على أرض عطشى.
وكنا نكبر، نعرف، ويعلو إسمنا مع كل تصميم يزين طريقا أو يحكي حكاية ضوء على واجهة.
وفي نهاية كل شهر، يأتي «علي المقيبل» ، يدخل المكتب ويأخذ نسبته، دون ان يوقع على الاستلام وكلما طالبته بالتوقيع، يضحك ويقول الشهر الجاى هوقع الشهرين، انا مستعجل، ثم يرحل.
لعام كامل، شعرت أخيرا بأني وجدت موطئ قدم، أن الأيام كفت عن معاندتي، أن لوحتي بدأت تتشكل بوضوح.
كانت الأقدار كعادتها لا تمنح أحدا نعمة خالصة، لا تعطي دون أن تخفي خلف العطاء اختبارا يربك الخطى ويخلط الأوراق.

ذات صباح، جاء «علي المقيبل» ،جلس على كرسى المكتب وجلست على الكرسى المقابل . وبنفس الوجه الذي التقيته به أول مرة، كأن شيئا لم يتغير. كانت الكلمات التي خرجت من فمه هذه المرة كالسيف في خاصرة الحلم: ترى يابراهيم
«من اليوم، لم يعد عقد الشراكة بينا ساري، من اليوم ستعمل عندي بالأجر، سأمنحك 1500 ريال شهريا كحال خويك من الخطاطين المصرين في الوكالات الاخري ».
كانت الجملة كالسيف، كانت سرقة فى وضح النهار ، إلغاء لكل ما بنيته.

وقفت في وجهه وقلت بصوت ثابت:
«أنا من صنع كل شيء، فكيف أصبح موظف ؟»
لكن الرجل لم يهتز، نظر لي و قال بجفاف:
إما أن تعمل بالشرط الجديد ، أو ترحل.
كانت الكلمات حادة، قاطعة، لا تحمل بين طياتها احتمالا ثالثا.
وقفت للحظة، نظرت إلى الرجل الذي طالما كان شريكى، ثم قررت أن الوقت قد حان للرحيل. - نعم، سأرحل.
جاء الرد هادئا لكنه محمل بقرار لا رجعة فيه.
نظر لي وقال:
- طالما قررت الرحيل، عليك أولا تصفية حساباتك.
أين نسبتي من الأرباح خلال العام المنصرم؟
ابتسمت بمرارة وقلت:- لقد سلمتها لك شهرا بشهر.
- لكني لم أوقع لك
مرت لحظة ثقيلة بيننا، كأن الزمن توقف ليستمع لنبض المكر والخوف والتوجس. حين أدركت جديته، تبدل موقفي سريعا. تيقنت على الفوراني في مواجهة مؤامرة تم الاعداد لها مسبقا علمت انني أمام فخ كبير، قد اسجن فيه لا محالة إن لم اتصرف بدهاء، فالمقيبل، بعد أن اسقط القناع، لم يكن ليتردد في إلصاق التهم، وتحويل الخلاف إلى قضية سرقة أو خيانة أمانة.
وكان لا بد من مخرج آمن، من خطوة محسوبة اسحب بها جواز سفرى منه وانسحب بها من ميدان صار ملوثا بالمكر والخداع. فكرت بسرعة. لم يكن أمامى سوى حيلة واحدة... طلب إجازة، ثم لا اعود.
رفعت عينيى بثقة مصطنعة، وقلت بصوت ناعم يخفي ما يجول في صدرى: - « بص يا بو سعد... خلاص، نبدأ من جديد. بمرتب شهري.

بـس قبـل أي حاجـة... محتـاج إجـازة. شـهرين. أعمـل عمـرة...
وأزور قبـر النبـي، واذهـب لزيـارة أهلـي فـي مصـر
أمي مريضة، وأشتاق لرؤيتها كثيرا
كنـت أتحـدث بنبـرة حزينـة، يملؤهـا الحنين،كنـت اظـن أن «علـي المقيبـل» رجـل لا تقاومـه الكلمـات الصادقـة، وأن عاطفتـي تجـاه والدتـي وحدهـا كفيلـة بـأن تفتـح لـي البـاب علـى مصراعيـه.
تغيرت نبرة «علي المقيبل» في لحظة، وكأن ثقته التي شيدت على مدار أشهر طويلة، انقلبت إلى ريبة محمومة في ثوان.
كنت اقف أمامه، وفي عينيي بريق من الحنين لا يمكن إخفاؤه، وفي قلبي يقين أن العودة أصبحت ضرورة لا تحتمل التأجيل، لا حيلة.
ابتسم الكفيل ابتسامة باهتة، ثم قال بنبرة ظاهرها التفاهم وباطنها التهديد:- موافق يا إبراهيم... بس بشرط.
بأسوي لك إجازة، بس تمضى لي على وصل امانه بميت الف ريال
وإذا ما رجعت؟ تراني أجيك مصر وأحبسك فى بلدك .
الكلمات سقطت عليا كحجر ثقيل، لكنها لم تزلزل هدوئي.
كنت أتوقع شيئا من هذا النوع، لكني لم أتخيل أن تغلف الثقة السابقة بورقة تهديد.
نظرت إليه بهدوء، وقلت بصوت خافت، فيه حذر ومرارة:
انت بتخونى بعد العشرة دى؟
- هذا النظام يا إبراهيم... تبي تسافر؟ أمني، وأنا أسوي اجازة
وقفت للحظة، ازن الأمور.
قلت له موافق جهز الورقة وهاجى عندك مكتب العقارات أوقعها
(لانت نبرته فجأة، وهو يطالعني بنظرة فيها بعض الحنين):
– «الله... والله تستاهل يا أبو خليل.. توكل، بس ترجع لنا مثل أول وأحسن، ترى الوكالة هتتقفل من غيرك.»

كان «علـي المقيبـل» رجـلاً حـذرا بطبعـه، لا يمنـح ثقتـه بسـهولة، لكـن معـي، كانـت الأمـور مختلفـة.
فثقتـه بـي تشكلت بهـدوء، كأنهـا شـجرة نبتت مـن بـذور صغيـرة زرعهـا بنفسـه، ورعاهـا بالمراقبـة والاختبـار.
كان المقيبل يبعـث لـي بأصدقائـه متنكريـن فـي هيئـة زبائـن عاديـن، بطلـب لافتـات بسيطة مقابـل ريـالات ضئيلـه، وبعـد كل مـرة، كان «علـي» يأتـي فـي صمـت، يفتـح دفتـر الإيـرادات، يقلـب الصفحـات بعنايـة، يمـر بعينيـه علـى الأرقـام، يفتـش بيـن السـطور بحثـا عـن تلـك العمليـات البسـيطة.
وفـي كل مـرة، يجدهـا هنـاك... مسـجلة بدقـة، كل ريال فـي مكانـه، دون أن ينقـص هللـه واحـده.
وحينها، كانت ملامحه تلين، وعيناه تزدادان يقينا...
ولـم يقـف الأمـر عنـد المـال. فـي المدرسـة التـي كان يعمـل بهـا معلمـا، أوكل لـي مهمـة إعـداد الاختبـارات الشـهرية لتلاميـذه.
كان «علـى » يعلـم بضعفـه فـي المـادة، ولـم يخجـل مـن الاعتـراف بذلـك، وكنـت اضـع لـه الاختبـارات الشـهرية، اسلمها لـه نهايـة كل شـهر هجرى،مع نسـبته مـن أربـاح الوكالـة.
فـى إحـدى الايـام دخـل عليـا صبـى، يطلـب شـراء نسـخة مـن الامتحـان، مقابـل مبلـغ كبيـر.
ما كان منى ،إلا أن طردته من المكتب،ونهرته بشدة »
وفي اليوم التالي، ابتسم علي وقال له بهدوء:
تعـرف الولـد اللـى طردتـه امـس ،انـا اللـى كنـت مرسـله لـك كنـت أبغـى أشـوف وش بتسـوي... .
لـم اقـول لـه اننـي كشـفت اللعبـة وتركتـه يتخيـل أنـه ذكـى فكيـف لهـذا الطالـب أن يعلـم بهـذا السـر وأنـا لـم أتكلـم بـه أمـام أحـد؟

فـي ليلـة سـاكنة، يلفهـا صمـت مريـح، والهـواء يتسـلل برقـة مـن بيـن نوافـذ مكتـب المقيـل للعقـارات ، دخلـت بخطـا واثقـة، وعلـى وجهـي ملامـح البهجـة التـي لا تخطئهـا عيـن.
كان الضـوء المنبعـث مـن السـقف يغمـر المـكان بلونـه الدافـئ، وكان «علـي المقيل»جالسـا خلـف مكتبـه الخشـبي العريـض، يحتسـي فنجانـا مـن القهـوة ،رفـع رأسـه لـيّ وأنـا أطـل عليـه كأنـي أحمـل بشـائر العيـد.
إقتـرب منـه بخطـوات حماسية، ثـم قلـت بصـوت تغلفـه البهجـة:-
مبـروك ياعلـي، عنـدي لـك خبـر يسـرك...
وقعت إتفاقا مبدأيا مع شركة « فوجي فيلم»
على حملة دعائية كبيرة!
وبكرا رايح أخلص كل شيء رسميا.

التفـت «علـي» لـيّ، وقـد إتسـعت عينـاه بدهشـة ممزوجـة بالإعجـاب:
- صـدق والله؟ مـا شـاء الله... الله يفتحهـا عليـك يابـو خليـل!
تابعت، وكأني استعجل قطار الفرح أن يمضي:
- علشـان نختصـر الوقـت، أبـي ورقـة مـن أوراق المكتـب، فاضيـة، موقعـة منـك ومختومـة... نكتـب عليهـا تفاصيـل التعاقد فـي الشـركة، بـدل مـا تتكلـف وتجـي معـاي وتتعطـل.
ابتسـم علـي بتلقائيـة، دون أن يخطـر ببالـه أدنـى شـك... كيـف يشـك بمـن اختبـره عشـرات المـرات؟
بمن وثق فيه كما يثق الإنسان بنفسه؟
مد يده إلى دفتر المراسلات لديه .

ثـم ختـم منـه ورقـة ثـم نزعهـا وسـلمها لـي ، بعنايـة، كمـا لـو كـان يعلـن مباركتـه لاتفـاق قـادم ونزعهـا مـن الدفتر .

أمسـكتها برفـق، فقـد كانـت مفتـاح النجاة.لـم تكـن هـذه الورقـة البيضــاء المطمئنــة، إلا ســلاح ،سأشــهره فــي وجهــه، بــدلا مــن الورقـة التــي كان ينـوي أن يأخـذ توقيعـي عليهـا لاحقـا.
مـر يومـان، وعـدت مـن جديـد. دخلـت بهـدوء، هـذه المـرة بـلا حماسـة، طلبـت مـن «علـي» الورقـة التـي يريـد منـي التوقيـع عليهـا لاحصـل علـى اجـازة. اسـتدعى اشـرف « مديـر مكتبـه، طلــب منــه أن يحــرر نــص الوصــل، ويأخــذ توقيعــي عليهــا ،وقعـت بهـدوء، وإنصرفـت »
وهكـذا، إكتمـل المشـهد بصمـت خـادع. فـي يـدي ورقـة بيضـاء مختومـة وموقعـة، وفـي يـد علـي، وصـل أمانـة مزيـن بالحبـر...
لكـن مـا بيـن الورقتيـن، كان خيطـا رفيعـا مـن الـذكاء والمكـر، مشـدودا كوتـر قـوس، لا أحـد يعلـم مـن سيطلق سـهمه اولا.
(مـر الان ثلاثـون عـام ومازلـت محتفـظ بتلـك الورقـة فارغـة كمـا هـي،)
وبعــد أقــل مــن شــهر، ســلمني « المقيــل» جــوازي، ومعــه تصريــح بالعمــرة الــى بيــت الله الحــرام ، ومــن جميــل المصادفـات، أنهـا وافقـت الأسـبوع الأخيـر مـن شـهر رمضـان المبــارك، وكأن الأقدار إختــارت لــي ختامــا طاهــراً لغربتــي، وبدايــة أصفــى لرحلــة العــودة..
ومـا أن حملـت جـواز السـفر فـي جيبـي، حتـى حملـت معـي كل مـا تبقـى مـن كرامتـي، وغـادرت إلـى المطـار...

عـاد ابراهيم إلـى مصـر بعـد عشـرين شـهرا مـن الغربـة، خمسـة منهـا قضاهـا بـلا عمـل، لكنـه عـاد و بيديـه مـا يكفـي ليبـدأ حلمـه. وهكذا...كان الرحيل من السعودية خلاصا.
وكانـت العـودة إلـى الوطـن بدايـة لغـد مختلف...غـد حفـر علـى كتـف الأيـام باسـم «إبراهيـم» مـن كتـب بـلا حـروف، وصنـع مـن المحنـة مرسـما.
وكأن كل خطـوة خطاهـا فـي تلـك البـلاد البعيـدة، وكل لحظـة واجـه فيهـا ظـل الظلـم أو مـرارة الحيلـة، كانـت تمهـد لهـذا اليـوم... لهذا المكان.
فبعـد أن طـوى صفحـة الغربـة، وعـاد إلـى مصـر محمـلا بمـا يكفـي مـن التجـارب والريـالات والحكمـة، بـدأ إبراهيـم مـن حيـث إنتهـى، مـن حيـث تعلـم أن الحـذر لا ينفـي الثقـة، وأن الطيبـة لا تعنـي الغفلـة.
عـاد وفـي يـده ورقـة، بيضـاء، مختومـة، موقعـة، لـم يـدر صاحبهـا أنهـا سـتمنحه قبلـة الـوداع، لا وعـد العـودة.

في حديقة بيتهم بنا ابراهيم مرسما كل قطعة من روحه
تشكلت بين جدرانه؛ فيه عبق الغربة، وصبر الليالي، ووهج
الأمل الذي لم ينطفئ.
كان الطلاء على الجدران يحمل في مسامه وجوها التقاها،
وأصواتا سمعها، وأخرى تمنى لو نسيها.
ومع مرور الوقت، تحول المرسم إلى منزل، إلى حضن
دافئ جمع فيه أسرته، إلى معلم صغير في ذاكرة الحي،
يشهد على حكاية بدأت في دهاليز الغربة،
لكنها لم تولد هناك

المعرض الأول

حتى وإن لـــم يمنحني الفن وظيفة ،
فقـــد منحـــني هويـــة

ابراهيم شلبى

فنان – الومضة واقتناص الحالة !!

- انــه واحــد مــن الموقنيــن أن الجديــة والــدأب والمثابـرة والدراسـة والتجريـب هـى عوامـل النجـاح , وهـو واحـد مـن الفنانيـن التشـكيليين الجسـورين , بخـوض تجربتـه دون خـوف , يفكـر و يجهـز ,ثـم يدخـل فـى معركـة ابداعيـة مـع الخامــات , انــه يســتخدم المعاجيــن واللدائــن وســلاحه السـكين والفرشــاة , وألــوان قويــة , دســمة مملــوءة !!

فنان الأحساس !!

تذكرني أعماله بالشعر الفصيح ولبس الشعر العامي , وهذا احساسي الخاص فشعر الفصحي رغم (التفعيلة) والجري وراء بحور الشعر المختلفة , الا أنه السهل الممتنع , الممتع تماما كما هي أعمال ابراهيم , كذلك الموسيقى الصادرة من لوحاته , ليست موسيقى شعبية , انما هي سيمفونيات , الهارموني فيها يكون تحنانا ساعة وصاخبا ساعة أخرى لتتماشى مع صلادة بعض ألوانه الحادة مرة والجامحة مرات , عالم ابداعي له خصوصيته وهويته وملامحه , يجمع بين عدة مدارس فنية مختلفة , فهو كلاسيكي احيانا , وتكعيبي أحيانا وسوريالي أحيانا , وهو قريب جدا من تجريد خاص يتعامل معه بحرفية واتقان !!

واذا كانت الفنون جنون فما احلى جنون هذا الفنان فهو قد صور العين بالفوتوغرافيا من داخلها وخارجها , حدبها وقعرها , وثلثها وربعها , ودورها , صور الأذن وكأن الصوت يغتالها أو يقتنصها , أعماله حالات وحالات لكل جزء حالة خاصة يبدعها فتثير التساؤلات , والعمل التشكيلي الناجح هو المحرض والمثير للدهشة والتساؤل !!

محمود خفاجي
ناقد تشكيلي – نقيب التشكيليين بالدقهلية
المنصورة 2016

جزء من دراسة بقلم الدكتور/ محمود خفاجي نشرت بكتالوج معرض ثورة الحواس، وفي كتاب ماكتب عن ابراهيم شلبي في الفترة من 2002 حتى 2022

9 ألوان
.......من رماد الذاكرة

فـي مرسـمي وسـط جدرانـه العاريـة، كنـت اجلـس واتأمـل. لـم يكـن لـدي سـوى هـذا المـكان، نعـم هنـاك اشـياء تنقصـه لكنـه كان ملكـي، سـكني الوحيـد الـذي اسـتطعت أن انتزعـه مـن الحيـاة.

جلسـت فـي مرسـمي وقـررت ان اسـتأنف نشـاطي الفنـي وان اعـود الـى اللوحـة والـى الالـوان فقـد اشـتقت اليهـم كثيـرا وحيـن قـررت ان ابـدا . ظهـر السـؤال الـذي لـم يبـرح ذهنـي منـذ ان عـرف معنـى الرسـم: مـن أيـن أتـي بعلبـة ألـوان؟

حيـن أدركـت أن الألـوان ليسـت فـي متنـاول يـدي، تذكـرت لوحتـي التـي رسـمتها لمسـابقة الجامعـة ، اللوحـة التـي كانـت السـبب لترشـيحي للالتحـاق بإتيليـه الجامعـة فإنهـا لا تنسـي صحيـح كانـت لوحـة سـاذجة ، لكـن اتذكـر كيـف خلقتهـا مـن العـدم.

اتذكـر يـا براهيـم مـاذا رسـمت بهـا ؟، اتذكـر كيـف رسـمتها ؟ مـن ايـن اتيـت بالالـوان؟

كانـت لوحـة لرجـل رياضـي ضخـم الجثـة بصـدر مكشـوف تظهـر عضـلات صـدره يرتـدي ميداليـة بهـا الاهرامـات لترمز لعراقتـه ويمسـك بيـد بندقيـة لترمـز لاسـتعداده للحـرب وبيـده الاخـري فـرع زيتـون ليرمـز لجنحـه للسـلام، وفـي الخلفيـة علـم مصـر مرفرفـا بالوانـه المميـزة الاحمـر والابيـض والاسـود.

تذكرت كيف ذهبت إلى أختي الكبرى «ابتسام»، طالبا منها بعض خصلات من شعرها الأسود الحريري، لاصنع منه فرشاة، فإبتسمت وقصت لي دون تردد. فشعرها الطويل لم يتأثر بقص بضع خصلات من اطرافه.

تذكرت كيف اخذت من أمي زهرة الملابس الزرقاء، وغبار الفرن البلدي لاحصل على الأسود، وجرحت أصبعي بموس حلاقة لاخلط دمي مع الماء، محاولا خلق اللون الأحمر.

وبعد ان تذكرت كيف انهيت لوحتي، أدركت أن الفقد نفسه يمكن أن يكون لونا، وأن اليد التي حرمت من الألوان، يمكنها أن تصبح، في النهاية، صانعتها

حين انتهيت من رسم لوحتي، أدركت لأول مرة أن الألوان روح تستخرج من داخل الإنسان، جوهر يستخرج من روح الأشياء ،روح تمتزج بالعالم، ويمكنه أن يستخلصها من الأرض، من الأشجار، من بقايا الحياة من حوله.

من الألم، من التفاصيل التي لا يراها أحد.

حينها أدركت أن الالوان قد تكون كامنة في داخلي، في التراب الذي اسير عليه، في الأشجار التي تراقبني بصمت، في كل ما يبدو بلا قيمة لكنه يختزن سر التحول

سألت نفسي ما هو اللون؟ الم يكن صبغة ؟ معادلة بين مادة ملونة ووسيط لاصق؟.

جربت، بحثت، بدأت اراقب الطبيعة بعين مختلفة، ابحث عن الأصباغ في كل ما يمكن أن يستخرج منه لون.

ومنذ ذلك اليوم، لم أعد ابحث عن الألوان في المتاجر، رحت استخرجها من الطبيعة، من الطين، من الأصباغ، من فتات الحجارة، من بقايا الفحم والزهرة والأكاسيد.

صرت اصنعها، من كل ما يترك أثر، كان الفقر معلما ، كان الحرمان هو الدرس الأول، وكان الخلق هو الرد.

كانت التجربة شاقة، لكني لم اتراجع. صنعت الألوان بيديي. خلط الرمل والتراب والياف الاشجار وقصاصات الاقمشة مع الأكاسيد الملونة والغراء، حصلت على خامة متماسكة، خشنة، غريبة، لكنها كانت « ألواني الخاصة»

ألوان لم تكن براقة كباقي الألوان التجارية، لكنها كانت حقيقية، كانت جزءا مني.

كانت امتدادا لروحي المتعطشة للخلق وحين انتهيت، نظرت إلى مجموعتي المتواضعة وقلت مبتسما: « الآن لدي ألوان... الآن أستطيع أن أرسم

اكتملت الألوان بين يدي، لم يعد السؤال: « كيف أحصل عليها؟» صار: « كيف أطلقها من داخلي؟».

بدأت ارسم، لا لأن العالم ينتظر لوحاتي، لكن لأني كنت احملها ثقيلة في داخلي ، وكأنها كانت تنتظر أن تولد منذ زمن.

وبتلك الألوان البدائية، رحت ارسم بلا توقف، وكأن العالم كان ينتظر هذه اللحظة.

لم تكن خاماتي فاخرة، كنت أبحث عن أبسط المواد لأجعل منها نواة لأعمالي. الرمل ليمنح الملمس، الأكاسيد للألوان، غراء الحمص كوسيط لاصق.

جمعت الرمل، مع الأكاسيد ، وخلطت الغراء. بيدي صببته فوق الخشب والخيش، وصنعت منه أعمالا كانت تعج بالحكايات، كنت ابحث عن الصدق، عن روح تشع من سطح اللوحة، عن ملمس يحكي قصة، كنت أبحث عن كل ما يمكن أن يمنح اللوحة صوت، حضور، روح خاصة.

في بعض الأعمال، أضفت قصاصات القماش والجبس لصنع تماثيل، كما في لوحة « المصير» ، في أعمال أخرى، أضفت الليف ليعطي تجسيدا يوحي بالتشخيص كما بلوحة « محاوله واصرار» او شعور كما بلوحة « ولادة» اضفت الشبك الممدد ليوحي بالسجن والقيود كما بلوحة «الفردوس والمفقود»

رسمت القهر، لكني لم استسلم له، رسمت الغرق، لكني تركت للنجاة منفذ، رسمت الموت، لكني لم اغفل عن الحياة المتوارية خلفي لم تكن لوحاتي جميله، لكنها كانت صادقة، تضج بالحياة رغم أنها ولدت من رحم الحرمان

كانت لوحاتي شهادات على صراع طويل، بين الإنسان وقدره، بين الحلم والجفاف، بين الوجود والعدم.

10 ألواني...
...... بين دهشة مدينتى وصمت العاصمة

لـم يكـن الفـن معروفـا فـي مدينتـي، كان شـيئا بعيـدا، لا يجـرؤ كثيـرون علـى الاقتـراب منـه، وكأنـه رفاهيـة لا يحـق لهـا أن تزاحـم صخـب الحيـاة اليوميـة. فقد كنـت الوحيـد الـذي اختـار البقـاء، فـي مسـقط رأسـه ، فـي مدينتـه الريفيـة ، لقد كنـت أنـا الوحيـد الـذي لـم ينجـرف نحـو العاصمـة بحثـا عـن الأضـواء والعلاقـات، عـن تلـك الهالـة المزيفـة التـي تجعـل مـن الفـن سـلعة. بقيـت هنـا، فـي هـذا الركـن الصغيـر مـن العالـم، أرسـم وألـون وأحلـم.

كمـا كان مرسـمي الصغيـر شـقة تفيـض بالألـوان والفـرش، كان نافذتـي إلـى العالـم، طقسـي المقدس الـذي أتنفس فيـه الحيـاة عبـر ضربـات فرشـاتي.

صـار مرسـمي مـزارا، مقصـدا لعشـاق الفـن والماريـن الذيـن يجـدون فـي لوحاتـي انعـكاس خفـي لأحلامهـم الدفينـة. كان أهـل المدينـة يأتـون، واحـدا تلـو الآخـر، مبهوريـن بمـا يـرون.

فـي البدايـة، كان الفضـول هـو دافعهـم، نظـرات استكشـافية تتنقـل بيـن اللوحـات، دهشـة خجولـة أمـام الألـوان التـي تـروي قصـص لـم يسـمعوها مـن قبـل، ثـم تحـول الأمـر إلـى ولـع، إلـى انجـذاب صـادق نحـو عالـم لـم يكونـوا يعرفـون أنـه يسـكن بينهـم. بعضهـم كان يسـألني: «كيـف تصنـع هـذا؟»، وبعضهـم كان يحـدق بصمـت، كأنـه يبحـث عـن شـيء مفقـود داخـل ضربـات الفرشـاة

ومـع مـرور الزمـن، صارمرسـمي متحفـا، تحـول إلـى مركـز ثقافـي يحتضـن الـزوار ليـلا ونهـارا، منهـم مـن جـاء حبـا، ومنهـم مـن جـاء تعلمـا، ومنهـم مـن صـار جـزءا مـن هـذا العالـم السـحري، يقتنـي اللوحـات ويتـرك بعضـا مـن روحـه بيـن الألـوان

حين اكتملت مجموعتي الفنية الأولى، شعرت بأن الوقت قد حان لأكسر عزلتي. قررت أن أخرج بأحلامي من بين جدران المرسم إلى عيون الناس.

كنت أعرف أن اللحظة ليست سهلة، لكنها كانت ضرورية؛ الفن يخلق، ليرى، ليكشف شيئا في داخلنا لا نعرفه حتى نراه.

قصر ثقافة كفر الشيخ احتضن أول معرض لي، في قاعة عبد المنعم مطاوع 1995م. منذ اللحظة التي علقت فيها أول لوحة على الجدار، شعرت كأنني أعري جزء من روحي أمام الغرباء. كنت أرتجف، من الترقب... هل سيصل ما رسمته إليهم؟ هل ستتكلم الألوان نيابة عني؟

دخل الزوار، مترددين في خطواتهم، كأنهم لا يعرفون ما ينتظرهم. ثم، تدريجيا، بدأت النظرات تتبدل.

وقفت أراقبهم من طرف القاعة، وهم يتنقلون بين اللوحات بصمت مهيب، كأنهم دخلوا طقس غامض لا يفسر بالكلمات. رأيت في عيونهم الدهشة، بعضهم اقترب أكثر، دقق في التفاصيل، خرجت من المعرض في ذلك اليوم وأنا أحمل شعور هادئ، دافئ، يشبه التصديق: أن ما أفعله له قيمة، وأنني لم أكن وحدي في هذا الطريق.

ومن هذا النجاح ولدت الرغبة في تحد جديد، فقررت التقدم إلى "صالون الشباب"، المسابقة التي يحلم بها كل فنان شاب. حيث كانت بمثابة بوابة لا يفتح قفلها بسهولة، خصوصا لأمثالي من أبناء الأقاليم، الذين كان عليهم عبور دهاليز المركزية، وتحمل مشقة الوصول، فقط لينظر إليهم.لكنني كنت قد بدأت... ولن أعود.

رحلة العذاب والانكسار

فـي عـا 1995، تقدمـت للمشـاركة فـي صـالـون الشـبـاب الـدورة السـابعة بلوحتـي "المصيـر "و"محاولـة وإصـرار." ،و "ولادة" كان التقديـم عبـارة عـن رحلـة عـذاب، تبـدأ بالسـفر إلـى القاهرة لسحب استمارة التقديم، رحلـة قد تتكرر مرارا فقد يكـون مـازال البـاب مغلقـا ، فلـم يكـن هنـاك وسيلة يعلـن مـن خلالهـا عـن فتـح بـاب الطـرح . ثـم رحلـة أخـرى لتقديـم الأعمـال مـع الاسـتمارة بعـد ملـئ بياناتهـا، ثـم الانتظـار، ثـم القلـق ليـوم الافتتـاح حيـث كانـت اللحظـة الفاصلـة، اللحظـة التـي تحـدد إن كنـت مقبـولا أم لا. فلـم يكـن هنـاك أيضـا وسـيله تعلـن اسـماء المقبوليـن او المرفوضيـن قبـل العـرض . تحضـر الافتتـاح وتبحـث فـي القاعـات.

دخلـت قاعـات قصـر الفنـون القاعـة، تلـو القاعـة أتجـول بيـن الأعمـال المعلقـة، أبحـث بعينـي عـن لوحاتـي. لكننـي لـم أجدها.

كان الرفـض صفعـة قاسـية، صدمـة جعلتنـي أشـعر وكأننـي أخطـأت فـي كل شـيء. لـم يكـن هنـاك مـن يخبرنـي لمـاذا؟ ، لـم يكـن هنـاك فرصـة لسـؤال اللجنـة عـن السـبب؟ فقط صمـت مطبـق وخيبـة تتسـلل إلـى القلـب. وعليـك بعدهـا سـحب عملـك المرفـوض خـلال اسـبوعين مـن تاريـخ الافتتـاح والا تعتبـر متنـازل عنـه. ومـا زاد القهـر قهـرا ، لا يوجـد مجـال لسـحب عملـك خـلال يـوم الافتتـاح ، فالـكل مشـغول والمخـزن مملـوء بالأعمـال المرفوضـة ،كان الألـم ألمـان، الـم الرفـض، وألـم الرحلـة المرهقـة، فـي الأسـفار المتكـررة، فـي المصاريـف التـي استنزفتني.

وجـدت نفسـي فجـأة أمـام قـرار قـاس: أن أتـرك الرسـم، أن أدفـن ألوانـي، أن أبحـث عـن طريـق آخـر.

قــراءة فى لوحـــة
المصـــــــــير

«المصير»

عتبة بين عالمين. جسد مسجى في انتظاره الأخير.



المصير

(رمل ، غراء، اكسيد ازرق ، شبك بلاستسكى ، تمثال جبس على خشب)

98×98 سم - نتاج 1994

«المصير»

تقف لوحة «المصير» عند عتبة فاصلة بين عالمين؛ حيث يستقر جسد مسجى في انتظار لحظته الأخيرة، معلقًا بين الحضور والغياب. لا يتعامل العمل مع الموت كحدث فردي، انما كسؤال كوني يتجاوز الحدود الثقافية والدينية، ويضع الإنسان أمام حتمية الفناء التي شكلت، عبر العصور، أحد أعمدة التفكير الفلسفي والروحي. ومن هذا المنطلق، تفتح اللوحة مجالًا واسعا للتأويل، سواء في سياق الفلسفة الوجودية، أو الرمزية الدينية، أو مقاربات الفن المعاصر التي تبحث في علاقة الإنسان بالعدم. يقدم العمل تأمل وجودي في المصير الإنساني؛ إذ يتلاشى الإنسان داخل الزمن، لكنه يترك أثر مادي يظل شاهد على مروره.

وفي سكون مطلق، يرقد الجسد داخل فضاء صامت ينسج حوله الزمن نسيج شفاف، ليظل معلق بين الداخل والخارج، الحياة والموت، اليقين والعدم؛ بين أن يكون أو لا يكون.

يقف التابوت فوق مرتفع من الرمل، كأنه شاهد أخير على رحلة اكتملت، بينما يبدو الموت وكأنه يرتفع فوق سطح الزمن ليغدو حضور دائم في عالم لا يتوقف عن الحركة. وتتحول الخامات المستخدمة « الخشب والجبس والأكاسيد والكفن الأبيض» إلى ترجمة ملموسة لفكرة التجرد، حيث يغدو الإنسان أثر مادي، شكل بلا نبض، وذاكرة متحجرة تستقر في طبقات المادة.

يعتمد التكوين على اقتصاد بصري واضح يقوم على البساطة الرمزية وتكثيف الخامات الغنية بالملمس، مما يخلق توتر دلالي بين ثنائيات متقابلة: الحياة والموت، المادة والروح، الزمن

والعدم. وتكشف هذه البنية عن انتماء العمل إلى تقاطعات متعددة بين الفن المفاهيمي والتجريد التعبيري، حيث تتقدم الفكرة كالمحرك الأساسي للتجربة البصرية. وفي الوقت نفسه، تتبدى ملامح من الفن التركيبي عبر توظيف مواد مختلفة وتكوينات ذات بعد نحتي، بما يتجاوز حدود اللوحة المسطحة نحو كيان مادي يحمل دلالاته الخاصة.
كما يظهر تأثير واضح لنزعة المينيمالية في تقليص العناصر البصرية إلى حدها الأدنى، بحيث يتحقق أقصى أثر رمزي من خلال أقل عدد ممكن من المفردات التشكيلية.
يتأسس البناء البصري للعمل على توازن هادئ يرسخ إحساس السكون الأبدي. وينقسم السطح إلى مستويات متعاقبة: التابوت في الثلث العلوي كعلامة النهاية المحتومة، يليه المرتفع الرملي الذي يشير إلى الأرض كالأصل الذي يعود إليه الجسد، وكأنها أثر لخطواتٍ لم تعد تسمع، وزمنٍ ترك بصمته على الجسد قبل أن يذوب فيه.
وتخلق اختلافات مستويات السطح حركة بصرية خافتة تدفع العين إلى التنقل بين طبقات العمل، فتتشكل داخل السكون ديناميكية صامتة.

أما وضع التابوت داخل تجويف اللوحة فيرمز إلى حالة مزدوجة من الاحتواء والانفصال؛ إذ يبدو جزء من البنية التشكيلية، وفي الوقت ذاته منفصلًا عنها، بما يعكس التوتر الكامن بين الحياة والموت. ويعزز التمثال المغطى بالسلك الشبكي هذا المعنى، إذ يبدو كحاجز شفاف بين العالم المادي والميتافيزيقي، بين الحضور والغياب.

فـي الخلفيـة، يتمـدد اللـون الأزرق الداكـن كفضـاء بـارد يبتلـع التفاصيل، فـلا أفـق واضـح ولا حـدود محـددة، فقـط امتـداد مفتـوح يتـرك للعيـن حريـة التيـه وللـروح مسـاحة التأمـل.

يمنـح هـذا اللـون اللوحـة طابـع سـريالي وصوفـي، إذ يرتبـط الأزرق غالبـا بفكـرة الأبديـة والروحانيـة والفضـاء غيـر المحـدود؛ إنـه لـون الليـل الأخيـر، والسـر الـذي لا يكشـف عـن نفسـه كامـلًا. وتسـاهم الإضـاءة غيـر المباشـرة وغيـاب الظـلال فـي تعميـق الإحسـاس بالخـروج مـن الزمـن العـادي، وكأن المشـهد يحـدث فـي منطقـة خـارج التاريـخ.

ينسـجم العمـل مـع توجهـات الفـن المعاصـر التـي تمنـح الفكـرة والمفهـوم أولويـة علـى المهـارة التقنيـة التقليديـة.

ويمكـن وضعـه ضمـن سـياق الأعمـال التـي تتأمـل الوجـود والعدم، وهـو مـا يقربـه، مـن حيـث الموضـوع، مـن تجـارب فنيـة تناولـت فكـرة المـوت بصريـا، وإن كان «المصيـر» يتبنـى معالجـة أكثـر هـدوءا وتأمـلًا.

كمـا يضـع اسـتخدام خامـات مثـل الرمـال والأكاسـيد والسـلك الشـبكي والتجويـف البنائـي للعمـل ضمـن مقاربـات الفـن التركيبي، حيـث تتحـول المـادة إلـى حاملـة للمعنـى لا مجـرد وسـيط بصـري. ومـن خـلال هـذا التشـكيل المتعـدد الطبقـات، لا تقـدم «المصيـر» إجابـة نهائيـة، انـه تطـرح سـؤالًا مفتوحًـا: هـل المصيـر نهايـة مطلقـة، أم بدايـة لحقيقـة لـم تتكشـف بعـد؟

تضعنـا اللوحـة أمـام فكـرة الفنـاء بـلا وسـاطة أو زخرفـة، كأنهـا تذكيـر صامـت بحتميـة الرحيـل، وفـي الوقـت نفسـه دعـوة للتأمـل فـي معنـى الحيـاة قبـل أن يتحـول الإنسـان — فـي نهايـة المطـاف — إلـى أثـر بـاق فـي ذاكـرة المـادة، وإلـى شـكلٍ صامـت خلـف حـدود الزمـن.

قـــراءة فى لوحة
« محاولة واصرار»

.....................صرخة الوجود في وجه القيد



محاولة واصرار - خيش ، ليف ، اكاسيد ملونه ، خشب ،
الوان زيت على خيش - 90×90 سم - 1994

محاولة وإصرار

تقف لوحة «محاولة وإصرار» عند تخوم التجربة الإنسانية حيث يتقاطع الألم مع الإرادة، ويغدو الكفاح شرطا لوجود المعنى.

ينتمي العمل إلى فضاء التجريد التعبيري، حيث تتراجع الصورة المباشرة لصالح أثر الشكل والملمس كوسيطين لنقل الحالة الداخلية.

وفي الوقت نفسه يستند إلى منطق فن التجميع (Assemblage) عبر دمج خامات طبيعية متعددة، بما يمنح العمل كثافة حسية ودلالية تتجاوز حدود اللوحة التقليدية. كما يلامس التكوين أفق السريالية الرمزية، إذ يتخطى الواقع المرئي ليعبر عن حالة نفسية وفكرية عميقة.

يمكن قراءة العمل كاستعارة بصرية لفكرة الوجود الإنساني كما صاغتها الفلسفة الوجودية: الإنسان مشروع قيد التحقق، ومسار دائم من المحاولة. هنا يظهر الخلاص كأفق يظل بعيدًا، فيما تبقى «المحاولة» الفعل الوحيد الممكن في مواجهة العدم.

لا تقدم اللوحة تجربة فردية بقدر ما تجسد حالة إنسانية مشتركة. فالكائن الماثل داخل التكوين يبدو بلا ملامح محددة أو هوية واضحة؛ جسد هلامي يتشكل من أثر المادة نفسها، وكأنه يمثل كل إنسان يقف بين ذاته وقوى خارجية تسعى إلى تشكيله وإخضاعه. وفي هذا المعنى تصبح «محاولة وإصرار» صورة للصراع الأبدي بين الجسد المقيد والروح الساعية إلى الانفلات، بين الحياة كتجربة مفتوحة، والموت كنهاية محتومة.

تتحقق قوة العمل أيضا عبر مادته. فالخيش والليف وهما خامتان طبيعيتان خشنتان يخلقان سطح بصري غني بالملمس.

يمنح الخيش إحساس بالخشونة وعدم الانتظام، بما يعزز الشعور بالكفاح والمعاناة، بينما يحمل الليف دلالة مزدوجة؛ فهو مرن في طبيعته، لكنه يتحول إلى مادة قاسية حين يجف، ليصبح رمز للمقاومة التي تتشكل تحت ضغط الظروف.

ومن خلال هذه الخامات يكتسب العمل بعد شبه نحتي، إذ تبرز الأشكال في فضاء ثلاثي الأبعاد يتجاوز حدود السطح المسطح.

يقوم البناء البصري على توتر واضح بين الشكل والفراغ. ففي المنطقة العلوية يظهر الكائن الإنساني وكأنه مشدود داخل شبكة من الخيش، في وضع متوتر يوحي بمحاولة الانفلات من قيد غير مرئي.
يتفاعل الجسد الممزق مع خلفية سوداء كثيفة، تبدو وكأنها فراغ يقاومه ويمنعه من الخروج، بينما تضيف اللمسات الحمراء بعد درامي يوحي بالألم أو بنزيف رمزي يولد من صراع الإرادة مع العائق.
أما المنطقة السفلية فتبدو كمساحة أخرى منفصلة، قاع تتراكم فيه آثار المحاولات المتعثرة. يظهر الليف هنا ممزق ومشدود، كأنه جسد آخر يحاول التمدد نحو الحرية، لكنه يظل مهدد بالعودة إلى سجنه الأول.
يهيمن اللون الأسود كجدار رمزي من القيود والقوانين التي تضغط على الذات، في حين يتحول الأحمر إلى أثر للمحاولة نفسها: جرح الإرادة، أو ربما دم الولادة الجديدة.
يساهم تقسيم التكوين داخل الإطار في تعميق الإحساس بالاختناق، وكأن اللوحة نفسها تتحول إلى فضاء قيد.
فالحدود التي يفترض أن تحتوي العمل تتحول إلى عنصر دلالي يعزز فكرة الحصار، حيث يظل الكائن عالقًا بين إمكانية التحرر وخطر السقوط.
لتكشف «محاولة وإصرار» مأساة الإنسان في لحظة بصرية مكثفة: الرغبة في التحرر ممزوجة بالخوف من الفشل، والألم كثمن للانعتاق، والإصرار كالقوة الوحيدة القادرة على منح الوجود معنى.
إنها تقف عند المسافة الفاصلة بين السجن والحرية، حيث لا يكون الإنسان مقيد بالكامل ولا محرر تماما، انما عالقا في منطقة التوتر الدائم بين الاحتماليين.
لا تسعى اللوحة إلى تقديم إجابة بقدر ما تطرح سؤالًا فلسفيا مفتوحًا: هل تكفي المحاولة وحدها لتغيير المصير؟ أم أن المحاولة نفسها قد تكون وهمًا آخر من أوهام الإرادة؟
هنا تتحول اللوحة إلى نص بصري مفتوح، يتيح لكل مشاهد أن يقرأها وفق تجربته الخاصة. فقوتها تكمن في قدرتها على إثارة الأسئلة.
وربما يكون هذا هو جوهرها الحقيقي: أن تجعل التفكير نفسه فعل مقاومة، والخطوة الأولى نحو الحرية، إن كانت الحرية ممكنة أصلًا.

قراءة فى للوحة
...............«ولادة»

«ولادة»: سيمفونية الخلق من رحم العدم



ولادة - ليف، دوائر بلاستيكية ، اكاسيد ملونه ، الوان زيت، غراء على خيش 90×90 سم- 1994

تحمل لوحة «ولادة» طابع تجريبي تعبيري تتقاطع فيه الإيماءات التشكيلية مع أفق سريالي رمزي، لتجسد لحظة الخلق كحدث يتجاوز حدود البيولوجيا إلى أفق كوني أوسع.

في قلب التكوين ينبثق عنصر مركزي مشع، أقرب إلى بذرة أولى أو جنين محتضن داخل رحم كوني معتم، في إشارة إلى لحظة الانبثاق الأولى التي تنتقل فيها الحياة من العدم إلى الكينونة.

في هذا الفضاء الملبد بعتمة بدئية، يبدو المشهد كما لو كان ارتعاشة في نسيج الوجود؛ انبثاق ضوء من صمت سرمدي.

يتشكل العنصر المركزي من خامات عضوية خشنة « ليف وخيش « تمنح التكوين جسدية ملموسة تستدعي لحظة المخاض الأولى.

هنا يتحول الجسد إلى بوابة عبور، مساحة تتقاطع فيها الهشاشة مع القوة، حيث تتشكل الحياة عبر توتر الألم والخلق معا.

تتصل هذه البوابة بثلاث نقاط تثبيت تشبه علامات أو أختام زمنية، توحي بعقد خفي بين المادة والروح. ويمكن قراءة هذا التثليث كرمز لدوائر متعددة من المعنى: مراحل الوجود الثلاث (الولادة، الحياة، الموت)، أو توازن قوى الإنسان بين الجسد والعقل والروح، أو حتى عناصر الطبيعة الأساسية التي يتشكل منها الكون. العمل يفتح شبكة تأويلات تتقاطع فيها البيولوجيا مع الفلسفة والكونيات.

في الخلفية يبرز فراغ أبيض متوهج، يبدو كما لو كان ومضة نجم يولد في عمق الفضاء. هذا البياض يمثل طاقة كامنة تشع من خلف الكتلة المركزية، فتمنحها هالة من الضوء وتؤكد فكرة الانبثاق.

ومن خلال هذا التباين بين العتمة المحيطة والبياض المتوهج، يتحول المشهد إلى استعارة بصرية للانتقال من اللاشكل إلى الشكل، ومن الصمت إلى الصرخة الأولى للحياة.

يعتمد التكوين على توازن ديناميكي تتوزع فيه الكتل والفراغات حول العنصر المركزي المتوهج. فالعناصر الداكنة المحيطة تبدو

كما لو كانت تحتضن الطاقة الوليدة، مثل رحم كوني يحتفظ بسر الخلق. وتدعم الألوان الدافئة في المركز الأحمر والبرتقالي إحساس بالحرارة والطاقة، بينما يضفي التباين مع الخلفية الباردة عمق بصري يعزز إحساس الانبثاق والحركة. كما يلعب الملمس دور جوهري في بناء الدلالة. فخشونة الخيش والليف تمنح اللوحة طابع عضوي نابض، وكأن المادة نفسها تشارك في فعل الولادة.

هذا التوتر بين المادة الخام والضوء المتولد من داخلها يعكس مزج بين المادي والميتافيزيقي، حيث يتحول الجسد إلى استعارة للكون، والكون إلى امتداد لخبرة الإنسان الوجودية.

يمكن قراءة «ولادة» على مستويات متعددة. فهي من ناحية تصوير رمزي للحظة خلق الحياة، ومن ناحية أخرى تأمل فلسفي في فكرة البدايات، حيث لا يأتي التجدد إلا عبر مخاض مؤلم.

كما يمكن النظر إليها كصورة كونية لانفجار نجمي أول، يربط بين ولادة الإنسان وولادة النجوم في دورة سرمدية يتكرر فيها الخلق على مستويات الوجود كافة: في الإنسان، وفي الذرة، وفي المجرة.

تنتمي اللوحة إلى فضاء التجريب التعبيري الذي يوظف المادة والملمس بوصفهما كلغة حسية لنقل التجربة الوجدانية.

كما تكشف عن حس سريالي رمزي يتلاعب بالضوء والفراغ لخلق مشهد يتجاوز الواقع المرئي نحو بعد تأملي عميق.

في النهاية، تطرح «ولادة» رؤية فلسفية أوسع لدورة الوجود. إنها تذكير بأن كل بداية تنبثق من ظلمة، وأن كل ألم يحمل في جوفه وعد بالانبعاث. فاللوحة لا تتحدث عن ولادة واحدة، انما عن قانون كوني يتكرر بلا انقطاع:أن النور يولد دائما من قلب العتمة.

" بريـــما دونـــا "

بين النشارة والدهان، أعاد الحلم

تشكيل نفسه بلغة جديدة.

إبراهيـــم شلبـــى
فن ومعرفة

كان لقائـي الأول بإبراهيم شـلبى فـي نوفمبر عـام 1993 فـي قصـر الطريـق بالريـاض عاصمـة المملكـة العربيـة السـعودية حيث كنت أقدم معرض بعنوان (الفن الأسباني المعاصر) حينئـذ جـاء زوار شـباب لحضـور حفـل الافتتـاح وكان بينهـم شـاب مصـري أبـدى اهتمـام بالـغ بالفن وتعرفت عليـه وكان هـو إبراهيم شـلبى.. وسـرعان مـا عرفت أنـه كان يعمـل فـى إعلانـات هائلـة الأحجام، وكذلـك رسوم تصاحب النصوص الأدبيـة، منهـا كتـاب لا زلـت احتفـظ بـه حتـى الآن لمؤلـف هـام سـعودي الجنسـية، وأثنـاء رحلتـي الثانيـة إلـى الريـاض زرت إبراهيم شـلبى فـي الأتيليـه، وزرت لوحاتـه عـن قـرب، وكذلك الأعمـال التـي كان يقوم بتنفيذهـا، وأستطيع أن أقول

إن حب إبراهيم بالتعرف إلى الأشياء والتعمق فيها، وذلك الاهتمام الذي جذبه إلى الحي الدبلوماسي في الرياض للتعرف على أعمال الفنانين الأسبان الشباب آنذاك.. ثم أخذ ينمو ويزداد عمقاً على مدى هذه السنوات العشر الأخيرة،

فإذا ما أردت الآن أن أنتقى أبرز صفاته الفنية فإن أولها هي حب المعرفة واستطلاع كل ما يتعلق بالفن، وقد تأكدت من ذلك بنفسي في مرات كثيرة أثناء زيارته إلى مدريد.. حيث أماكنه المفضلة هي متحف البرادو ومتحف الملكة صوفيا للفن الحديث، وكذلك أكثر صالات العرض الأسبانية حداثة فقد قضينا ساعات طويلة نتحاور هناك أمام أعمال فيلاثكث جويا وماتيث،

وفى السنوات الأخيرة لجأت وزارة الخارجية الأسبانية إلى إبراهيم شلبى لكي يقوم بتصميم غلاف الكتالوجات التي شاركنا بها في بينالي القاهرة والإسكندرية

وقد زرت (أستوديو) إبراهيم في كفر الشيخ لعدة مرات وسرني أن أرى كيف أن إقامته لفترة طويلة في بلاد مختلفة مثل بغداد أو مدريد أو الرياض قد أثرت نظرته الفنية وجذبته نحو الفن الحديث حقاً.

ولا شك أن إبراهيم شلبى ليس رسماً كبيراً فقط، وإنما فنان له تكنيك خاص يحدث لغة جديدة بين الفنانين المصريين الشباب، ولابد أن ذلك هو ما جعل أعماله تشكل جانباً من المقتنيات الخاصة في مصر وأسبانيا.

مانويل روميرو
دكتوراه في الفن مفوض معارض
لدي وزارة الخارجية الاسبانية مدريد 2002

11 بري مادونا:
.... معرض لحلم مؤجل

لـم يكـن مـن السـهل التخلـي عـن ألوانـي، لكـن الحيـاة دفعتنـي دفعـا فـي اتجـاه آخـر، كأنهـا تمسـك بيـدي وتأخذنـي قسـرا نحـو طريـق لـم أخطـط لـه. وضعتنـي فـي اختبـار قـاس:

هل أتمسك بحلمي حتى النهاية، أم أساير الرياح كما تهب؟

كانـت تجربتـي السـابقة فـي معـرض «قصـر الأميـرات» للأثـاث فـي العـراق قـد زرعـت فـي روحـي شـغف عميـق بـكل مـا يتعلـق بالموبيليـا مـن نجـارة ودهـان وتنجيـد.

تجربـة صاغتنـي مـن جديـد، رفعتنـي مـن عامـل نظافـة إلـى مهنـدس تركيبـات فـي أيـام معـدودات، وتركـت داخلـي أثـرا لا يمحـى.

منـذ عودتـي مـن بغـداد، انجذبـت مجـددا إلـى عالـم الموبيليا. كان امتداد لفنـي، ولكـن بـأدات أخـرى، بوسـيط مختلـف. بـدأت أزور المعـارض، ألتهـم الكتالوجـات، وأبتكـر تصميماتـي الخاصـة التـي احتفظـت بهـا فـي كراسـاتي، مؤمنـا أن يومـا مـا سـيحين موعـد تنفيذهـا.

بعـد انتهـاء خدمتـي العسـكرية، عملـت كرسـام موبيليـا واقتربـت مـن الصنايعيـة: النجاريـن، الاسـتورجية، المنجديـن، والاويماجيـة. تعلمـت منهـم أسـرار المهنـة، وأضفـت إليهـم لمسـتي الفنيـة، فـكان تبـادل المعرفـة والتجربـة ثـري وعميـق.

لـم أكتـف بالرسـم. أردت أن ألمـس الخشـب، أن أخلـق شيئا بيدي. حولـت مرسـمي الصغيـر إلـى ورشـة نجـارة، وصنعـت أول غرفـة نـوم مـن تصميمـي. كانـت تلـك الغرفـة هـي البدايـة، وبعدهـا توسـعت الورشـة، وأضفـت إليهـا معرضـا أطلقـت عليـه اسـم «بـري مادونـا».

كنـت مهووسـا بالموبيليـا شـغفت بصناعتهـا كنـت أجـد متعة كبيـرة فـي مشـاهدة دولاب أو كمدينـو أو نيـش زرت كل معـارض الموبيليـا علـي أرض مصـر و بغـداد والريـاض و مدريـد.

صاحبـت النجاريـن والاسـتورجية والاويماجية والقشـراجية للحديـث معهـم عن معشـوقتي .

(ولما أشوف حد يحبك يحلا لي أجيب سيرتك وياه) كانت رائحة التنر والناكرية والغراء ونشارة الخشب ازكي عندي من رائحة البرفيوم...دفعني شغفي للعمل فترات في معرض ثم في ورشة ثم في مصنع للموبيليا

إكتسبت خبرة عظيمة بالتصنيع والدهان و إسرارهما احتفظت بذاكرتي وكراساتي بألاف التصميمات والموديلات

كنت علي علم بما ينتج عالميا في وقت شحت فيه المعلومة و حيث لا يوجد جوجل أو يوتيوب ولا بنترست ذلك الملهم والمنقذ والشباك الكبير المطل علي العالم .

كنت نهم في اقتناء مجلات الديكور والموبيليا، اشتريت المئات من كل اللغات ، وما زلت محتفظ بهم حتي الان رغم فقدان قيمتهم

كنت كلما رأيت تصميم جديد أذهب مسرعا إلي أصدقائي من النجارين والاويماجية لنقله اليهم لتنفيذه.. ولكني كنت اصدم برفضهم، كيف ينفذ هذا وهو لم يراه في أي مكان ولم يسمع عنه؟ كانوا يروا تصميماتي بدعة وكل بدعة ضلاله... كان هناك هوة عظيمة بين ماينتج في مدينتي الريفية وما ينتج في القاهرة والاسكندرية ودمياط

لم أجد سبيل أمامي لتنفيذ تصميماتي التي إبتكرتها أو التي نقلتها، غير فتح ورشة للنجارة... و إيقنت من البداية أن الورشة يجب أن يصاحبها معرض لعرض المنتج حتي لا تعتمد علي طلبات الزبون ..ولان الزبون لم يسمع ولم يري فسوف يعتبر ما اقوله بدعة . والبدعة كما أسلفت ضلاله

وبالفعل اقمت ورشة نجارة ويعلوها ثلاث طوابق للمعرض وإستجلبت نجارين للعمل بالورشة بعضهم بالقطعة وأخرين باليومية.. في البداية وجدت معارضة شديدة من النجارين لتنفيذ تصميماتي التي كانت غريبة

علـي مسـامعهم ومشـاهدهم «وهم معلمين لهم سمعتهم ، يريـدون المحافظـة عليهـا مـن حماقاتـي" كمـا ظنـوا "

«.. وجدتنـي اقـول لاحدهـم ذات مـرة بعصبيـة مفرطـة «انـت مالـك نفذ مـا أقول، فلوسـي وانـا حـر حتـى لـو ولعـت فيهـا "وبعـد مجهـود شـاق لاقناعهـم خرجـت منتجاتـي إلـي الوجـود ملئـت قاعـات المعـرض بـأدواره الثلاثـة بالموبيليـا.

وكانـت النتيجـة مذهلـة ليـس علـي المسـتوي التجـاري فحسـب ولكـن علـي مسـتوي تغيـر مفهـوم صناعـة الموبيليـا فـي المدينـة و نقلهـا إلـي مسـتوي مـا ينتـج عالميـا (ايكيـا - كارتيـل - فينـدي كاسـا - اشـلي)

فقـد كانـت ورشـتي بمثابـة أكاديميـة لتعليـم فـن صناعـة الموبيليـا .. وأتذكـر احدهـم وكان صنايعـي كبيـر ولديـه ورشـته الخاصـة.

عندمـا سـألته. هتاخـد كام عشـان تعمـل الشـغل ده؟ .. فكانـت الاجابـة: قـول هدفـع كام عشـان أعملـه ؟

انا جي اتعلم

وأسـتمر المشـروع سـت سـنوات، سـت سـنوات كانـت كافيـة لتغيـر وجـه الموبيليـا فـي مدينـة قليـن .. وزعـت منتجاتـي فـي مرسـي مطـروح والاسـكندرية و البحيـرة وكفـر الشـيخ والغربيـة والقاهـرة

12 العودة إلى الألوان: رحلة البحث عن الذات

لكن هل نسي إبراهيم ألوانه؟

ربما ظننت في لحظة أنني تركت الفن وراء ظهري، لكن الحقيقة أن الفن كان يسكنني. حتى في رسم تصاميم الموبيليا، كنت أبحث عن الجمال، عن الإيقاع البصري، عن روح القطعة قبل شكلها.

ست سنوات كانت عمر مهنتي الجديدة، ست سنوات ، كانت رحلة تأرجحي بين الشغف والانكسار، بين الفن والحياة، بين الألوان والخشب، رحلة لم تنته بعد، لأن الفن، مهما حاولنا الفرار منه، يظل جزءا من أرواحنا، يظل يبحث عن طريق للظهور، حتى لو كان عبر فرشاة منسية أو قطعة أثاث منحوتة بإتقان.

كنت اداوم علي زيارة معارض الفن التشكيلى في القاهرة والإسكندرية ، كنت ارسم اسكتشاتي وانفذ بعض افكاري من ان لأخر، في تلك السنوات التي كانت مفعمة بالبدايات الحقيقية والانفتاح على العالم، ساقني القدر إلى لقاء لم يكن في الحسبان، جمعني بـ"مانويل روميرو"، الناقد الفني الإسباني، ومفوض المعارض لدى وزارة الخارجية الإسبانية.

كان لقاؤنا الأول يحمل ملامح الصدفة، حين كنت أتجول بين أروقة معرض الفن التشكيلي الإسباني المقام بقصر طويق

في الرياض؛ هناك، بين الأعمال التي تنطق بحكايا الجنوب الأوروبي، التقت نظراتنا، وبدأ حوار خافت نسجه الشغف المشترك بالفن.

شاءت المصادفات أن يتجدد اللقاء مرة أخرى، ولكن هذه المرة على أرض القاهرة، خلال فعاليات بينالي القاهرة الدولي. وهناك، وسط زخم الفنون العالمية، عهد إليّ "مانويل روميرو" بمهمة لم أكن أتوقعها: تصميم أغلفة كتالوجات المعارض الإسبانية لكل من بينالي القاهرة الدولي، وبينالي الإسكندرية، وترينالي الجرافيك، وهي مسؤولية حملتها بين يدي بإخلاص من عام 1995 وحتى 2010

بمرور الوقت، تعلمت الإسبانية، مما فتح ليّ آفاقا جديدة في التعاون مع وزارة الخارجية الإسبانية، وأضيف إلى عملي مسؤولية تنظيم المعارض الإسبانية بمصر.

كنت أستقبل اللوحات والأعمال القادمة من مدريد وبرشلونة عبر شركات الشحن، أتفقدها بدقة، أرتبها بعناية على جدران القاعات، بتوجيهات من "مانويل روميرو " القوميسير العام لجناح دولة اسبانيا ثم، مع انتهاء الفعاليات، أعيد جمعها وتغليفها، وأسلمها إلى شركات الشحن، لتبدأ رحلة العودة إلى إسبانيا..

وذات يوم، وقد اشتد دفء العلاقة بيننا، دعوته لزيارة مرسمي في كفر الشيخ. هنا، وسط رائحة الألوان وأصوات الفرشاة فوق القماش، وبين لوحاتي، وجدت علاقتنا تنمو وتأخذ بعدا أعمق؛ لم تعد تقتصر على العمل الرسمي، أصبحت صداقة مشبعة بالاحترام المشترك والحب العميق للفن.

خلال خمسة عشر عاما، وجدت نفسي جزءا من المشهد الفني الدولي، أتنقل بين أروقة بينالي القاهرة، وبينالي الإسكندرية، وترينالي الجرافيك، كفاعل خلف الكواليس، أتنفس الفن وأساهم ببصمتي الصغيرة في صناعة مشهد ثقافي نابض بالحياة.

أما إسبانيا، التي طالما سكنت مخيلتي، فقد أتيحت لي فرصة أن أزورها ثلاث مرات على مدى ست سنوات. هناك، في أزقتها المتعرجة وساحاتها المفتوحة، وجدت التاريخ يعانق الحداثة في مشهد مذهل، وكأن كل حجر، وكل جدار مغطى بالجداريات، يحكي عن عشق قديم للفن، لم تخفت جذوته عبر القرون.

ست سنوات كانت شاهدة على رحلة لا تشبه أي رحلة... رحلة تاهت بين ماضي المدن وأسوارها، وبين حاضر اللوحات وصالاتها. بين الشرق الذي يسكنني، والغرب الذي احتواني، بين الفن الذي أتنفسه، والذات التي ظلت تفتش عن ملامحها بين ضفتي المتوسط.

من خلال عملي بتعليق الأعمال الفنية في بينالي القاهرة وبينالي الإسكندرية، خلقت علاقة ود وتعاطف مع العديد من الفنانين الإسبان المشاركين بأعمالهم.

بمساعدة "مانويل روميرو"، ومعرفتي المتزايدة باللغة الإسبانية، تطورت هذه العلاقات، فتجاوزت حدود المعارض إلى عالم أرحب من الصداقة والعمل المشترك.

حين زرت إسبانيا، لم تكن رحلتي جولة سياحية عابرة.

في مدريد، شاهدت أوبرا "كارمن" في مسرح "تياترو ريال"، شعرت بأصوات الأرواح القديمة تتردد في أرجاء المسرح.

تجولت في القصر الملكي، تأملت عظمة التاريخ وأسراره، ثم ضعت لساعات في متحف "ديل برادو" أمام روائع جويا وفيلاثكيث، ووقفت مشدوها أمام لوحات بيكاسو في متحف "رينا صوفيا"، حيث بدا لي كل خط ولون وكأنه يروي تاريخ الإنسانية في لحظة وجع واحدة.

أما غرناطة، فقد استقبلتني بقصر الحمراء، ذاك الصرح الأسطوري الذي يبدو وكأنه خرج لتوه من حلم أندلسي. تحت أقواسه، وسط زخارفه المذهلة، شعرت وكأنني أعود إلى بيتي الأول، حيث تمتزج اللغة بالحجر، والزمن بالماء.

وفي أفيلا، المدينة المحاطة بأسوارها الصامدة، مشيت بين ظلال القرون الغابرة، لامست بحواسي عبق العصور الوسطى، ورأيت كيف يمكن للزمن أن يتحول إلى حجارة تصنع قصيدة صامتة.

وما جعل رحلتي أكثر عمقًا، وأكثر خصوصية، هو زياراتي لعدة ورش فنية في مراسم كبار الفنانين الإسبان.

في العام الأول، أقمت ورشة عمل مع الفنان "أنطونيو ألكزار" في مدريد، حيث كان اللقاء بين لوحتي ولوحته لقاء عفوي بين مدرستين وروحين.

وفي العام التالي، جاءت الورشة مع" أغدا دي لابيسا،" التي كانت أعمالها صدى الموسيقى على القماش.

أما في السنة الثالثة، فكان لقائي الفني مع" خوسيه لويس باخاروس " في أفيلا، حيث كانت جدران المدينة وأبراجها الصامتة شهودا على لوحات ولدت من رحم الحوار بين الشرق والغرب.

ومن المفارقات الجميلة أن هؤلاء الفنانين وغيرهم ممن توطدت علاقتي بهم قد حصلوا على جوائز فنية خلال مشاركاتهم في البيناليات المصرية. كان ذلك يعزز من مكانتي بينهم، فقد كانوا قد رأوني سابقا وأنا أرتب أعمالهم وأعتني بها بكل إخلاص وتفان، يرون بأعينهم كيف كنت أتعامل مع لوحاتهم كما لو كانت كنوزا شخصية، فيكبر الاحترام وتتعمق الصداقة.

هكذا، كانت زياراتي لمدريد تعد جسر إنساني وثقافي، يربط ضفتي المتوسط بألوان الفن وأحلام الفنانين.

ست سنوات كانت شاهدة على رحلة طويلة بين الماضي والحاضر، بين الشرق الذي يسكنني والغرب الذي فتح أمامي أبواب رؤى جديدة، رحلة صرت فيها جزءا من نسيج الحكاية الكبرى.

كانت تلك السنوات بمثابة المخاض الأول لعالم أكبر ينتظرني خلف الأفق. مع كل ورشة زرتها، ومع كل لوحة علقتها، كانت روحي تتمدد أبعد مما تخيلت.

شعرت أنني أصبحت جزءا من خريطة فنية واسعة، تتخطى الحدود واللغات. كانت رحلتي اكتشاف حقيقي، كانت رحلة داخل ذاتي، بحثا عن إجابة لسؤال ظل يلاحقني طوال تلك السنوات...

هل أعــــود؟

بعد أعوام من الترحال بين القاعات والمعارض والورش، بدأت ملامح جديدة تتشكل في حياتي، .لم أعد أكتفي بدور المشارك أو المنسق، فقد بات حلمي يتجه نحو آفاق أكثر طموحا:

أن أكون صاحب مشروع فني مستقل، يحمل هويتي الخاصة، ويمزج ما بين تراثي الشرقي وروحي العالمية.

تبلورت لدي فكرة مشروع فني، يحاور الآخر، ويعبر عن رحلة الإنسان في بحثه عن الجمال والمعنى. كان هذا المشروع بمثابة خلاصة لكل ما عشته:

اللقاءات، السفر، الورش، المعارض، الانكسارات الصغيرة والانتصارات الهادئة. كان إعلانا داخليا بأنني صرت جزء من مشهد بحد ذاته، يخط مساره بإرادته الخاصة.

كنت قد بنيت مشروعا ناجحا في عالم الموبيليا، ورشة صغير كبرت، وأحلام تجارية ترسخت، لكن شيئا في داخلي كان ساكنا لا يهدأ، يناديني بصوت خافت لا تخطئه الروح. كان الفن، كما عرفته صغيرا، يطالبني بأن أعود إليه، بكل كياني وروحي.

لم تكن هناك مسؤوليات مادية تثقلني، لم أكن متزوجا، ولم يكن المال غايتي ولا حلما راودني طويلا

أدركت، في تلك اللحظة التي تشرق فيها البصيرة، أنني لا أريد أن أكون رجل أعمال ناجح، أريد فقط أن أكون ذلك الفتى الذي كان يرسم، ويحلم بالألوان أن تطوف به العالم.

في خضم هذا الصراع الصامت بين القلب والعقل، بين ما حققته وما كنت أبحث عنه، جاءتني الدعوة.

دعوة لإقامة معرض خاص ضمن برنامج ليالي رمضان الثقافية في قصر ثقافة كفر الشيخ. كانت الدعوة أشبه بنداء قديم، إشارة خفية انبعثت من أعماق شغفي الأول، ذاك الذي خطوته بوجل وحماس عام 1995.

كانت الدعوة تميل بكفة قلبي نحو الفن، تدفعني لأن أترك خلفي كل ما بنيته من جدران وأسواق، وأعود إلى ذاتي الحقيقية. لبيت النداء دون تردد.

بهدوء الواثق، أنهيت نشاطي الصناعي والتجاري، أغلقت معرضي، وفتحت بابا آخر لا يؤدي إلى ربح مادي، لكنه بالضرورة يؤدي إلى خلاص روحي.

عدت إلى مرسمي القديم، إلى عالمي الذي لم يخني يوما، حيث الرائحة الأولى للألوان، وهمس القماش الأبيض ينتظر لمسة حياة.

وهكذا بدأت مرحلة جديدة، لا تشبه أي مما سبق... مرحلة رسم ملامح ذاتي، فنانا يحكي حكايته باللون والخط والحلم، يبحث عن نفسه بين ظلال الضوء، ويسير بخطى القلب نحو مصيره الذي اختاره بنفسه، هذه المرة عن يقين لا رجعة فيه.

كان المعرض محطة لمراجعة مسيرتى، إذ عرضت فيها جزءا من أعمالى الأولى التي لاقت نجاحا في معرضي الأول، وأرفقت بها مجموعتى البسيطة التي أنجزتها خلال ستة أعوام، بينما كنت منهمكا في تفاصيل تجارتى.

وفي قاعة عبد المنعم مطاوع بقصر ثقافة كفر الشيخ، أقمت معرضى الفردى الثانى بعنوان" الحدود" 2002 م حيث علقت لوحاتى، ووقفت أتأملها بعين مختلفة، كأنى أراها للمرة الأولى. كانت شواهد على زمن مضى، على لحظات من الفرح والإحباط، على أحلام لم تكتمل وأخرى لا تزال تتبلور.

رأيت كيف ظلت لوحاتى صامدة، لم تتآكلها السنون، ولم تبهت ألوانها، كأنها تشهد على صدق إحساسى حين رسمتها.

في تلك الليلة، بين همسات الزوار ولمعان العيون أمام أعمالى، أدركت أن عودتى، كانت قدرا لا فكاك منه.و أن اللوحات القديمة تمد إليّ يدها، تدعونى لاكمل ما بدأته ذات حلم بعيد.

تذكرت حين رفضت لجنة صالون الشباب أعمالى، وشعرت حينها وكأن العالم قد ضاق أمامى، لكن المفارقة أن تلك الأعمال نفسها وجدت قبولا في صالون الأعمال الصغيرة الرابع والخامس بمركز الجزيرة للفنون بالزمالك في عامي 2000 و 2001. تساءلت مع نفسى:

«ماذا لو لم أتوقف عند الرفض الأول؟ ماذا لو أعدت المحاولة في الصالون الثامن أو العاشر؟ لماذا استسلمت بهذه السهولة؟»

طويت صفحة التجارة بهدوء، وفتحت كتاب الفن من جديد، هذه المرة بقلب ناضج وتجربة حياة أكثر امتلاء.

بدأت العمل على بناء مشروعي الشخصي، مزجت فيه بين ما تعلمته من الحياة وما نهلته من رحلاتي ومشاهداتي.

وأمام لوحاتي،عادت إلى ذهني ذكريات أبعد، ذكريات السؤال الأول الذي ظل يطاردني منذ بداياتي: من أين آتي بعلبة الألوان؟ اكتشف وقتها ان،المشكله كانت في امتلاك ثمن اللون وليس في ايجادة .

الان وقد أصبح بإمكاني شراء أي علبة ألوان احتاجها، أدركت أن الأمر لم يكن اقتناء أدوات، كان البحث عن هوية، عن أسلوب أكثر عمقًا، عن ألوان جديدة ، عن صوت تشكيلي لم يكتمل بعد.

عندها، قررت أن اعيد النظر في ألواني الأولى، أن افتش في تكوينها، أن اسأل نفسي: ما الذي ينقصها؟ ما الذي يمكن أن يضاف أو يحذف؟

أخرجت خاماتي القديمة، دققت في تفاصيلها، وبدأت في التجربة من جديد، حتى تتناسب مع مشروعي الجديد فكان مشروعي الاول يعتمد على سكب الالوان على قطعة خشبية ليكون سمكا وحجما، كان العمل يعتمد على تعدد المستويات واضافة بعض الخامات كالليف والسبك الممد

والاسلاك المعدنية وتعدد الملامس فاستخدمت الرمال والاحجار والمساحيق اللونية ، فكانت الخامه متوافقة تماما للموضوعات ، كانت المادة تتماهى مع الفكرة، تحتضنها وتلدها في مشهد عضوي حي، حيث يصبح الجسد والروح جزءا من الكتلة المادية ذاتها.

أما الآن، وقد نضجت الرؤية وتبدل المسار، كان المشروع الجديد ينادي بنبرة أخرى.لم يعد الأمر سكبا عشوائيا، ولا بحثا عن الكتلة والملمس وحدهما، قد أصبح الرسم هو الملك، والتشكيل هو الروح، حيث يتصدر الفيجر المشهد، ويطل التشخيص من خلف كل لون وخط. لم تخل لوحة واحدة من حضور الإنسان، ملامحه، انحناءاته، ظلاله.

كان لزاما إذن أن اعيد النظر في خاماتي، أن اعيد غربلتها، ليصير كل ما استخدمه خادما للرؤية الجديدة.

استبدلت الرمل بالسيبيداج والزنك، وبدلت الأكاسيد الملونة بعلب اللاكية الجاهزة، فكانت تغنيني عن الغراء، لأن اللاكيهات بطبيعتها مادة لاصقة. استبدلت الماء بالتربنتين، كانت النتيجة مزيجا فريدا: زنك، سبيداج، لون لاكية، زيت التربنتين. خلط الجميع بنسب دقيقة، فحصلت على لون زيتي ذات قوام كريمي، منخفض التكلفة ذات جودة أقرب لما ابحث عنه يفرد على اللوحة بالسكين.

ومن جديد، جهزت شاسيهاتي، شدت القماش، وأمسكت بالسكين. لم اكن ارسم مشهد أو شكل فقط، كنت ارسم تجربتي كلها: المعاناة التي واجهتها، التحديات التي قهرتها، والانتصار الذي أحرزته على كل ما كاد يعيقني.

كنت ارسم الصمود، وكان في كل ضربة فرشاة استعيد يقيني بأن الألوان لم تكن يوما هي العائق. الرؤية، والإيمان بما يمكنى أن انجزه هى العائق الحقيقي ان لم تجد.

في تلك الأيام، حين كانت اليد تخطط والقلب يرسم، أتاحت لي رخص ثمن الخامة أن احلق دون قيود، أن امنح خيالي مساحة لا يحدها شيء.

أمام وفرة المادة وسهولة الحصول عليها، لم اعد مضطرا إلى اقتطاع حلمي ليتناسب مع إمكانياتي، حتى صار بإمكاني أن اترك الألوان تتدفق كما تشاء، أن امد السطح كما احلم، وأن اصنع لوحاتي بأحجام لم اكن اجرؤ على التفكير بها من قبل.

كبر حجم أعمالي كما كبرت رؤيتي؛ متران في ثلاثة أمتار كانت القياسات المألوفة، وأحيانا، حين تدفعني الفكرة إلى أقصاها، كان القماش يمتد إلى اربع أمتار، اغطي الجدران، واعانق السقف، كأنما احاول أن احتضن العالم كله داخل إطار واحد. لو لم تكن الخامات رخيصة ومتاحة، لما تمكنت من اقتحام هذه المساحات الشاسعة، ولا استطيع أن انطلق بهذه الحرية الجامحة.

أدركت يومها أن المادة قد تكون قيدا أو جناحا، وقد حالفني الحظ أن تتحول بين يدي إلى جناح عريض، يحملني نحو سماوات لم اكن لابلغها إلا بالطموح والإصرار.

كانت المساحات الواسعة تجبرني أن اتحرك بجسدي كله؛ ارسم بضربة ذراع، اركض أحيانا على امتداد اللوحة،

أتراجع لاراها من بعيد، ثم أقترب لاغوص في تفاصيلها، كأنما أنا والمادة والمكان صرنا كيان واحد.

في تلك اللحظات، ... كنت عاشقًا أكتب رسائل حبي على جدران الزمن.

واليوم، أقف أمام لوحاتي من جديد، كفنان يدرك أن كل ضربة فرشاة كانت خطوة في طريقي، طريق لم ينته بعد ، صارت لوحاتي مساحات من التأمل والسرد، تروي عبر اللون والملمس حكايات الإنسان البسيط، وتوثق لحظات الصراع والفرح، الألم والحلم.

بعد شهور من الإنكباب على العمل، حين تلاقت ألواني المعدلة التي أطلق عليها أسم «عجائن ملونة» مع مساحات القماش البيضاء ،اخرجت مجموعتي الفنية...

وجدت أنه قد حانت اللحظة إلي أن تخرج هذه الأعمال للنور بخطى أملة حملت حلمي، وتقدم بطلب إلى قطاع الفنون التشكيلية، وفي قلبي قلق صامت.

جاءت الموافقة أسرع مما توقعت، كأنما الأقدار كانت تترقبني، تهيئ لي الطريق.

هكذا ولد أول معرض لعجائني الملونة، تحت عنوان «الطريق»، في أتيليه القاهرة، قاعة إنجي أفلاطون، في يوليو 2003.

في مساء الافتتاح، كان الزوار يتنقلون بين اللوحات باعجاب ظاهر. كانت العجائن الملونة تباغتهم بتلك الجرأة في الخامة، والعمق في التعبير.

كتبت بعض الصحف عن المعرض، وتحدثت عن "مغامرة فنية جريئة تعيد الاعتبار للخامة كمشارك حي في التكوين"، وعن "فنان شاب يمتلك حسا فطريا بالتجريب والمجازفة".

ثم جاء معرض "فداء" بعد اربع شهور فقط من معرض "الطريق" فى اكتوبر 2003 ليكون نقطة الإنطلاق الحقيقية.

تزامن إفتتاحه مع الدورة الثانية والعشرين لبينالي الإسكندرية لدول حوض البحر الأبيض المتوسط مما منح المعرض زخما إضافيا.

احتشدت القاعة بالزوار من مصر والإسكندرية وإسبانيا، وكأن الهواء نفسه كان مشبعا بالتوقعات.

إرتفعت نسبة المشاهدة بشكل لافت، ولم يقتصر الأمر على الإعجاب، فقد ترجم إلى مبيعات حقيقية، حيث اقتنت مؤسسة رشيد الثقافية بالإسكندرية عملين من المعرض. واقتنى افراد من من الاسكندرية واسبانيا اعمال أخرى

كنت أقف وسط هذا الزخم، متأملا ما يحدث بعين المندهش. أخيرا، بدأت أحلامي القديمة تتجسد على أرض الواقع، كحقيقة اراها والمسها.

في صمت اللحظة، شعرت أن كل العثرات، وكل الرحلات، وكل المحاولات، كانت تقودني إلى هذه اللحظة بالذات... لحظة الإيمان الكامل بأن الفن، مهما طال الطريق، لا يخذل عاشقيه.

شهادات عن : عجائن إبراهيم شلبى الملونه :

د/ محمود خفاجى

نقيب التشكيلين بالمنصورة..... كتب تحت عنوان

ابراهيم شلبى.... فنان – الومضة واقتناص الحالة !!

إخترت هذا المقطع :

وهنا لابد من الأشارة الى أن التصوير الزيتى عند ابراهيم شلبى هو أقرب كثيرا الى نتائج الطباعة على الخشب أو اللينو وهى للوهلة الأولى تبدو كذلك للمتلقى , ربما لأن اللون الحاد عنده يشبه ما تفعله أدوات الحفر الحادة على سطح الخشب , ما من لون يتداخل مع لون , لكنه يجاوره , يصادقه , يحاوره باللمس الدقيق , ولكنه لا يحتضنه بغية صياغة لون جديد , وهو يختار ألوانا قليلة لا تتزاحم ولا تتشابك لكنها تتناغم لتصنع لحنا خاصا ورؤية مقصودة !!

وكتب مانويل روميرو..

تحت عنوان: ابراهيم شلبى .....الرؤية الجديدة

اخترنا هذا المقطع : وبدون انتمائه إلى أي مجموعة بعينها يحقق عمل عالي التجديد في عزلة مرسمه بكفر الشيخ.. فنان عالمي الدراية بما ينتج فنياً في أنحاء المعمورة، ولكن دون أن يترك أصول ثقافته المصرية، يهدى لنا هذا الناتج لرؤيته الجديدة للأشياء.. فنان غير ملوث بالقوالب القديمة ومجدداً باستمرار لرؤيته مستعملاً طرق تكنيكية ولونية جديدة، هكذا يظهر في هذا المعرض حيث يمكننا الاستمتاع بمشاهدة هذه الألوان الجميلة من الرصاصي والوردي تجدنا متجذبين لأسلوب تحطيم الأشكال في أغلب المعروضات، وللرشاقة أيضاً نصيب في اللغة التصويرية لإبراهيم شلبى .

فالفنان لا ينسي بأن الأسلوب في التعبير الفني هو أيضا منهج للوجود في هذا العالم

وكتب

أ.د / السيد عبده سليم

العميد الاسبق كلية التربية النوعية بكفر الشيخ..

تحت عنوان...ابراهيم شلبى .. وعجائنة الملونة

اخترنا هذا المقطع



فـــــــــداء
عجائن ملونه على تَوال 200×210 سم - انتاج 2003
مقتناه لدى السيدة / انخليس موربنو
قنصل عام اسبانيا بمصر فى الفترة 2003

فهو يعتمد علي قدراته الخاصة بالبحث في الذات وفتح مجال جديد لرؤية بصرية مغايرة .. حيث يقول ما يريد من خلال أعماله معلناً تفاعله مع الأحداث في حينها بتلقائية وقوة أداء محكم بأسلوب متميز يميل إلي التجسيد في كل جوانب العمل الفني.. ولعل رؤيته الموجزة التي استقاها من خلال خبرته مع الكاميرا الفوتوغرافية جعلته يختار الحدث والتكوين والمفردات داخل العمل الفني بإيجاز شديد ليرتبط بالمفهوم والمقصود والمعاناة التي يعبر عنها الفنان تجاه ما يحدث حوله من أحداث.. ولذا فإنني أرى أن تجربة إبراهيم شلبي متكاملة..فيما يحققه في التصوير الجداري بصدق الحالة والتقنية التي يستخدمها، وهي العجائن الملونة التي يتميز بها.

ملخص أكاديمي

– توثيق تجربة فنية تحولت إلى مرجع جامعي

في إطار البحث الأكاديمي التطبيقي للفن المصري المعاصر، تم اعتماد أعمال/ الفنان إبراهيم شلبى كنموذج تطبيقي أساسي في رسالة دكتوراه قدمت بكلية التربية الفنية للباحث:
محروس عتاقي، بعنوان:
مختارات من الرسوم المصرية المرتبطة بالضمير الجمعي المصري والاستفادة منها في تدريس التصوير".
تناولت الرسالة بالدراسة والتحليل خامة فنية ابتكرها الفنان من البيئة المحيطة به، متجاوزا محدودية الإمكانيات المادية، حيث صاغ مزيجا فنيا خاصا باستخدام خامات بسيطة كالـ (رمل، والأكاسيد، وغراء الحمص، وبقايا القماش، وألياف النباتات المحلية)، لابتكار ملمس بصري فريد، أصبح فيما بعد أحد العناصر الجوهرية في لغته التعبيرية.
وقد اعتمدت الرسالة على هذه التجربة كـ (مرجع تربوي في تدريس التصوير، حيث أبرزت كيف يمكن تحويل القيود البيئية إلى محفز للإبداع) ، وكيف تمكن هذه الخامة من بناء علاقة صادقة بين الطالب والفن من خلال التجريب والارتباط بالهوية.
تعد هذه الرسالة شهادة أكاديمية موثقة لتجربة فنية خرجت من رحم التحدي والحرمان، وتحولت إلى مادة بحثية ذات قيمة تربوية، تدرس كنموذج على التكامل بين الفن والتجربة الإنسانية، وبين الملمس التشكيلي والوجدان الجمعي.

قراءة فى لوحة
...............«فــــــــــداء»

احدى الاعمال المقتناه من معرض» فداء»
بالمركز الثقافى الاسبانى بالاسكندرية،
للسيدة / انخليس مورينو - قنصل عام اسبانيا بمصر



فداء
زيت على توال 200×150 سم - انتاج 2003

«فداء»
جدلية الألم والنهوض في التشكيل الفلسطيني.

يقدم عمل «فداء» رؤية بصرية مكثفة لمعنى التضحية والمقاومة في سياق القضية الفلسطينية، عبر تركيب تشكيلي يتكون من لوحتين منفصلتين تتكاملان معا لتشكلا صورة رمزية واحدة.

يقوم العمل على توظيف الجسد البشري كلغة تعبيرية قادرة على اختزال المعنى السياسي والإنساني في آن، حيث تتحول الأجساد داخل التكوين إلى بنية تشكيلية تستحضر ألوان علم فلسطين ودلالاته.

في اللوحة الأولى تظهر فتاة مصلوبة من ذراعيها، يمتد جسدها في وضعية توحي بالألم والاستسلام القسري. إلا أن هذا الاستسلام الظاهري لا يخلو من دلالة رمزية عميقة؛ فالجسد الممدود يتحول إلى أيقونة تختزل معنى التضحية التاريخية.

تمتزج الألوان المحيطة بالجسد لتشكل فضاء يستحضر علم فلسطين، وكأن الجسد نفسه قد أصبح جزء من الأرض التي ينتمي إليها، أو تجسدا حيا لمعاناتها.

أمـا اللوحـة الثانيـة فتقـدم حركـة معاكسـة؛ إذ يندفـع جسـد أنثـوي آخـر إلـى داخـل المشـهد بقـوة، فـي وضعيـة توحـي بالاقتحـام والتحـدي. هنـا يتحـول الجسـد إلـى طاقـة مقاومـة تتحـدى الألـم والقيـود، وكأن الحركـة ذاتهـا فعـل كسـر للجمـود الـذي فرضتـه لحظـة الصلـب فـي اللوحـة الأولـى.

يخلـق هذا التبايـن بيـن الصلـب والاقتحام، بيـن السـكون والحركة، توتـر بصـري يعكس المفارقة بين المعاناة والاستمرار في النضال. وعنـد جمـع اللوحتيـن يتكشـف المعنـى الكلـي للعمـل: فالمعانـاة والمقاومـة ليسـتا حالتيـن منفصلتيـن، انهمـا وجهـان لمسـار واحـد. الفتـاة المصلوبـة والفتـاة المندفعـة ليسـتا شـخصيتين مختلفتيـن بقـدر مـا تمثـلان مرحلتيـن مـن التجربـة ذاتهـا؛ فالألـم يتحـول إلـى قـوة، والجـرح يصبـح دافعـا للحركـة. بذلـك يغـدو العمـل استعارة بصريـة لمسـار شـعب يعيـش بيـن لحظـة التضحيـة ولحظـة النهـوض.

ينتمـي «فـداء» إلـى فضـاء التجريـد الرمـزي، حيـث تبسـط الأشـكال الإنسـانية لتتحـول إلـى علامـات بصريـة تحمـل دلالات تتجـاوز التمثيـل الواقعـي. إن غيـاب التفاصيـل الفرديـة فـي ملامح الشـخصيات يمنحهـا طابـع عـام، يجعلهـا تمثـل الإنسـان الفلسـطيني كتجربـة جماعيـة لا فرديـة. فالشـخصيات هنـا ليسـت أفـراد محدديـن، هـم رمـوز إنسـانية تعكـس معانـاة وهويـة مشـتركة.

يلعب اللون دور محوري في بناء الدلالة داخل العمل.

إذ تتـوزع ألـوان الأحمـر والأخضـر والأسـود والأبيـض بطريقـة تسـتحضر علـم فلسـطين دون تقديمـه بصـورة مباشـرة، فيتحـول التكويـن إلـى اسـتعارة بصريـة للوطـن نفسـه. بهـذه الطريقـة يصبـح الجسـد البشـري حامـلًا للرمـز الوطنـي، فـي إشـارة إلـى أن الهويـة لا تنفصـل عـن تضحيـات أبنائهـا.

أما اختيار الجسد الأنثوي لتمثيل هذه الدلالة يحمل بعد رمزي عميق. فالمرأة في التاريخ البصري كثيرا ما ارتبطت بفكرة الأرض والخصوبة والعطاء، كما ارتبطت أيضا بفكرة الألم والصمود.

ليمكن قراءة الجسد الأنثوي كتجسيد لفلسطين ذاتها: أرض تتعرض للانتهاك والقمع، لكنها في الوقت نفسه قادرة على المقاومة والاستمرار.

تبرز اللوحة الأولى جانب الألم والتضحية الصامتة، بينما تجسد الثانية فعل الإرادة والانطلاق.

وبين هاتين الصورتين يتشكل المعنى الأعمق للعمل: أن التضحية مرحلة في مسار المقاومة. فالجسد الذي يبدو مكبل اليوم قد يصبح في اللحظة التالية جسد يقتحم الواقع ويعيد تشكيله.

من الناحية التكوينية يعتمد العمل على توازن بصري بين اللوحتين، حيث تشكل كل واحدة منهما نصف الفكرة. كما يسهم التباين بين السكون والحركة في خلق إيقاع درامي يمنح المشهد طاقة داخلية واضحة. وتتضافر عناصر اللون والخط والفراغ لتنتج وحدة تشكيلية متماسكة رغم وجود التضاد بين حالتي الألم والمقاومة.

ان «فداء» يفتح أفق للأمل. فالحركة التي تقتحم المشهد توحي بأن الألم ليس نهاية الطريق، انما بداية لتحول جديد.

إن العمل يقدم قراءة بصرية للصراع بين القيد والحرية، بين الجرح والإرادة، مؤكدا أن التضحية مهما بلغت قسوتها تظل جزء من مسار الحياة نحو التحرر.

ليغدو «فداء» أكثر من مجرد عمل تشكيلي؛ إنه بيان بصري عن قدرة الإنسان على تحويل الألم إلى قوة، وعن وطن مهما طال صلبه يواصل التقدم، يقاوم، ويحيا.

قراءة فى لوحة
«جـــــنين»

إحدى الاعمال المقتناه من معرض فداء
بالمركز الثقافى الاسبانى بالاسكندرية،
لمؤسسة محمد رشيد الفنية



جنين- زيت ،رمل، غراء،على توال- 90×270 سم انتاج 2003

تمثل لوحة «جنين» قراءة بصرية معاصرة لمأساة إنسانية حديثة، تقوم على استحضار الذاكرة الفنية العالمية وإعادة توظيفها في سياق فلسطيني معاصر. يستند العمل إلى تفكيك وإعادة بناء بعض العناصر الأيقونية من لوحة «جرنيكا» لبيكاسو، في محاولة لخلق حوار بصري بين زمنين ومأساتين: قصف مدينة جرنيكا الإسبانية عام 1937، وما جرى في مخيم جنين عام 2002. ومن خلال هذا التوازي، يتحول العمل إلى مساحة تأمل في تكرار العنف عبر التاريخ، حيث تتقاطع الذاكرة الفنية مع الذاكرة الإنسانية لتكشف عالمية الألم الناتج عن الحروب والدمار.

يتكون العمل من شبكة بصرية مؤلفة من سبعة وعشرين مربع، قياس كل منها 30×30 سم، تتجمع لتشكل بنية تركيبية واحدة. داخل هذه الوحدات تتوزع مشاهد متعددة تشبه شظايا الذاكرة، كل منها يحمل أثراً من آثار الدمار أو لحظة من لحظات المعاناة الإنسانية. هذا البناء الشبكي يمنح العمل طابع سردي، حيث تتحول المربعات إلى مقاطع بصرية توثق تجربة جماعية من الألم والفقد. استخدام تقنيات الزيت ممزوجة بالرمل والغراء فوق القماش، وهو اختيار مادي يمنح السطح كثافة ملمسية توحي بخشونة الأنقاض وبقايا العمران المهدم.

العمل يمثل الدمار بصريا، و يستحضره ماديا أيضا عبر الخامة نفسها، لتصبح المادة جزء من الشهادة الفنية على العنف.

داخـل هـذا النسـيج البصـري يسـتعير العمـل سـتة عناصـر أساسـية مـن «جرنيـكا»، ليقيـم بينهـا وبيـن مأسـاة جنيـن علاقـة رمزيـة واضحـة.
يظهـر الثوركعلامـة علـى العنـف المتوحـش الـذي يهيمـن علـى المشـهد، بينمـا تجسـد المـرأة الصـارخـة صـوت الألـم الإنسـاني المنفلـت مـن كل قدرة علـى الاحتمـال. ويبـرز الـرأس المقطـوع كإشـارة صـادمـة إلـى المـوت والتضحيـة، فيمـا تمتـد يـد ممـدودة فـي محاولـة يائسـة لطلـب النجـدة.
أمـا الضـوء المسـلط فيحمـل دلالـة مزدوجـة، فهـو فـي آن واحـد رمـز للفضـح وكشـف الحقيقـة، وعلامـة علـى المراقبـة والقهـر. إلـى جانـب ذلـك تظهـر شـخصيات مـن الجنـود والمشـردين فـي وضعيـات مأسـاوية تعكـس حالـة الخـوف والاضطهـاد التـي تـلازم مشـاهد الحـروب. وإلـى جانـب هـذه الإشـارات المسـتعارة، يضـم العمـل مجموعـة مـن الرمـوز المعاصـرة التـي تشـير إلـى الدمـار والمقاومـة والفقـد، لكنهـا فـي الوقـت نفسـه تتـرك مسـاحة لظهـور إشـارات خافتـة للأمـل. فالمشـهد، رغـم قسـوته، فانـه يفتـح المجـال أمـام تأمـل إمكانيـة النهـوض مـن بيـن الـركام.
لتصبـح «جنيـن» امتـداد بصـري لذاكـرة «جرنيـكا»، لكنهـا لا تكتفـي بتكرارهـا، فهـي تعيـد توطينهـا داخـل تجربـة فلسـطينية محـددة.
فبينمـا كشـفت «جرنيـكا» عـن وحشـية الحـرب فـي سـياقها الأوروبـي، تمنـح «جنيـن» هـذا الإرث الفنـي بعـدا جديـدا، يربطـه بالواقـع الفلسـطيني ويعيـد طرحـه فـي سـياق إنسـاني معاصـر ليتحـول العمـل إلى جسـر بصـري يربـط بيـن الماضـي والحاضـر، وبيـن الفـن الغربـي والتجربـة العربيـة.
يعتمـد العمـل علـى مـزج لافـت بيـن التجريـد الحـاد والرمزيـة الواضحـة؛ فالأشـكال تظهـر كعلامـات بصريـة مشـحونة بالدلالـة. هـذا التداخـل بيـن التجريـد والواقعيـة الرمزيـة يمنـح اللوحـة طابـع شـعري وسـوريالي في آن، حيـث تتجـاوز قسـوة المشـهد مـع بعـد تأملـي يفتـح المجـال لتعـدد القـراءات.
مـن خـلال هـذا البنـاء البصـري المركـب تتحـول «جنيـن» إلـى أكثـر مـن مجـرد تسـجيل لحـدث تاريخـي؛ إنهـا صرخـة تشـكيلية تسـتحضر الذاكـرة وتقـاوم النسـيان. فالعمـل يذكـر بـأن الحـروب، مهمـا تغيـرت جغرافياتهـا، تظـل تعيـد إنتـاج المأسـاة الإنسـانية ذاتهـا. وفـي الوقـت نفسـه يؤكـد أن الفـن قـادر علـى أن يكـون شـاهدًا حـي علـى التاريـخ، وحـارس لذاكـرة الشـعوب، وجسـر يربـط بيـن الألـم الإنسـاني فـي الماضـي والحاضـر.

ستوديو صورتي

ربما غيرتني السنوات، و ربما أخذتني الطرق بعيد،
لكنني في النهاية عدت... عدت لأرسم.

صورتي...
نافذة على الألفية ومركز للإشعاع

في بداية الألفية الثانية . ازداد الحديث عن التصوير الديجيتال في الصحف والمجلات ،شغفت بالامر وكيف أن ميموري بحجم عقلة الصباع تحمل الالاف من الصور وكيف يتم عمل التعديل عليها بواسطة الكمبيوتر .. ازداد شغفي وبحثي في الموضوع ولم اهدأ حتى عرفت كل شئ وامتلكت كاميرا ديجيتال وكمبيوتر وبرنامج الفوتوشوب ...

وفي 2004 دشنت اول ستوديو للتصوير الديجيتال في محافظة كفر الشيخ (ستوديو صورتي).. لا ابالغ عندما اقول كنت الاول في محافظة كفر الشيخ ثم جاءو من بعدي .

وكان عدد الاستديوهات الديجيتال على مستوي الجمهورية يكاد يعد على اصابع اليد..

في ستوديو صورتي وفي وقت مبكر قمت بعمل تركيبات وخدع وخيالات جعلت الاطفال يلهون ويلعبون مع الاسود والنمور والعصافير ويحلقون في السموات مع النسور و الطائرات يغوصون في البحار والمحيطات مع القروش والاسماك .. كنت البسهم اجمل الملابس والبرندات قمت بتسفيرهم في ربوع الارض ، و جمعت الاحياء مع الاموات ...صورتهم مع مشاهير السينما والرياضة والسياسة ،

دمعت عيناي فرحا عندما قالي لي إحداهم : لقد سترتني الله يسترك لما بدلت قميصة البالي ببدلة اخر موديل « بالفوتوشوب « في صورة 4×6... اضفت المكياج والباروكات للفتيات ، البستهم فساتين الفرح والسواريهات .. لم تكن هذة الأشياء معروفة في ذلك الوقت .. كان الناس ينظرون لها على انها سحر من صنع جان... جائني الناس من القري والكفور، ليشاهدوا ذلك الساحر العجيب وكيف يعرض صورهم على شاشة الكمبيوتر ذلك الصندوف المدهش ، ليختاروا منه ما يروق لهم لطباعتة بعد عمل الخدع اللازمة وكتابة اساميهم واغانيهم او ايات من القرآن .. لم يكن ستوديو صورتي ذلك المكان المتواضع مجرد مكان للتصوير فحسب .

فقد ولد فية اول عمل مفاهيمي لي (اسمع واري واتكلم) تلك الأعمال التي عرضت في اهم اربع قاعات بالقاهرة والاسكندرية و لاقت نجاج باهر بفضل الله «2009 - 2013 »...

كان ستوديو صورتي ملتقي للشعراء والادباء والفنانيين والسياسيين والاحزاب .. لقد كان بحق مركز إشعاع ثقافي نشر نوره في ربوع المحافظة ..

لقد ولدت فية اول جمعية خيرية في المدينه (جمعية الحلم العربي) «2005-2020» وشرفت اني كنت احد المؤسسين وامين الصندوق .. قدمت المساعدات العينية والنقدية للالاف من المحتاجين ، واقمنا مراكز للدروس الخصوصية المجانية في المواد العلمية والدينية وحفظ القرأن والندوات والمحاضرات .

لقد ولد فية اول امانه لحزب الكرامه علي مستوي المحافظة

لم يكن ستوديو صورتي ذلك المكان المتواضع مجرد مكان للتصوير فحسب، فقد كان اكاديمية علمية لتدريس برامج الجرافيك (فوتوشوب ، اتوكاد،تري دي ماكس ، انديزاين، اليستريتور، كورويل درو) ..

فقد تخرج منه العشرات وعمل بعضهم بالخارج واخرين بالداخل ومنهم من اقام مشروعة الخاص في التصميم والتصوير

في ستوديو صورتي ولدت جماعة « انا هعمل دوري « لاقامه ورش رسم للاطفال بالتعاون مع قصر ثقافة قلين بالمجان ،في ستوديو صورتي نظمت الرحلات الثقافية والترفيهية في كل شبر علي ارض مصر.

نعم لقد كان مركز اشعاع ثقافي بحق وملتقي للمبدعين من كل الاجيال.

وفي 2014 شعرت انه لا يوجد جديد لاقدمه في هذا المجال .. فتركتة .. ... وذهبت الي نشاط اخر ... قد احدثكم عنه، لاحقا ، فلم يكن التصوير هو النشاط الاول الذي تركتة بعد أن وصلت لصفوفه الاولي فقد سبقه العديد من الانشطة وكان الهدف الاول في الخوض في هذة المشاريع هو اضافة وعي او لتقديم جديد .

ابراهيم شلبى

من منشورات صفحتى الشخصية فى فيس بوك فى23 ديسمبر 2022

13 حيث ولد الابداع ....وتجلت الأحلام

بعد أن أنهيت عملي في مجال الموبيليا وتفرغت للرسم، واقمت معرضاى "الطريق" و"فداء" ، شعرت وكأنني أعيد تشكيل حياتي بألواني الجديدة .

كان الحديث عن التكنولوجيا ، لغة الكمبيوتر . تتردد بقوة من أواخر التسعينيات وبدايات الألفية الجديدة، ودخوله في جميع المجالات ، حينها بدأت ملامح المستقبل الرقمي تتشكل بوضوح.
شعرت أن اقتناء جهاز كمبيوتر اصبح ضرورة حتمية، نافذة لا بد من فتحها على عالم جديد يزداد اتساعا كل يوم.

في ذلك الوقت ، لم تكن المعرفة التقنية متاحة بسهولة، فالمراكز التعليمية نادرة، والدورات التدريبية تتطلب تسجيل وانتظارا طويلا حتى يكتمل العدد المطلوب، أما الإنترنت، فكان شيئا بعيد المنال في البيوت العادية.
لم يكن هناك "يوتيوب" ليوفر شروحات بلمسة زر، كانت المعرفة تلتقط من مقالات متناثرة في صفحات اسبوعية بالجرائد، كجريدة "الاهرام " أو من مجلات متخصصة تصدر شهريا او نصف شهريا مثل "لغة العصر"

كانـت رحلتـي مـع الكمبيوتـر أقـرب إلـى مغامـرة داخـل متاهـة مليئـة بـالأزرار الغامضــة والنوافـذ المتلاحقـة، وبـدأ كل شــيء مـن تلـك المجـلات الورقيـة التـي كانـت تبـاع مـع "CD هديـة" يلمـع كأن فيـه كل أسـرار العالـم الرقمـي.

كنـت أشـتريها بشـغف، وأحـاول أن أفهـم ، كنـت مثـل طفـل وضـع أمـام مركبـة فضائيـة وطلـب منـه قيادتهـا!

ودائما البداية لا تخلوا من المواقف المضحكة .

أتذكـر المـرة الأولـى التـي فتحـت فيهـا الجهـاز ونسـيت كيـف أغلقـه، وتذكـرت تحذيـر أحـد الأصدقـاء مـن أن الإغـلاق الخاطئ قـد يـؤدي إلـى تلفـه.

وقفـت متجمـدا أمـام الشاشـة كمـا لـو كنـت علـى وشـك نـزع قنبلـة، أضغـط علـى زر، فتفتـح نافـذة... أضغـط علـى "إكـس"، فتظهـر نافذتـان!

كأن الجهـاز يسـخر منـي. فـي لحظـة يـأس، ذهبـت أطـرق بـاب جـاري، مهنـدس الكمبيوتـر،... لـم يكـن بالمنـزل.

فتطـوع أخـوه الاصغـر، بعـد ان إدعـي الخبـرة ، لحـل المشـكلة، فأمضـى سـاعة كاملـة فـي محـاولات يائسـة.

فـي النهايـة، لـم أجـد بـدا سـوى انتظـار عـودة أختـي مـن عملهـا ، التـي كانـت قـد حصلـت علـى دورة تدريبيـة فـي الوينـدوز ، فجـاءت كالبطلـة لتنقذنـي مـن هـذا المـأزق البسـيط، الـذى كان وقتهـا يبـدو كارثـي بالنسـبة لـي.

ضحكـت يومهـا حتـى دمعت عيناي... واكتشـفت أن أصعب ما في التكنولوجيا، هو أن تبدأها ، وأنت تأخذ كل شيء على محمل الجد.

ومـن هنـا، بـدأت صداقتـي الحقيقيـة مـع الكمبيوتـر... صداقـة بـدأت بضغطـة زر، وكادت تنتهـي بصـداع دائـم!
سريعا، أتقنـت أساسيات "الوينـدوز"، والتعامـل مـع الكمبيوتر، كنـت أظـن أن الأمر،قـد انتهـي واصبحـت جاهـز للتعامـل معـه وتنفيـذ مـا اريـد مـن تصميمـات وتخيـلات بضغطـة زر مـن الكيبـورد او بكليـك مـن المـاوس ،
وما هـي إلا أيام حتـى أدركـت أننـي أمـام بحـر واسـع لا يمكـن الإبحـار فيـه دون إتقـان فنـون السـباحة. فكل طلـب يحتـاج الـي برنامـج خـاص بـه ينبغـي تصطيبـه علـي الجهـاز وتعلـم تشـغيله.
كنـت أرغـب فـي تعلـم برنـامج سـمعت عنـه، يصمـم المجسـمات ثلاثيـة الأبعاد.
سـألت مـن حولـي فأشـاروا إلـى «الفوتوشـوب». لعـدم توافـر مراكـز تعليميـة اشـتريت أسـطواناته التعليميـة وبـدأت رحلـة التعلـم بحمـاس كبيـر، كنـت كلمـا انتهيـت مـن درس ولـم يذكـر شـئ عـن تصميـم مجسـم ، اقـول فـي نفسـي بالتأكيـد سـيكون ذلـك فـي الـدرس القـادم وعندمـا لا اجده، امنـي نفسـي بالـدرس اللاحـق حتـي انتهـي من كل الـدروس لاكتشـفت بعدهـا أنـه ليـس هـو البرنامـج المطلـوب.
تكـرر الأمـر مـع برامـج أخـرى فـي كل مـرة كان يفتـي لـي اصدقائـي باسـماء برامـج كنـت اسـرع لشـراء اسـطواناتها التعليمـه واكـرث كل وقتـي لهـا وامنـي نفسـي بهـا وفـي النهايـة اكتشـف انـه ليـس هـو . درسـت :
«الإنديزايـن»، «الاليسـتريتور»، « الأوتـوكاد»،« الكـورال درو» ، و«الفـري هانـد»، وبعـض برامـج المونتـاج وتعديـل الفيديـو مثـل «الافترافكـت» والانميـش مثـل «الفـلاش» .

كنت أشعر بالإحباط مع كل محاولة خاطئة، لكنني أيضا كنت أكتسب مهارات جديدة دون أن أدري.
استمرت هذه الرحلة عام كامل، حتي اهملت الامر ويأست من البحث عنه، حتى جاءت المصادفة.

ذات يوم، وبينما كنت اشتري احدي الاسطوانات من البائع تبعثرت محتويات رفه علي الارض ، فهرعت لمساعدته في جمعها ، لامسك احدي اسطواناته ، فنظرت اليه في دهشة ، وقلت بحماس" هو ده البرنامج اللي كنت ابحث عنه" ، هو ده البرنامج اللي سألتك علية اكثر من مره ".
فكانت دهشته مماثله فلم يكن يعلم عنه شئ ، وقال انه عندي منذ فترة طويله وفكرت كثيرا في التخلص منه، ولكن كان هناك شئ يمنعني .
اخيرا وجدت الاسم الذي كنت أبحث عنه منذ البداية: "ثري دي ماكس". شعرت وكأنني عثرت على كنز مفقود، وانطلقت بكل طاقتي لدراسته، مستغرقا فيه ما يقارب سبعة أشهر حتى أتقنته.
في تلك الفترة التي بدأت تتغير فيها ملامح العالم، بسبب التكنولوجيا كان الحديث يعلو يوم بعد يوم... عن ظهور لغة رقمية بدأت تفرض وجودها بقوة، تأخذ مكانها في الفنون، في الإعلام، في الحياة اليومية.
"التصوير الرقمي" الذى اصبح وقتها حديث الساعة، يدور في المجالس وعلى صفحات الجرائد والمجلات المتخصصة.
كاميرات صغيرة الحجم، قادرة على التقاط آلاف الصور دون حاجة لأفلام، ولا لغرف مظلمة.

رأيت في تلك الثورة الرقمية فرصة لا تبتعد كثيرا عن مجالي، انها تمتد منه، وتمنحني بعدا آخر للتعبير.
اقتنيت أول كاميرا ديجيتال، وربطتها بجهاز الكمبيوتر، رأيت الصور تظهر أمامي على الشاشة كما لو أنها تنبض...اخيرا وجدت فائدة لبرنامج قد تعلمته عن طريق الخطأ برنامج "الفوتوشوب "اكتشفت انه كان الامتداد الطبيعي لما تعلمته.
بإمكاني الان أن اضيف، اعدل، احذف، اعيد تشكيل اللحظة نفسها على الصور الملتقطه.
وجدته مساحة فنية موازية، أشبه بمرسم جديد.
ومن هنا جاءت الفكرة...
إذا كانت هذه التقنيات قد ستحول مستقبل الصورة، فلم لا أكون جزءا من هذا التحول؟ لماذا لا أفتح لنفسي باب جديد للفن والعمل معا ؟ وهكذا، ولدت الفكرة...
أن أفتتح استوديو للتصوير الفوتوغرافي الرقمي، واخترت له اسم يحمل شيئا من البساطة والخصوصية معا: "صورتي".
لقد كان محطة مهمة في زمن متغير، ونافذة أخرى أطل منها على الفن، والناس، والحياة. لم يكن هدفي البحث عن مهنة جديدة.
في صيف يوليو 2004، ومع حرارة الأيام التي تلهب الأرصفة، كانت بدايتي مختلفة ،تم افتتاح ستوديو صورتي.
كان بمثابة ولادة ثانية، عبور نحو عالم لم أكن أتصوره يوما، ولم أخطط له مسبقا.
كان كل شيء يبدو وكأنه يتشكل وحده، كما لو أن الحياة قررت أن تفاجئني، وتفتح لي بابا لم أطرقه من قبل.

نجح المشروع منذ لحظته الأولى، وبشكل لم أكن أتوقعه...
كأن الفكرة كانت تنتظر فقط من يؤمن بها.
وفي خضم هذا النجاح السريع، وجدتني أشرع في رحلة جديدة، بأداة حديثة ، مختلفة، لم أكن أحسب لها حسابا:
الكمبيوتر.
كانت البداية... وكانت الحياة تستعد لتأخذني إلى طريق آخر، أكثر اتساع، وأعمق أثر.
في ''ستوديو صورتي '' كان التصوير الديجيتال جديد علي الناس لم يروا مثله من قبل واكثرهم لم يسمع عنه من قبل ، وهو ما ساهم في سرعة نجاحه، فقد جاء بعضهم لألتقاط صور للذكري وأكثرهم جاء لإكتشاف العالم الجديد ،الذي سمع عنه من جاره أو صديقه الذي سبقه بزيارة المكان أو من اللافتات الدعائية الغامضة بحوائط المدينه التي سبقت الافتتاح بفترة والتي أثارت فضول الناس لمعرفة ماهيتها وكانت عبارة عن عبارات علي حوائط المنازل أو الأسوار من بين هذة العبارات
«صورتي حمرا وخضرا وصفرا»
ولافته اخري
«صورتي بكل الالوان»
واخري
«دي صورتي ... لا دي صورتي»
وهكذا. أثارت هذه العبارات فضول الناس، وبدأت الأسئلة تتزايد، وعندما أفتتح الاستوديو، كان الإقبال يفوق التوقعات، وأصبح المكان مزدحم من الصباح حتى الثانية بعد منتصف الليل، بلا انقطاع.

تدريجياً، بدأ المشهد يتغير حولي.
بعد ان انتقلت الى الاستوديو، انتقل زوار المرسم اليه ، فتحول إلى بيت آخر للفن والحلم. تحول المكان تدريجيا إلى نقطة تجمع نابضة بالحياة، لا تعرف صمت، ولا تعرف فراغ.
كان موقع الاستوديو، وسط المدينة، بجوار قصر الثقافة، عامل جذب لا يستهان به.
كان الزوار من الفنانين و الشعراء، والأدباء، والسياسيون، وحتى الباحثون عن لحظة هدوء بين ضجيج المدينة، وجدوطريقهم إليه. كان كل يوم يحمل معه وجوها جديدة، وحكايات تروى بين جدرانه.
تحول المكان إلى منارة ثقافية صغيرة، تتوهج طوال النهار، وتمتد أصداؤها أحيانا إلى قلب الليل.
في تلك الفترة، كان العالم يتغير بوتيرة لاهثة. أصبح الكمبيوتر لغة العصر، ومفتاح الدخول إلى أي مهنة أو مشروع.
فتحت التكنولوجيا أبواب رزق جديدة لم تكن تخطر على بال قبل سنوات قليلة. مكاتب للدعاية والإعلان، ستوديوهات تصوير، خدمات طباعة، مكاتب تصميم داخلي، وحتى مراكز ألعاب الفيديو... كل شيء كان يتطلب مهارات رقمية.
وازداد الطلب على تعلم البرامج التي كنت قد تعلمتها دون تخطيط مسبق: الفوتوشوب، الإنديزاين، الأوتوكاد، والـ3D Max.
تلك البرامج التي تعلمتها بدون قصد ، وكنت أحزن كثيرا عندما أنتهي من تعلم أحدهم ولم اجد فيه غايتي من تصميم المجسمات ، وكنت اشعر بخسارة وقت وأموال في برامج بلا فائدة
«هكذا تخيلت»

كانت تلك المرحلة أشبه بجسر ممتد بين زمنين... زمن كان فيه الفن ملاذي الأوحد، وزمن جديد تفتحت فيه أبواب التكنولوجيا كأفق واسع لا ينتهي.

في البداية، كانت البرامج الحديثة مثل الفوتوشوب والأوتوكاد والثري دي ماكس، عوالم غامضة لا سبيل إليها إلا بشق الأنفس.

لم تكن هناك مراكز تعليم قريبة، وكان من يرغب بتعلمها يضطر للسفر إلى محافظات بعيدة، ينتظر طويلاً حتى يكتمل عدد الدارسين، وربما يعود خالي الوفاض إن لم يحالفه الحظ.

وسط هذا العطش للمعرفة، حين أعلنت أنني أتقن تلك البرامج، وجدتني فجأة محور لجذب العشرات

توافد علي الطلاب من المدينة والقرى المجاورة، يحملون شغفهم وأسئلتهم وآمالهم الصغيرة.

تحول الاستوديو، الذي بدأ بتوثيق اللحظات الفوتوغرافية، إلى فضاء أرحب... مساحة للتعلم، للنقاش، وللإبداع المشترك.

أضفت إلى نشاط التصوير دورات تدريبية مكثفة، ألقي فيها ما تعلمته من لغات الكمبيوتر وبرامجه، بلهفة من يريد أن يفتح للآخرين نافذة نحو المستقبل.

ومع الوقت، أصبح المكان بمثابة أكاديمية ثقافية مستقلة، أو لنقول قصر ثقافة مواز ينبض بالحياة. تعقد فيه الندوات الأدبية، والأمسيات الشعرية، والورش الفنية، والمناظرات السياسية.

كانت الجدران شاهدة على جدالات ساخنة، وضحكات طازجة، وأحلام تصاغ بالكلمات والألوان والأفكار.

لم يكن انتقال بين مراحل، كان ولادة جديدة لروح المكان... روح تحمل رائحة الخشب القديم الممزوج بوهج الشاشات المضيئة، وتجمع بين عبق الفن الكلاسيكي وأصوات الحداثة الرقمية.

وسط زخم الأيام المتسارعة، وبين مسؤولياتي في الاستوديو الذي تحول إلى منارة ثقافية، ومشروعي الذي اتسع من تصوير فوتوغرافي إلى تعليم وتدريب، كنت أجد وقتي الخاص بصعوبة... لكن الفن، كما يعرف عشاقه، لا ينتظر الفراغ،الفن يقتحم اللحظة حين تلتمع الفكرة في الرأس وتضطرب الروح. كنت أقتطع ساعات قصيرة، من هنا أو هناك، كلما لامستني شرارة إلهام، لأعود إلى عجائني الملونة... تلك الخامة التي اخترعتها بيدي، وصارت مع الوقت وسيلتي الأقرب للبوح.

وفي أواخر عام 2007، وبينما كانت أعمالي تتراكم بصمت، جاءت زيارة صديقي، مانويل، المفوض الفني لوزارة الخارجية الإسبانية، إلى مصر ، جاء للإعداد لمشاركة بلاده في الدورة الرابعة والعشرين من بينالي الإسكندرية لدول حوض البحر المتوسط، التي أقيمت ما بين 8 ديسمبر 2007 - 26 يناير 2008. وكنت مشارك معه فى تصميم غلاف الكتالوج وتعليق الاعمال بعد انتهاء البينالي، دعوته لزيارة مرسمي في كفر الشيخ، ليطلع على مجموعتي الجديدة... كنت بحاجة إلى أن أريه كيف تطورت تجربتي، كيف أن العجائن التي بدأت بها أصبحت لغة،

في صباح شتوي ناعم الضوء، من صباحات محافظة كفر الشيخ. وقفت إلى جوار صديقي "مانويل روميرو" داخل مرسمي الصغير في قلين.
كان المرسم هادئ، تفوح منه رائحة الألوان والعجائن، تصطف على الجدران لوحاتي الكبيرة التي تفيض حركة ، كأنها تحكي بلغة خاصة لا يفهمها إلا من عاش الفن من الداخل.

كان'' مانويل'' يتنقل بين الأعمال بعين الخبير، يقف طويلاً أمام كل لوحة، يقترب، يبتعد، يطيل النظر، يبتسم... ثم التفت إلي وقال: ''هذه تجربة ناضجة يجب أن تعرض.''

لم أكن أنتظر كلمات الإعجاب، لكني حين سمعتها من فم خبير دولي، ومن صديق آمنت به منذ سنين، شعرت بشيء من الدفء ينساب داخلي، كما لو أن سنوات التعب والتردد قد وجدت لحظة اعتراف حقيقي.

وسرعان ما تحولت كلمات مانويل إلى واقع...فبعد أيام قليلة فقط من عودته إلى مدريد، تلقيت رسالته بدعوة لإقامة معرض شخصي لأعمالي في ''جاليري هيسبانيكا'' في العاصمة الإسبانية، لم اصدق عيني. قرأت الرسالة مرارا، أغلق الخطاب، أعيد فتحه، كأني اريد أن اتأكد أن الأمر ليس حلم.

كان ذلك أول عرض دولي لي، أول اعتراف رسمي بفني خارج حدود الوطن. غمرني شعور يشبه النشوة... تلك اللحظة التي يشعر فيها الفنان أن صوته، أخيرا، بلغ آذانا بعيدة، أن أفكاره التي رسمها في عزلة، ستقطع آلاف الكيلومترات لتحاور جمهور جديد بلغة اللون والشكل.

في فبراير 2008، ومع إسدال الستار على فعاليات بينالي الإسكندرية، بدأت في مهامي المعتادة بفك الأعمال الفنية وتغليفها بعناية داخل صناديقها الخشبية، إستعدادا لرحلتها المرتقبة عائدة إلى إسبانيا. كانت لحظة تبدو روتينية في ظاهرها، لكنها حملت لي هذه المرة فرصة ذهبية.

فقد جاءت المناسبة مواتية لشحن أعمالي الفنية الجديدة مع نفس الشحنة، ضمن الصناديق التي ضمت أعمال الجناح الإسباني الفائز بجائزة أفضل جناح في البينالي، والتي حملت توقيع الفنان الإسباني ''جيرمان جوميز''.

وهكذا، دون كثير من الترتيبات، وجدت أعمالي في طريقها إلى مدريد، تحمل معها أملاً كبيرا، وتستعد لأول ظهور لها خارج حدود الوطن.
رافقني شعور الفخر، لأن أعمالي ستسافر بجانب أعمال مكرمة، في قافلة فنية تشبه الأحلام.
في مارس من عام 2008، كان قلبي معلقا بين مكانين لا يربط بينهما إلا الطيران والزمن... مدريد، حيث تعرض لوحاتي أمام جمهور أوروبي، في معرضي الفردي الأول خارج حدود مصر، فى Galería Hispánica en Madrid (جاليري هيسبانيكا بمدريد) تحت عنوان Ventanas – (شبابيك،) ومصر، حيث كنت أترقب لحظة ميلاد ابني الثاني،" ياسين" .

نجح المعرض، جذب اهتمام النقاد والزوار على السواء، وحقق نجاحا، كما نجح فى تحقيق مقتنايات.
لكنني لم أكن هناك. لم أكن في قاعة العرض أرقب وجوه المتفرجين، لم أسمع وقع خطواتهم في المعرض، لم ألتقط الصور إلى جوار أعمالي... لأني كنت في غرفة انتظار أخرى، غرفة ولادة، أعيش لحظة أكثر فتنة وعذوبة من كل ما مر بي: لحظة أن أصبح أبا من جديد.
كانت المشاعر مختلطة حد التناقض... فرح لا يحتمل، وحنين لا يوصف، وشعور عميق بالرضا، وكأن القدر قد أراد أن يقول لي شيئا لا يقال إلا بالفعل: "ها أنت تمنح الحياة مرتين في آن واحد، مرة على جدران مدريد، ومرة بين ذراعيك في قلين".

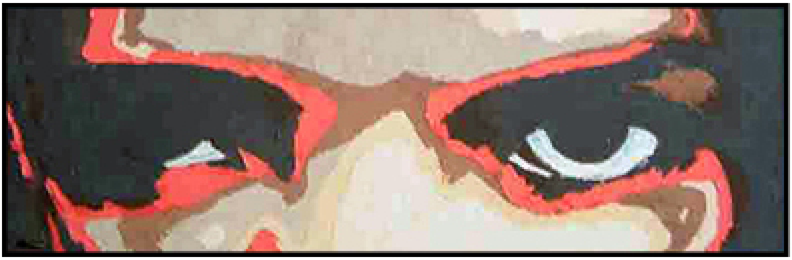
وقفت على شرفة البيت، أحمل "يس "وأتأمل السماء، كأنني أحاول تخيل لوحاتي وهي تعرض هناك، على بعد آلاف الأميال. شعرت كأن شباكا فتح بين عالمين... بين الفن والحياة، بين اللون واللحم، بين الحلم والواقع. وكم كان الاسم ملائما... "شبابيك"، كأنني أطل منها على كل ما كنت أحلم به يوما، وما لم أتخيل أنه سيحدث بهذه الصورة المزدوجة: أن أولد كفنان، وأعاد كأب.
ليكون ذلك الشهر شاهدا على اثنين من أهم الأحداث في حياتي: أول معرض دولي، وثاني مولود. والولد الوحيد الذى رزقت به بعد ابنتي مريم، ثمرة زواجي في فبراير 2006 .ان ذلك الشهر، مارس 2008، سيظل محفورا في ذاكرتي، كشهر حمل في أيامه كل المعاني: الولادة، والتحقق، والاعتراف، والانتماء.



د/ مانويل روميرو المفوض الفنى لدى وزارة الخارجية الاسبانية فى زيارة مرسم ابراهيم شلبى بكفر الشيخ ، امام لوحة شبابيك

قراءة في لوحة :
.... ترقـــــــب

إحدى الأعمال المقتناة من معرض شبابيك باسبانيا



ترقب
عجائن ملونة على توال - 60×120سم - انتاج 2003
مقتناة لدى السيد /خوسية خبير - مدريد

فـي عمـق هاتيـن العينيـن المتقدتيـن يتشـكل توتـر صامـت، كأن شـرارة خفيـة تشـتعل فـي نقطـة معتمـة مـن الوعـي. إنهـا نظـرة لا تصـرخ، لكنهـا تحمـل كثافـة شـعورية توحـي بصـراع مكتـوم بيـن الضـوء والظـل، بيـن سـكون داخلـي وعاصفـة توشـك أن تتشـكل فـي الأفـق.
فـي هـذا الحضـور البصـري المكثـف يختفـي الحيـاد؛ إذ تتحـول العينـان إلـى بـؤرة تتقاطـع فيهـا مشـاعر متناقضـة: التحـدي والقلـق، الغضـب والحكمـة، وكأنهمـا تقفـان علـى الحـد الفاصـل بيـن الانفجـار والصبـر. يعتمـد التكويـن علـى تقريـب شـديد للوجـه، مـا يخلـق حالـة مواجهـة مباشـرة مـع المتلقـي.

فالمشـاهد لا يقـف هنـا علـى مسـافة آمنـة للتأمل،حيث يجد نفسـه داخـل حـوار بصـري مـع النظـرة ذاتهـا. تصبـح العينـان أشـبه بــ «عيـن العاصفـة»؛ تلـك النقطـة التـي يلتقـي عندهـا السـكون بالعنـف، حيـث يتحـول الصمـت نفسـه إلـى شـكل مـن أشـكال الصـراخ.

يقـوم البنـاء اللونـي للعمـل علـى تبايـن حـاد بيـن الأحمـر والأسـود، وهمـا لونـان مشـحونان بـدلالات رمزيـة قويـة. فالأحمـر يوحـي بطاقـة متوتـرة قـد تحمـل معنـى الغضـب أو الثـورة الكامنـة، بينمـا يضفـي الأسـود عمـق درامـي يعـزز الإحسـاس بالغمـوض والسـيطرة. هـذا التضـاد بيـن الداكـن والمضـيء يبـرز ملامـح الصـورة، و يضـخ فـي التكويـن إيقـاع بصـري نابـض يزيـد مـن قوتـه التعبيريـة.
أسـلوبياً، يقتـرب العمـل منـروح التعبيريـة الحديثـة، مـع إشـارات تسـتعير شـيئاً مـن جماليـات البـوب آرت وفـن الجرافيتـي.
فالخطـوط القويـة والألـوان المسـطحة تمنـح الصـورة حضـور بصـري مباشـر يشـبه الملصقـات ذات النبـرة الاحتجاجيـة، فـي حيـن تضفـي المعالجـة الخشـنة للسـطح إحسـاس متعمـد بالتوتـر والانفعـال.
بهـذا التكويـن المكثـف تتحـول «ترقّـب» إلـى تجربـة بصريـة تختـزل الوجـود الإنسـاني فـي نظـرة واحـدة معلقـة بيـن القـوة والهشاشـة. إنهـا نظـرة تحمـل سـؤالاً غيـر منطـوق:
هل هي عين المنتصر، أم عين من يقف على حافة الهاوية؟

يتـرك العمـل الإجابـة مفتوحـة، مكتفـي بـأن يجعـل مـن هاتيـن العينيـن شـاهدتين علـى لحظـة داخليـة لـم يُحسـم مصيرهـا بعـد.

دراسة حـــــول
شـــــبابيك

إحدى الأعمال المقتناه من معرض الفردى الاول بمدريد

يمثل «شبابيك» دعوة بصرية للتأمل في مسيرة الإنسان وعلاقته بالزمن، من خلال ثلاث نوافذ تبدو وكأنها تطل على عوالم متوازية تمثل ثلاث مراحل أساسية من الرحلة الإنسانية. فالنوافذ هنا ليست مجرد عناصر معمارية، انها تتحول إلى رموز وجودية تفتح المجال لقراءة الحياة كدورة تبدأ بالبداية، وتبلغ ذروتها في الامتلاء، ثم تنتهي بالرحيل.

في النافذة الأولى، التي يغمرها اللون الأخضر، تتجسد لحظة البداية. الأخضر، بلونه النضر، يرمز إلى الميلاد والنمو الأولي، إلى تلك اللحظة التي يبدأ فيها الإنسان اكتشاف العالم. يظهر في هذه النافذة نصف شخص يطل على الخارج، في إشارة إلى كائن ما يزال في طور التشكل؛ نصفه حاضر في العالم، ونصفه الآخر لا يزال يتكون في رحم الزمن.

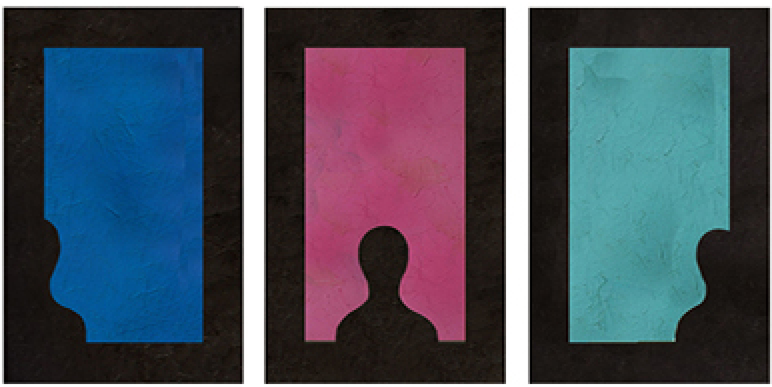
أما النافذة الثانية، المتوهجة باللون الأحمر، فتمثل مرحلة الامتلاء بالحياة. الأحمر هنا لون الطاقة والصراع والحركة. في هذه اللحظة يقف الإنسان بكامل هيئته داخل النافذة، محتلاً مركز المشهد، في دلالة على حضوره الكامل في العالم وانخراطه في تجاربه وصراعاته اليومية. إنها المرحلة التي يبلغ فيها الوجود الإنساني أقصى درجات تفاعله مع الحياة.

وفي النافذة الثالثة، التي يغمرها اللون الأزرق العميق، يتحول المشهد إلى حالة من الصفاء والسكينة. الأزرق هنا يرمز إلى الرحيل والعبور، إلى الانتقال من العالم المرئي إلى أفق مجهول. يعود الشكل الإنساني ليظهر نصفياً مرة أخرى، لكنه هذه المرة في حركة انسحاب هادئة، كأنما يتلاشى تدريجياً من المشهد، تاركاً خلفه أثره وذكرياته.

بهذا التكوين الثلاثي، يجسد العمل دورة الحياة الإنسانية: البداية، الامتلاء، ثم الرحيل. وهي دورة تبدو في العمل وكأنها حركة زمنية متصلة تتكشف عبر النوافذ الثلاث، لتمنح المشاهد فرصة للتأمل في حتمية الوجود وفكرة الفناء.

من الناحية الأسلوبية، يجمع العمل بين الرمزية والتعبيرية والتجريدية ضمن إطار الفن المعاصر. فالألوان هنا تستخدم كعناصر جمالية، وكذلك تحمل دلالات رمزية واضحة: الأخضر للنمو والبداية، الأحمر للصراع والحياة، والأزرق للسكينة والعبور.

كما يمكن ملاحظة أثر التعبيرية في توظيف الألوان القوية والمتباينة للتعبير عن الحالات الشعورية المختلفة لكل مرحلة.
ويعزز ذلك حضور الشكل الإنساني المتغير، حيث يظهر نصفياً في مرحلتي البداية والنهاية، بينما يظهر كاملاً في لحظة الامتلاء، في إشارة إلى التحول المستمر الذي يمر به الإنسان عبر الزمن.
وفي الوقت ذاته، يعتمد العمل على قدر من الاختزال التجريدي؛ إذ تتحول النوافذ والأشكال البشرية إلى كتل لونية وأشكال هندسية مبسطة، تركز على الفكرة الأساسية دون الحاجة إلى تفاصيل واقعية. كما أن المساحات البنية المحيطة بالنوافذ تخلق إحساساً بالفراغ، وهو فراغ بصري يعزز البعد التأملي للعمل ويشير إلى اتساع الزمن وغموض الوجود.
أما التكوين الثلاثي للنوافذ فيمنح العمل توازن بصري واضح، ويؤكد فكرة المراحل الثلاث للحياة. فالتقسيم الثلاثي في الفن غالباً ما يرتبط برمز اكتمال الدورة، وهو ما يجعل العمل يبدو وكأنه يعيد صياغة الرحلة الإنسانية في صورة بصرية مكثفة.
ليتحول «شبابيك» إلى تجربة تأملية في عمق الوجود الإنساني، حيث تصبح النوافذ منافذ رمزية يطل منها الإنسان على ذاته، وعلى رحلته بين الميلاد والحياة والرحيل.



شبابيك
عجائن ملونة على توال - 150×300 سم - انتاج 2003
مقتناة لدى السيد/ خوان البرتو جرسيا كوبس - مدريد

وطـــنى

رحلة لاتنتهى

فـي صبـاح يوشـحه بهـاء البحـر ورائحــة المدينــة القديمــة، تحـرك الأتوبيس مـن قلـب قلين، حامـلاً معـه وجوهـا مألوفـة وقلوبـا تخفق بشـغف الفـن.

كانــت رحلــة أشـبه بقافلــة مــن الأحــلام، تشـق الطريـق نحـو الإسـكندرية، حيـث كان معـرض «شـط إسـكندرية» لإبراهيم شـلبى يفتـح أبوابــه فــي مركــز الحريــة للإبــداع ، مــارس 2019.

وجـوه تطـل مـن نوافـذ الأتوبيس كأنهـا ترنـو إلـى وعـد بعيـد، عيـون تلمـع بالحماسـة، وبعضهـا يغمـره الدهشـة، وكأن الفـن صـار وسيلتهم لمغـادرة حـدود الجغرافيـا اليوميـة، ولـو لسـاعات. كانـوا يـؤازرون إبـن مدينتهـم، الـذي حـول قليـن إلـى نقطـة إنطـلاق لنبـض فنـي يجـوب القاعـات.

فـي تلـك اللحظـة، كانـوا شـهود علـى رحلـة فنـان... بـدأت مـن التـراب، وإنتهـت بيـن الألـوان.

صـور مـن احــدى الاتوبيسـات، كانـت تتكـرر كثيـراً تظهرأهـل مركـز قليـن لحضـور معـرض إبـن مدينتهـم

14 عندما يصبح الفن عيد .... ورحلة لا تنتهي

في تلك المدينة الصغيرة، حيث كانت الشوارع تحفظ وجوه المارة كما تحفظ ذاكرة الجدات الحكايات، كنت قد صنعت لنفسي عالما خاصا داخل المرسم والاستوديو.
كانا المرسم والاستوديو أشبه بساحتين للحوار والتفاعل، حيث امتزجت الألوان بالكلمات، والخطوط بالتصورات، وأصبحت اللوحة نتاج مشترك بيني وبين جمهوري.
على مدار سنوات، تحولت تلك المساحات إلى ملتقى يومي، حيث يأتي الزوار ليكونوا جزءا منه، يراقبون ولادة لوحاتي يقترحون أسماء لها، ، ويتبادلون الآراء كما لو كانوا رسامين دون فرشاة، واحيانا كنت اتخذ منهم موديلات للوحات
بمرور الوقت، تحولت هذه العلاقة إلى ما هو أبعد من التقدير والإعجاب. كانت هناك حالة استثنائية من الانتماء، لم أر لها مثيلا. فقد اعتبر أهل مدينتي قلين أن معارضي مناسبات ثقافية، وأعياد خاصة، يستعدون لها كما لو كانت مهرجانات شخصية. كانوا يسافرون في جماعات، يستقلون الحافلات على نفقتهم، ويجعلون من رحلة المعرض يوما متكاملاً، يبدأ بجولة في المعالم التاريخية للقاهرة أو الإسكندرية، وينتهي بحضور الافتتاح، حيث يقفون بجانبي و يشاركونني في هذا الإنجاز بكل جوارحهم. كان هذا الحضور أشبه بتوثيق حي لعلاقة نادرة بين فنان وجمهوره.

لقد إسترعت هذة الظاهرة إنتباه أحد الأصدقاء من الادباء وكتب عنها مقاله مطولة نشرت في جريدة «الدائرة الحمراء»
بعنـــــوان:
إبراهيم شلبي .. فنان تشكيلي
خارج أسوار قصور ثقافة كفر الشيخ

إخترت منها هذا المقطع الصغير:
إن شباب مدينة قلين محافظة كفر الشيخ يعتبرون معارض الفنان إبراهيم شلبي بمثابة أعياد خاصة ، يتجمعون فرادى وجماعات وعائلات مستقلين أتوبيسات على نفقتهم ليقضوا يوماً كاملاً في رحلة ثقافية اجتماعية وسياحية داخلية للتعرف على الأماكن التاريخية والأثرية في قاهرة المعز وعروس البحر المتوسط وعاصمتهم كفر الشيخ ، مختتمين الرحلة بافتتاح المعرض الفني للفنان الموهوب إبراهيم شلبي ، وغالباً ما يعقبه ندوة شعرية لشباب قلين الصاعد .

محمود همام
جريدة الدائرة الحمراء السنة الرابعة
ابريل 2014 - ص 10

كانت كلماته توثيقا لما أصبح تقليدا دوريا مع كل معرض ، ليتجاوز الفن ويصبح ظاهرة ثقافية متكاملة.
كانوا يأتون أفواجا، محتفلين، يشهدون لحظة تتويج لكل فكرة حملوها معي في الجلسات الطويلة، ولكل حلم شاركوه في تلك الأمسيات التي امتدت حتى الفجر.

ومع مرور الأعوام، تحول افتتاح معارضي إلى طقس فريد من نوعه، ظاهرة لم يشهدها أحد قبلي ولا بعدي - على الأقل حتى الآن، كانت معارضي رحلات تحتضن المعرفة، تجمع الناس من أحياء متفرقة، تربطهم دهشة الفن، ورغبة الاكتشاف.
وسط هذا الزخم، جاء عام 2009 حافلا بالنشاط، جاء ليحمل معه زخما جديدا، وكأنني كنت على موعد مع مرحلة أكثر اشتعالا، وأكثر صخبا ، كان عاما يفيض بالمعارض والفعاليات، ذلك العام، كان معركة بين الفن والواقع، بين الجدران والأسوار، وبين الصمت والصوت، وكان علي أن أختار.. فاخترت أن أرسم وأتكلم، حتى آخر لون في لوحتي
كان المشهد الأول في شهر مايو 2009 نقابة الصحفيين بالقاهرة، حيث افتتحت معرضي الفردي السادس، في قاعتي بيكار وعبد السلام الشريف، تحت عنوان «الجدار».
لم يكن هذا الجدار كيان مرسوم على اللوحات، فقد كان جدارا حقيقيا، يرتفع هناك على الحدود، كقيد جديد يفرضه المحتل ليخنق ما تبقى من أنفاس المقاومة.
لم يكن اختيار العنوان عشوائيا، كان الجدار في لوحاتي تجسيدا لقيد سياسي جسدته أسوأ سياسات القمع والاحتلال.
كان الجدار الذي يشيده الكيان المحتل على الحدود المصرية امتدادا لنهج طويل من العزل والخنق، وكنت أرسمه كرمز للقيود التي تحاصر الأحلام قبل أن تحاصر الأجساد.
في لوحاتي، لم يكن الجدار فولازي ، ولم يكن جدار اسمنتي، كان جدار انساني، جدار من وجوه متشققة، تتخللها صرخات من وراء القضبان، وعيون ترنو إلى الأفق بحثا عن مخرج.

فـي تلـك القاعـات، كانـت اللوحـات صرخـات، إحتجاجيـة مشـحونة بالغضـب، مزيجـا مـن الحـزن والنضـال. كانـت العيـون التـي تجولـت بيـن الأعمـال تشـارك الغضـب ذاتـه، وكأن كل زائـر يحمـل علـى عاتقـه جـدارا يـود لـو يهدمـه.
كنـت أرسـم لأديـن الجـدار، ولأقـول إنـه مهمـا إشـتد إرتفاعـه، هنـاك دومـا مـن يحفـر نفقـا تحتـه، أو يقيـم سـلما لعبـوره. كان المعـرض دعـوة مفتوحـة لمقاومـة كل مـن يحـاول أن يجعـل الحلـم مسـتحيلاً.

وجـاء المشـهد الثانـي بالاسـكندرية ، فـي ديسـمبر 2009 بمعرضـي الفـردي السـابع بعنـوان « وطنـي » فـي مركـز الحريـة للإبـداع.
هنـا، لـم يكـن الجـدار عـازلا علـى الحـدود، كان فـي الداخـل، يكتـم الأصـوات، ويقيـد الأحـلام.
كان المعـرض بكائيـه حزينـه، ينـدب مصـر التـي ترنحـت تحـت وطـأة الأزمـات الاقتصاديـة، والتـي تصاعـد فيهـا الحديـث عـن التوريـث وكأن البـلاد صـارت ميراثـا يتـوارث لا وطنـا يبنـى.

وفـي خضـم هـذا الزخـم، جـاءت لحظـة فارقـة حين تـم قبـول أعمالي فـي المعـرض العـام فـي دورتـه الـ31، فـي يوليـو 2009وهـو الحـدث الأهـم الـذي تنظمـه وزارة الثقافـة وقطـاع الفنـون التشـكيلية.
كان لـي شـرف المشـاركة بعمليـن؛ الأول بعنـون« ثلاثيـة»، عمـل زيتـي، يتكـون مـن ثلاثـة أجـزاء عرضـت فـي قصـر الفنـون بارض دار الأوبـرا المصريـة ، والثانـي بعنـوان «تحـدى»، احتـل مكانـه فـي قاعـة التحريـر بمتحـف محمـود مختـار، كأنـه شـهادة حيـة علـى الصراعـات التـي نخوضهـا كل يـوم.

ثم جاءت الجائزة الكبرى. ذات مساء، تلقيت اتصالا من قطاع الفنون التشكيلية، يحمل إلي خبرا لم أكن أتوقعه: تم ترشيح أعمالي لتمثيل مصر في معرض الفن المصري الحديث والمعاصر في كراكاس - فنزويلا.

.في لحظة واحدة، تجمدت ذاكرتي... عادت بي إلى بداياتي، إلى تلك الزاوية الصغيرة في مرسمي، حيث كنت أخلط الألوان على مهل، وأتساءل:هل يمكن أن تخرج هذه الألوان من قلين إلى العالم؟

وها هي اليوم تحمل أسم الوطن، وترفع في محفل دولي رسمي، بصفتي مبعوثا من وزارة الثقافة، ممثلاً للفن المصري المعاصر.كانت فرحتي لا تشبه أي فرحة سابقة.

كانت لحظة تتويج لكل من شاركني الطريق: أصدقائي الذين شاهدوا لوحاتي تولد، زواري الذين اقترحوا أسماء أعمالي،مدينتي الصغيرة التي آمنت بي، وحتى تلك المسافات الطويلة التي قطعتها بالحافلة إلى معارضي في القاهرة والإسكندرية، كل ذلك حضر في قلبي وأنا أستلم خطاب الترشح.

في المعرض بكراكاس، شاركت بعملين حملا من المعاني ما يفوق الكلمات:«ترهل» و«رحيل» كأنني وضعت على الجدار نقيضين لا ينفصلان: الأول، يمثل جمود السلطة حين تتحول إلى عبء خانق على الحياة، والثاني، هو أنين الرحيل، حيث يغادر الجسد وفي قلبه وطن لم يكمل الحكاية.

ذلك العام، 2009،كان علامة فارقة.كان عام إجتمع فيه الفن والنضال، الحلم والمسؤولية، الوطن والغربة. عام رسمت فيه على خريطة العالم، مكان صغير لفنانٍ بدأ من قلين، وحمل في قلبه فكرة: أن الريشة، حين تصدق، تصبح سفيرة وطن.

شـــهادة للتـــاريخ

فـي هـذا الكتـاب، أود أن أسـجل شـهادة حـق عـن الفنـان الراحـل / محسـن شـعلان، الـذي شـغل منصـب رئيـس قطـاع الفنـون التشـكيلية مـن عـام 2006 وحتـى 2010،

فــي 21 أغســطس 2010، هــزت مصــر فضيحــة كبــرى، حيــن أعلــن عـن سـرقة لوحــة "زهـرة الخشـخاش" مـن متحـف محمـد محمـود خليـل بالقاهـرة، وهــي تحفــة فنيــة تقـدر قيمتهــا بنحــو 55 مليــون دولار.

فــي أعقـاب ذلـك، وفــي ظـل منــاخ كان يعــج بالفســاد والمحســوبية، أصــدرت محكمــة الاســتئناف فــي أبريــل 2011 حكمــا قاســيا بســجن "محســن شــعلان " عامــا مــع الشــغل والنفــاذ، متهمــة إيــاه بالإهمــال والتقصيــر فــي أداء واجباتــه الوظيفيــة

لكــن الحقيقــة، كمــا يعرفهــا كل مــن تعامــل معــه، كانــت شــيئا آخــر تمامــا. فقـد كان هـذا الرجـل مثــالا للنزاهــة والتجــرد، بعيـدا عــن أي مصالــح شــخصية أو حســابات ضيقــة.

وأشـهد علــى ذلـك مـن خـلال تجربــة شـخصية لا تـزال محفـورة فـي ذاكرتــي ويســعدني تسـجيلها هنــا للتاريــخ.

فـي يوليـو 2009، تلقيـت اتصــالا مـن قطـاع الفنـون التشـكيلية يخبرنــي بترشـيح أعمالــي لتمثيـل مصــر فــي معــرض الفنــون التشــكيلية ضمــن الاسـبوع الثقافـى المصـرى بــ "كـراكاس – فنزويــلا".2009م

كان الأمــر مفاجئــا إلــى حــد الذهــول، إذ لــم أكــن فنانــا معروفــا علــى نطــاق واســع، ولــم تكــن لــي مشــاركات بــارزة، كمــا لــم تكــن وســائل التواصـل الاجتماعــي، التــي أصبحــت فيمــا بعـد وسـيلة للتعــارف، قـد ظهــرت بعـد. لــم أكــن مــن أهــل القاهــرة، ولــم أكــن محســوبا علــى أي جماعــة فنيــة أو مدعومــا مــن شــخصية نافــذة. لــم يكــن لــي منصــب ولا وســاطة . لــم اكــن ذو جــاه، ولــم أكــن مــن أولئــك الذيــن تفتــح أمامهــم الأبــواب المغلقــة.

فقد كانت وما زالت هذه العوامل هي المؤهلة للمشاركات، سواء الدولية أو المحلية، أولاقتناء الأعمال الفنية، أو حتى للحصول على الجوائز. لكنني كنت استثناء، إذ جاء ترشيحي بعيدا عن تلك الاعتبارات التي كانت تحكم المشهد الفني.

مدفوعا بحيرتي، اتصلت بالرقم الذي أبلغني بالترشيح، فكان المتحدث هو الاستاذ "محمد الليان". سألته بفضول: "مَن الذي رشحني؟". فجاءني الجواب الصادم: "رئيس القطاع، الفنان "محسن شعلان".

- وكيف له أن يرشحني وهو لا يعرفني ولم يسبق لنا الحديث يوما؟

فأجاب الليان: " لقد طلب كتالوج المعرض العام الحادي والثلاثين، (حيث كنت مشاركا فيه)، وانتقى منه الفنانين الذين رأى أنهم جديرون بتمثيل مصر.

كان ذلك الموقف كافيا ليجعلني أدرك أنني أمام رجل نزيه، لا يخضع للشللية، ولا ينحني لسطوة العلاقات والمجاملات.

لم أتصل به لأشكره، رغم ذلك بعد بضعة أشهرفي مارس2010 جاءني اتصال آخر يخبرني بترشيحي لتمثيل مصر في معرض بانوراما للفن التشكيلي المصري الحديث والمعاصر ضمن فعاليات الاسبوع الثقافي المصري خلال احتفالية (الدوحة عاصمة الثقافة العربية 2010).

هذان الموقفان كانا كفيلين بأن يرسما صورة واضحة لرجل لم يعرف الانحناء أمام الفساد، ولم يستخدم منصبه لمنافع شخصية، كما يفعل الغالبية ،او لمجاملات قد تعود علية بالمنفعة ، كان منحازا للوطن، مؤمنا بضرورة دعم المواهب الحقيقية، بعيدا عن المصالح الضيقة.

فهل يعقل أن رجلاً بهذه النزاهة والتجرد يتهم بالإهمال أو يدبر مؤامرة لسرقة لوحة؟ الحقيقة أن الذين أزاحوه لم يحتملوا وجود شخص شريف بينهم، فقد كان سقوطه حتميا في بيئة لا ترحب بالشرفاء.



لوحة 1

قراءة فى لوحة ثلاثية الجسد:

انعكاس الوجـــــود في شذرات الصورة

عملى التى شاركت به فى المعرض العام 31 قصر الفنون- ارض الاوبرا 2009

يتألـف هـذا العمـل مـن ثـلاث لوحـات متجـاورة، يقـدم كل منهـا مقطـع بصـري مختلـف مـن الجسـد الأنثـوي.
وعلـى الرغـم مـن استقلال كل لوحـة بذاتهـا، فإنهـا ترتبـط ببنيـة فكريـة وبصريـة واحـدة، بحيث تتكامـل الأجـزاء لتشـكل صـورة مجـزأة للجسـد، صـورة لا تسـعى إلـى الاكتمـال بقـدر مـا تستكشـف معنـى التفـكك ذاتـه. فالجسـد هنـا لا يعـرض ككيـان مكتمـل، انمـا كشـذرات مـن حضـور إنسـاني تتـوزع فـي فضـاء اللوحـة وتدعونـا إلـى إعـادة تركيبهـا فـي الوعـي.
ينشـأ مـن هـذا التقطيـع البصـري سـؤال جوهـري حـول مفهـوم الجمـال والهويـة: هـل يكمـن الجمـال فـي الـكل المتماسـك، أم فـي التفاصيـل المنفصلـة؟ وهـل الجسـد تعبيـر عـن الـذات الداخليـة، أم أنـه انعكـاس لنظـرة خارجيـة تشـكله وتعيـد تعريفـه؟ يضاعـف الفنـان مـن هـذه الأسـئلة عبـر توظيـف فـراغ واسـع يحيـط بالأجـزاء الجسـدية، بحيث يبـدو الجسـد وكأنـه يطفـو فـي فضـاء غيـر محـدد، معـزول عـن سياقه، ومفتـوح علـى تأويـلات وجوديـة متعـددة.
تتجلـى المعالجـة اللونيـة فـي درجـات الأبيـض والبيـج ذات الملمـس الخشـن، وهـو اختيـار يمنـح السـطح طابـع عضـوي



لوحة 2



لوحة 3

قريب من ملمس الجص أو المادة الخام. هذا الحضور المادي للخامة يرسخ إحساس بالتجرد والتلاشي التدريجي، حيث تتأرجح الهوية بين الظهور والاختفاء، ويغدو الجسد نفسه جزء من نسيج اللون والسطح.

يعتمد التكوين على تقطيع غير تقليدي يدفع المتلقي إلى إعادة بناء الصورة ذهنيا. ففي اللوحة الأولى يبرز الجزء العلوي من الجسد مع تركيز على تفاصيل الثدي والكتف ضمن معالجة خطية دقيقة وخلفية خامية. أما اللوحة الثانية فتقدم زاوية أكثر ديناميكية تكشف انحناءة الظهر والخصر، بما يعزز الإحساس بالانسيابية والنعومة. بينما تقتطع اللوحة الثالثة جزء آخر من الجسد، محافظة على ذات النسق اللوني والملمسي، لتستكمل الإيقاع البصري الذي يربط بين الأجزاء الثلاثة.

ينتمي العمل إلى ما يمكن وصفه بـ«التجريد الحسي»، حيث يتم اختزال الجسد إلى مقاطع دلالية تختزل حضوره دون أن تفقد طاقته التعبيرية.

وهو اتجاه يتقاطع مع بعض تيارات الفن الحديث، ولا سيما التعبيرية التجريدية وبعض تجارب التكعيبية الجزئية التي قدمت الجسد عبر زوايا متكسرة ومترابطة في آن واحد.

كما أن المعالجة الملمسية والتباين بين الضوء والظل يضفيان على العمل طابع تعبيري يركز على الإحساس أكثر من التمثيل الواقعي.

يقوم البناء التشكيلي للعمل على مجموعة من المبادئ البصرية الأساسية. فالتوازن يتحقق رغم التجزئة عبر توزيع الكتل اللونية والمساحات الفارغة بطريقة تمنح التكوين استقرارا ديناميكيا.

ويظهر الإيقاع من خلال التكرار الجزئي للعناصر التشريحية والخطوط، مما يدفع العين إلى التنقل بين اللوحات الثلاث في حركة بصرية متواصلة.

أما التباين فيتجسد في العلاقة بين المساحات الفاتحة والملامس الخشنة، وهو ما يعزز حضور الأجزاء الجسدية داخل الفراغ المحيط بها. وتتحقق الوحدة عبر تشابه الخامات والأسلوب اللوني، في حين يخلق تنوع الزوايا والتقطيع اختلافًا بصريًا يثري التجربة الكلية.

تدفع هذه البنية المجزأة المشاهد إلى التوقف بين اللوحة والأخرى، كما لو أنه يقف أمام مرآة مكسورة يحاول من خلالها استعادة صورة كاملة. ليطرح العمل تساؤله العميق: أهذه المرأة كيان واحد أم مجموعة انعكاسات؟ حضور متماسك أم فكرة تتوزع في شذرات الصورة؟ لتتحول «ثلاثية الجسد» إلى تجربة تأملية تستكشف العلاقة بين الجسد والهوية والتمثيل البصري.

إنها محاولة لإعادة تشكيل صورة الإنسان في الوعي المعاصر، حيث لا ينظر إلى الكيان الإنساني كوحدة ثابتة، انما كبنية مفتوحة تتشكل عبر أجزاء، وذكريات، وفراغات لا تقل حضور عن الشكل ذاته.



تحدى- 120×60 سم
عجائن ملونه على توال
انتاج 2003

قراءة فنية فى لوحة
.............«تحـــدى»

العمـل الثانـي الـذى شـارك فـى المعـرض العـام 31 وعـرض بمتحف محمود مختار قاعـة ساحة التحرير

يقـدم العمــل ســرد بصــري درامــي يعكــس مفهــوم التحــدي والمقاومــة والصــراع مــع القيــود.

تتــوزع الشــخصيات فــي أوضــاع مختلفــة، كل منهــا يرمـز إلـى مرحلـة مـن مراحل المواجهـة مـع العوائق.

يعتمــد العمــل علــى تكويــن تجريــدي يظهــر فيــه شــخص يختـرق شـكل «X»، وهـو رمـز عالمـي للمنـع والرفــض، بينمــا تحيــط بــه شــخصيات أخــرى فــي حــالات مختلفــة مــن الألــم والمأســاة.

هنــاك مــن يبــدو مصلوبــا، ومــن يهــوى مــن قمــة ومــن يبكــي فقــدان عزيــز. علــى الرغــم مــن ذلــك، فــإن الشــخصية المركزيـة تتحـدى كل هـذه المشـاهد وتمضـي قدمـا فـي اختـراق المانـع، ممـا يرمـز إلـى قـوة الإرادة والمقاومــة

هــذا العمــل بيــان بصــري عــن الصــراع الإنســاني ضــد القهــر. يعكــس مراحــل مختلفــة مــن النضــال، مـن المقاومــة، إلــى السـقوط، إلــى الحــزن، ممــا يجعلــه يحاكــي تجــارب التحــرر فــي المجتمعــات

العمــل يدمــج بيــن التعبيريــة التجريديــة والتكعيبيــة الهندســية، حيــث يتــم اســتخدام التكويــن الديناميكــي، التبايــن اللونــي، الملمــس، والإيقــاع لإيصــال فكـرة الصــراع والمقاومــة. هــذه العناصــر تجعــل اللوحــة قويــة فــي رســالتها ومؤثــرة بصريــا ونفســيا

«تحــدي» هــو عمــل فنــي يجمــع بيــن العناصــر البصريــة القويــة والرســالة الإنســانية العميقــة. إنــه يعبــر عــن الصــراع مــن أجــل الحريــة والكرامــة، ويجســد قــوة الإرادة البشــرية فــي مواجهــة الظــروف الصعبــة

قراءة في لوحة «ترهل»

احدى اللوحتين التى مثلت مصر فى معرض الفنون التشكيلية بكراكاس فنزويلا



ترهل - عجائن ملونه على ابلاكاش
120×80 سم- 2009

يحمل عمل «ترهل» بنية بصرية متعددة الطبقات، تتقاطع فيها الأبعاد الفلسفية والنفسية والجمالية والسياسية، ليقدم رؤية تأملية في مصير الإنسان عندما يفقد إنسانيته في سعيه المحموم نحو السلطة. فالعمل بالاضافة الى تصويرة حالة فردية، يطرح نموذج رمزي لذلك القائد الذي يبدأ مسيرته إنساناً صاحب رؤية، ثم ينتهي تدريجياً إلى ظل فارغ لا يشغله سوى الحفاظ على سلطته بأي ثمن.

تلامس اللوحة فكرة التحلل النفسي للشخصية السلطوية؛ حيث يفقد الحاكم، مع مرور الزمن، قدرته على التعاطف أو التواصل مع الآخرين، وينكمش وجوده داخل دائرة ضيقة من الرغبات والامتيازات. هنا يصبح العمل تمثيلاً بصرياً لما يعرف بـ «متلازمة الغطرسة»، تلك الحالة التي يفقد فيها القائد إدراكه للواقع تحت وطأة شعوره المطلق بالقوة، فينعزل داخل ذاتٍ تتآكل ببطء.

تطرح اللوحة، من خلال هذا التصور، سؤالاً وجودي حول طبيعة الإنسان حين يفقد هويته لصالح شهوة الامتلاك والسيطرة. فالجسد في العمل يتحول إلى كتلة مترهلة فاقدة للحواس والملامح؛ لا عينين ترى، ولا أنف يشم، ولا جبين يفكر، يبقى الفم وحده كالعلامة الوحيدة الحاضرة، فم مفتوح يبتلع كل شيء، في استعارة بصرية مكثفة للجشع الذي لا يشبع.

من الناحية التشكيلية، يعتمد العمل على تكوين مركزي مكثف؛ إذ يملأ الرأس مساحة اللوحة محدثاً إحساساً بالثقل والجمود. تسود درجات الرمادي الثقيلة، فتخلق جو من الركود والتآكل، بينما يبرز الفم بلون أحمر متقد، كجرح بصري يكسر صمت السطح اللوني، ويشير إلى شهوة الامتلاك والاستحواذ.

أمـا الكرسـي فيظهـر كامتـداد عضـوي للجسـد، لا مجـرد عنصـر محيـط بـه؛ إنـه رمـز لاستمرارية السلطة حتـى عندمـا يبدأ الجسد الحاكـم فـي الانهيـار. ويأتـي غيـاب العينيـن والأنـف والجبهـة كعلامـة علـى فقدان الحكمـة والرؤيـة والبصيـرة، فـي حيـن يظـل الفم وحـده كرمـز الطمـع ،العضـو الباقـي فـي هـذه البنيـة المتداعيـة.

ليغدو «ترهل» مـرآة لواقـع إنسـاني متكـرر، حيث يـذوب الإنسـان فـي رغبتـه المطلقـة فـي الامتـلاك، فتتـآكل هويتـه وتبقـى غرائـزه وحدهـا حاضـرة. إنـه عمل يدعـو إلـى التأمل فـي طبيعـة السلطة، وفـي الكيفيـة التـي يعيد بهـا الحكم تشـكيل ملامـح مـن يتشـبثون بـه، حتـى تبتلعهـم القـوة ذاتهـا التـي سـعوا إلـى امتلاكهـا. وهنـا يبـرز السـؤال الـذي يطرحـه العمـل بصمت: هـل نحـن أمـام صـورة لحاكـم، أم أمـام ظـل لإنسـان كان موجـوداً يومـاً مـا؟

إنـه رمـز لـكل مـن اعتلـى العـرش يومـاً فاسـتقر عليـه مطمئنـاً، حتـى صـار العـرش ذاتـه، وفقـد ذاتـه تدريجيـاً إلا مـن جوعـه الـذي لا ينتهـي.

فمهمـا ابتلـع، يبقـى فارغـاً، هشـاً مـن الداخـل، يتـآكل ببـطء وإن بـدا ثابتـاً مـن الخـارج. وهكـذا ينتهـي الطغيـان: بانهيـار داخلـي صامـت، حيـث يتحـول الجالـس علـى العـرش إلـى فـم فقـط، وإلـى ظـلال باهتـة علـى جـدار الزمـن.

ينتمـي هـذا العمـل إلى المدرسـة التعبيرية الرمزيـة، حيث يلتقي التشـويه التعبيري للشـكل مـع عمق الدلالـة الرمزية للفكـرة. فالتعبيرية تتجلى في الملامح المشـوهة والكتلـة الجسـدية المترهلـة والألـوان القاتمـة التـي تنقـل حالـة نفسـية مضطربـة، بينمـا تكشـف الرمزيـة عـن طبقـات المعنـى الكامنـة فـي العناصـر البصريـة.

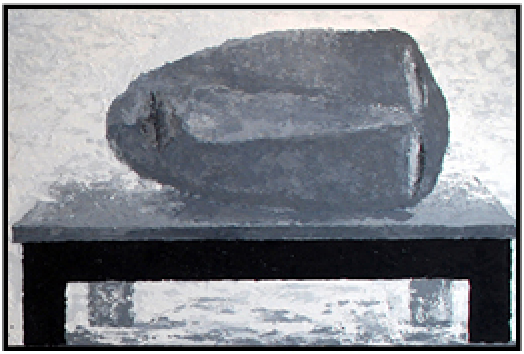
فـ فقـدان ملامـح الوجـه يرمـز إلـى تلاشـي الهويـة الفرديـة، والفـم الضخـم البـارز يمثـل الجشـع اللامحـدود، وكأنـه الأداة الوحيـدة المتبقيـة للحاكـم فـي عالـم تحكمـه الرغبـة فـي الابتـلاع.

أمـا الكرسـي الفخم فيرمـز إلـى اسـتقرار السـلطة وبقائهـا، فـي مقابـل الشـخصية المتداعيـة التـي تجلـس عليـه، ليبـرز التناقـض الحـاد بيـن ثبـات النظـام وتدهـور الإنسـان الـذي يجسـده. ليقـدم «ترهـل» مثـالاً واضحـاً علـى قـدرة الفـن علـى تجـاوز حـدوده الجماليـة، ليتحـول إلـى أداة فلسـفية ونقديـة عميقـة تكشـف عـن طبيعـة السـلطة، وعـن الثمـن الإنسـاني الـذي قـد يدفعـه مـن يسـعى إلـى امتلاكهـا بـلا حـدود.

اللوحة الثانية التى مثلت مصر فى معرض الفنون التشكيلية بكراكاس فنزويلا

قراءة فى لوحة «رحيل»

رحيل» – صرخة الصمت الأخيرة



رحيل ـ عجائن ملونه على ابلاكاش 80×120 سم- 2009

يجسد العمل التشكيلي رحيل مشهد مهيب ومشحون بالدلالات؛ رأس مستلقٍ فوق طاولة، يحكي بصمتَه حكاية صراع انتهى بفقدان الجسد، لكنه يظل حاضر بروحه ورمزيتَه.

فالصورة هنا بالاضافة على تمثيل لحظة موت، فهي تنفتح على خطاب بصري عن النضال والقمع وفكرة الاستشهاد، حيث تتحول الهيئة الساكنة إلى علامة على حضور يتجاوز الغياب الجسدي.

يعتمد الفنان على اقتصاد لوني واضح، إذ تهيمن درجات الرمادي على سطح اللوحة، مانحة المشهد مسحة كئيبة تتناغم مع ثقل اللحظة وحتمية النهاية. هذا الاختزال اللوني لا يهدف إلى الحياد بقدر ما يخلق فضاء تأملي مشحون بالصمت، صمت يضاعف الإحساس بالمأساة ويمنح العنصر المركزي»الرأس» قوة حضوره البصري.

تستقر الرأس فوق طاولة تبدو ككتلة صلبة داكنة، وكأنها تحمل ثقل الموت ذاته. أن هذه الطاولة تتجاوز وظيفتها المادية لتصبح علامة مفتوحة على أكثر من معنى: هل هي منضدة تغسيل الجسد قبل الدفن؟ أم منصة أخيرة يعلن منها الراحل رسالته للعالم؟ ربما هي نقطة انطلاق جديدة للفكرة التي عاش ومات من أجلها.

فبينما يتلاشى الجسد، تبقى الأفكار والذكريات، وتتحول التضحية إلى صدى يتردد عبر الأجيال. لتتحول المنصة إلى مسرح للحقيقة؛ مكان تقدم فيه الشهادة الأخيرة، وكأن الموت نفسه جزء من نضال لم ينتهِ بعد.

يدعم التكوين البصري هذه القراءة، إذ يحتل الرأس مركز اللوحة، موجهاً حضوره نحو المشاهد مباشرة، كما لو أنه يدعوه للتأمل في الرسالة التي خلفها الغياب.

الصمت الذي يلف المشهد ليس فراغا،انه كثافة دلالية؛ حضور أبدي للفكرة التي تصبح أكثر قوة بعد موت صاحبها، كما حدث مع كثير من الشخصيات التاريخية التي تحولت بعد رحيلها إلى رموز. ومن هنا يتولد توتر جمالي بين السكون الظاهري والانفعال الداخلي العميق.

فعلى الرغم من تجريد الألوان واختزال التفاصيل، يفيض العمل بطاقة شعورية كثيفة؛ فجمود الصورة يخفي صخب داخلي يصرخ في صمت، ويطرح أسئلة وجودية حول الفقدان والقمع وإمكانية الخلود الرمزي لمن يرحلون تاركين أثر لا يمحى.

تحمل لوحة «رحيل» بعد رمزي وتجريدي واضح؛ فهي تستحضر لحظة ما بعد الموت، حيث تستقر الرأس فوق منصة تغسيل في انتظار طقوس الوداع الأخير. الا أن العمل يتجاوز هذا التمثيل المباشر، إذ قد تقرأ المنصة أيضاً كساحة عرض للشهداء ضمن سردية أوسع عن التضحية والحرية، أو حتى كفضاء للمساءلة الأخيرة للإنسان وأفكاره.

أما الرأس، فيمكن تأويلها كاستعارة عن الفرد الذي تلاشت هويته وسط صخب العالم، أو كرمز لحالة العجز الإنساني أمام المصير المحتوم. وهكذا تعكس اللوحة حالة نفسية عميقة تتقاطع فيها مشاعر القهر والصمت والإحساس بالضغط الوجودي.

من خلال هذه الطبقات المتعددة، تفتح «رحيل» مجال واسع للتأويل، حيث تتقاطع الأبعاد السياسية والوجودية والنفسية والدينية في بنية بصرية واحدة. ويظل العمل في جوهره دعوة للتفكير في معنى الرحيل ذاته»، سواء كان جسدياً أو فكرياً أو رمزياً» وفي ذلك الصمت العميق الذي يسبق لحظة الحقيقة المطلقة.

وبهذا تتجاوز اللوحة مجرد تصوير لحالة الموت، لتصبح تأملاً في استمرارية الأثر الإنساني؛ فالإنسان قد يرحل، لكن صوته يبقى حاضراً في الذاكرة الجماعية، يتردد في عقول وقلوب من يؤمنون بقضيته. لتتحول المنصة الأخيرة إلى منبر أبدي، ويتحول الرحيل من نهاية مغلقة إلى بداية جديدة للمعنى.

المقارنة بين العملين «رحيل» و«ترهل»

: جدلية الفناء والسلطة

يقدّم العملان «رحيل» و«ترهل» رؤيتين بصريتين متقابلتين تتقاطعان في جوهرهما حول سؤال الوجود الإنساني وعلاقته بالسلطة والزوال. فبينما يتناول عمل «رحيل» فكرة الفناء كلحظة مأساوية حاسمة، يكشف «ترهل» عن نوع آخر من الفناء؛ فناءٍ بطيء يتشكل داخل الحياة ذاتها، حين تتحول السلطة إلى قوة استهلاكية تلتهم صاحبها تدريجياً.

ليضع العملان المتلقي أمام جدلية عميقة بين الموت الخارجي والتحلل الداخلي؛ بين غياب الجسد وبقاء الفكرة، وبين بقاء الجسد مع تلاشي الإنسان في داخله.

يتجسد هذا التناقض في صورتين بصريتين واضحتين:

رأس متقل بالترهل يكاد ينهار تحت وطأة الجشع، تحيط به مظاهر السلطة التي تستنزف روحه قبل أن تستنزف الآخرين.

وفي المقابل، رأس مقطوع يستقر فوق طاولة الموت؛ بارد في حضوره الجسدي، لكنه ما يزال مشحوناً بطاقة الفكرة.

الأول يلتهم بلا شبع، متشبثاً بكرسيه كأنه امتداد لجسده، حتى تتحول السلطة نفسها إلى قوة تفترسه. أما الثاني فيغادر الحياة مبكراً، لكنه يترك أثر يتجاوز الزمن، حضور رمزي يستمر رغم غياب الجسد.

بين الفناء والتحلل

في «رحيل» يغادر الإنسان جسده، لكنه يترك خلفه أثر؛ صدى لصوت أخير يتحول إلى فكرة لا تموت. إنه فناء مفاجئ يحرر الروح من ثقل الجسد، فتستمر في الذاكرة الجمعية كرمز يتحدى العدم.

أما في «ترهل»، فالفناء لا يأتي دفعة واحدة، انما يتسلل ببطء إلى داخل الكيان الإنساني.

هنا يذوب الإنسان تدريجياً في كرسيه وسلطته وامتيازاته، حتى يتلاشى حضوره الإنساني ويحل محله فراغ لا يشبع. إنه موت بطيء يمحو الملامح شيئاً فشيئاً، حتى لا يبقى سوى كتلة بلا روح. وهكذا يلتقي العملان عند نقطة واحدة: نهاية محتومة، غير أن الطريق إليها مختلف.

في «رحيل» يموت الجسد بينما تبقى الفكرة،

وفي «ترهل» يبقى الجسد بينما يموت الإنسان داخله.

«الرحيل» كتحرر و«الترهل» كعبودية

يتجاوز تصور الموت في «رحيل» حدود الفقد الجسدي ليصبح شكلاً من أشكال التحرر. فالرأس المنفصل عن الجسد يمكن قراءته كتمرد رمزي على القيود المادية وعلى السلطة التي تفرضها حدود الوجود. إنها نهاية تمنح الفكرة إمكانية الخلود، حيث يتحول الإنسان إلى رمز يتجاوز الزمن.

في المقابل، يجسد «ترهل» حالة العبودية للسلطة. فالإنسان هنا لا يتحرر، انما يغرق أكثر في ذاته المتآكلة، ويذوب في سطوته حتى يفقد ملامحه وهويته. يتحول إلى فراغ ضخم يجلس على عرش يبدو ثابتاً، بينما هو في الحقيقة قائم فوق هشاشة عميقة.

وهنا يطرح العملان أسئلة فلسفية مفتوحة: هل الرحيل هزيمة أم انتصار؟ وهل الترهل بقاء أم شكل آخر من أشكال الفناء؟

بين الصرخة والصمت

يحضر الصمت في العملين كلغة بصرية أساسية، لكنه يتخذ شكلين مختلفين.

في «رحيل» يبدو الصمت كصرخة أخيرة مكتومة، تحمل طاقة احتجاج كامنة وإمكانية تخليد الأثر.

أما في «ترهل»، فيتحول الصمت إلى فراغ مطبق؛ كيان لم يعد قادر حتى على الاحتجاج، لأن التآكل الداخلي استنزف كل طاقته.

ومن هنا يبرز سؤال تأملي:
أي الصمتين أكثر ضجيجاً؟ الصمت الذي يولد فكرة لا تموت، أم الصمت الذي يبتلع صاحبه دون أن يترك أثراً؟

الرأس والمنبر... الجسد والعرش

في «رحيل» يتحول الرأس إلى الكيان الوحيد الباقي، حاملاً الرسالة حتى بعد فقدان الجسد. يمكن قراءته كرمزاً للشهادة أو للفكرة التي تعلو فوق المادة، كأنه منبر للحقيقة حتى وإن ظل صامتاً.

أما في «ترهل» فالرأس لا ينفصل عن الجسد، انه يذوب فيه وفي العرش الذي يجلس عليه. الإنسان هنا يفقد فرديته تدريجياً، ليصبح امتداداً لكرسيه، كائناً بلا هوية لا يتحدث إلا بلغة الجوع الدائم للسلطة.

وبين العملين تتشكل مفارقة واضحة:
الرأس في «رحيل» يرتفع كفكرة، بينما الرأس في «ترهل» يغرق في كرسيه حتى يفقد معناه.

البقاء كمأساة والموت كبداية

في «رحيل» يبدو الموت حد فاصل واضح، لكنه في الوقت ذاته انتقال إلى مستوى وجودي أكثر تجريد واستمرار. فكثير ما تتحول الشخصيات بعد غيابها إلى رموز حية تتجاوز حضورها الجسدي.

أما في «ترهل»، فالبقاء الجسدي لا يعني الحياة بالضرورة. إنه بقاء يترافق مع تحلل تدريجي، حيث يفقد الإنسان روحه قبل أن يفقد جسده، ويتحول إلى كتلة خاوية تبدو متماسكة ظاهرياً بينما تنهار من الداخل.

جدلية الأثر والفقدان

يطرح العملان سؤالاً إنسانياً قديماً: كيف يواجه الإنسان الفناء؟
هل يترك أثر حتى وإن رحل، أم يظل متشبثاً بعرشه حتى يتحول إلى ظل باهت لما كان عليه؟
هنا تتشكل رؤية مزدوجة للفناء:
فناء خارجي يمثل الضحية،
وفناء داخلي يمثل المستبد.

الخلاصة

على الرغم من اختلافهما الظاهري، يكشف العملان عن رؤية فنية موحدة تستكشف جوانب معتمة من التجربة الإنسانية.
فـ «رحيل» يبدو كمرثية بصرية للفقد والتضحية، بينما يمثل «ترهل» احتجاج تشكيلي ضد الفساد والجشع. وكلاهما يستخدم لغة بصرية مكثفة للكشف عن علاقة الإنسان بالسلطة والزمن والزوال.

وجه التكامل بين العملين

يقوم العملان على تجريد رمزي للإنسان:في «رحيل» يفقد الجسد بينما تبقى الرسالة،وفي «ترهل» يبقى الجسد بينما تتلاشى الهوية.
كما يعتمد كلاهما على الفراغ والغياب كعناصر بنائية أساسية، مع اختلاف إيقاع الزوال:
فـ «رحيل» موت سريع يترك أثر خالد،
بينما «ترهل» موت بطيء يحول الذات إلى ظل فاقد للمعنى.
في النهاية يطرح العملان سؤال فلسفي حاد: كيف تتعامل السلطة مع الفكرة؟ هل تقتلها لتبقى، أم تموت هي بينما تبقى الفكرة؟
ويبقى السؤال الأخير مفتوحاً أمام المتلقي: من ينتصر في النهاية... الجسد المترهل المتشبث بسلطته، أم الرأس المفصول الذي يخلد فكرته؟

دراسة فنية حول لوحة
......................«وطنـــى»

العمـل الـذى متـل مصـر فــى معـرض الفنـون التشـكيلية فــى الاسـبوع الثقافــى المصــرى بالدوحــة 2010م



وطنى - زيت وباستل على ابلاكاش - 122×244 سم 2009

«وطني... أمنية على جدار الحرية»

يقدم هذا العمل مشـهد بسيط فـي ظاهره، لكنـه مشـحون بـدلالات إنسـانية عميقـة. تظهـر فتـاة صغيـرة وهـي تكتـب كلمـة «وطنـي» علـى جـدار امتـلأ بالكلمـات والرسـوم التـي تحتفـي بالحريـة بلغـات متعـددة وأشـكال متباينـة. يتحـول الجدار هنـا إلـى مـا يشـبه جـدار الأمنيـات؛ فضـاء بصـري تتلاقـى فيـه أصـوات الشـعوب، وتتداخـل فيـه الحـروف والألـوان والأفـكار، ليغـدو مـرآة لحنيـن إنسـاني مشـترك نحـو الحريـة.

هكـذا يصبـح الجـدار سـجل حـيّ لتطلعـات الـروح الإنسـانية؛ فسيفسـاء مـن الرغبـات والأحـلام التـي عبـرت عـن نفسـها بلغـات وثقافـات مختلفـة.

تتردد كلمة «الحرية» في صور متعددة: في بهجة رسوم بيكاسو لفتاتين على الشاطئ، وفي بساطة التجوال الحر على ظهر حمار، وفي خطوات فتاة تمضي آمنة في شوارع مدينتها.

كل كلمة وكل رسم يمثلان شهادة فردية على معنى الحرية وتجلياتها المتنوعة في التجربة الإنسانية.

وسط هذا الحشد البصري تظهر الطفلة بوصفها المحور العاطفي للعمل.

تقف أمام الجدار متأملة ما تركه الآخرون من كلمات ورسوم، وكأنها تصغي إلى همسات أجيال حلمت بالانعتاق. ربما لا تفهم جميع اللغات المكتوبة أمامها، لكنها تدرك معناها العميق؛ فالمعاني الكبرى ،كالحرية والعدل والكرامة تتجاوز حدود اللغة لتلامس القلب مباشرة.

في لحظة صادقة من الإدراك، تمسك الطفلة بالطبشور وترفع يدها الصغيرة إلى أقصى ما تستطيع لتكتب كلمة «وطني» في أعلى الجدار.

تبدو هذه الكلمة وكأنها عنوان لكل ما كتب قبلها، أو مظلة تجمع تلك الأمنيات المتفرقة في كلمة واحدة. كما أن وضعها في أعلى الجدار يحمل دلالة رمزية؛ فهو أشبه بإيماءة رجاء أو دعاء، وكأن الطفلة تتمنى أن يكون الوطن هو الفضاء الذي تتحقق فيه كل تلك الأحلام بالحرية والعدالة.

بهذه البساطة الطفولية تختصر الكلمة عالم كامل من التطلعات؛ فالوطن، في نظرها، ليس مجرد مكان، انه الإطار الذي يمنح تلك الكلمات معناها الحقيقي. وكأنها تقول بصمتها إن الحرية لا تكتمل إلا حين تصبح قيمة جماعية يعيشها الجميع.

من الناحية الأسلوبية، ينتمي العمل إلى فضاء التعبيرية التجريدية، حيث تتجلى العفوية في الخطوط غير المنتظمة والكتابات الحرة وتداخل الألوان.

كما يحمل تأثير واضح من الفن الجداري (Street Art) الذي يتميز بصدقه المباشر وارتباطه بالفضاء العام وقضايا المجتمع.

وفي الوقت ذاته، يقترب العمل من روح الفن المفاهيمي (Conceptual Art)، إذ تتجاوز أهميته على عناصره التشكيلية، لتمتد إلى الرسالة الفكرية والإنسانية التي يحملها.

بهذا التداخل بين الصورة والفكرة يتحول العمل إلى بيان بصري عن الأمل؛ حيث تصبح كتابة الطفلة كلمة «وطني» تمثل إعلان رمزي بأن الحرية حق لوطن كامل و ليست حلم فردي.

«لا أرى ..لا اسمع .. لا أتكلم»

«في زمن التحولات البصرية، تخطى الفن الحدوده التقليدية، و مد جسوراً رقمية ليصوغ خطاباً جديداً ينبض بروح عصره، شاهداً وصانعاً في آن.»

طريق الحرية

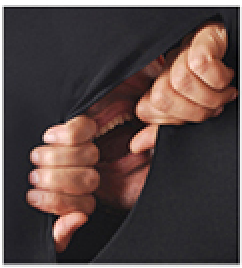
بقلم ا د / وليد قانوش
رئيس قطاع الفنون التشكيلية

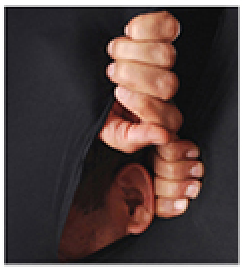
الفنـــان إبراهيــم شــلبى فـــى عرضـــه (سأســمع .. وأرى .. وأتكلــم) يقــدم صياغــة بصريــة تستخدم فيهــا تقنيــات التصويــر الضوئــى والمعالجــات الرقميــة ، مــن خــلال رؤيــة هــى فــى الأصــل ذات محتــوى مفاهيمــى يخاطــب بنفــس الدرجــة كلا مــن العيــن والعقــل معــا.

وإبراهيــم شــلبى منــذ بداياتــه يســير بخطــى منطقيــة صعــودا نحــو البحــث عــن ذاتــه بجوانبهــا الأســلوبية والمنهجيــة والفكريــة ، تتوالــد لديــه حتميــات تقنيــة تنحــو نحــو التقليديــة أحيانــا ومفاجئــة فـــى أغلــب الأحيــان ، ومتناســبة فــى الغالــب للمحتــوى الموضوعـــى ،

أما تجاربه فى البناء الفنى فتعتمد على رؤية خاصة للأشياء والموضوعات ، ليصل فى عرضه الأخير لدرجة من الوعى مكنته من امتلاك القدرة على وضع المفهوم العقلى فى قالبه البصرى المتسق والمتآلف مع ذاته أولا ، والمعبر ثانيا عن رؤية واضحة تعكس واقعا معاشا .
والصياغات البصرية لديه على ما فيها من صراحة إلا أنها تحتوى على الحد الكافى من التكثيف الفكرى والتعبيرى مع مقدرة فى التحكم والسيطرة على أدواته ومساحاته وعناصره .
ويأتى ذلك العرض متناسقا فى مجمله بين الأعمال الفنية ذاتها ، وبين شخصية الفنان الحاضرة فى الصور وبين عنوان العرض الذى يتبنى منطق الإرادة الفاعلة بإصرار ، وكأنه يريد أن يؤكد على حريته التى لن يسمح بأن تنتهك وعلى قدرته على فعل التغيير والتعبير بحرية تظهر بوضوح من خلال أعماله ذاتها حين يمزق حواجز الحرية إطلالا أو خروجا أو اختراقا ، أو عندما يتحول الجسد إلى أفواه وعيون وآذان ، إنها الفكرة الأساسية التى عمل جاهدا على صبها فى قالب الشكل بتوافق فى البناء ووعى فى استخدام الأدوات .

الاسكندرية 2012





اسمع وارى واتكلم - طباعة على بنر - 150×450 سم - انتاج 2009

15 «صورتي»
.... تتبدل الأدوات و تبقى الروح

في زمن تتسارع فيه التحولات البصرية والرقمية، لم أقف عند حدود الوسائط التقليدية، مدت جسور بين الفرشاة والعدسة، بين السطح الزيتي وضوء الشاشة، ليصوغ عبر التصوير الرقمي خطاب فني جديد ينبض بروح عصره.

في هذه التجربة، لا ينفصل الشكل عن المضمون، ولا التقنية عن الفكرة، الكل يتضافر لخلق أعمالاً مفاهيمية ذات طاقة بصرية ووعي إنساني، تجعل من الصورة أداة للمساءلة، ومن الفن موقفا فاعلا في وجه الصمت والتهميش.

هذه الصفحات توثق تجربة فنية،و تحكي سيرة إنحياز مستمر إلى الحرية، وسعي دائم نحو المعنى.

كان عام 2009 شاهدا على مرحلة من الإنفجار الإبداعي، بين القاهرة والإسكندرية، بين المحلي والدولي، بين الجدران المتهاوية والمقاومة التي تأبى الإندثار، ليصبح الفن ساحة معركة لا تقل ضراوة عن أي نضال آخر.

وقبل أن يطوي العام صفحاته الأخيرة، كنت قد بدأت مشروعي الفني الجديد، مشروع يتحدى الواقع السلبي الذي ساد آنذاك، حيث كانت العبارات الرائجة تتردد في الأرجاء: «غمض عينك تاكل ملبن» و«لا أسمع، لا أرى، لا أتكلم».وهكذا

لكنني رفضت هذا الخنوع، ووجدتني أردد بصوت داخلي: «لكي تبقى مصر، يجب أن نفتح أعيننا، يجب أن نسمع ونرى ونتكلم». كانت دعوتي صريحة للتغيير، للتفاعل مع القضايا المصيرية، وللمشاركة في صنع الحلول.
كنت مؤمنا بأن التغيير الحقيقي ينطلق من الداخل، وليس من الخارج، فاستحضرت مقولة ستيفن كوفي الشهيرة:
«إذا أردت أن تغير العالم، فابدأ بنفسك».
ومن هنا، ولدت فكرتي، ومن هنا انبثق شعاري:
«سأسمع... سأرى... سأتكلم».
اشتغلت علي هذه الفكرة ، رسمت مجموعة من الاسكتشات تحت هذا العنوان، وعند التنفيذ وجدت ان اللوحة الزيتية قد تعطي دلالات متعددة ، وقراءات مختلفة ، وتأويلات كثيرة ،قد تخرجني عن المضمون الذي اردته ،
وكانت رغبتي توجيه رساله مباشرة للجمهور، لا تقبل بغير فكرة واحدة ، وتأويل واحد، ودلالة واحدة ، فوجدت انه من الافضل تبديل الوسيط من الفرشاة الي الكاميرا ، من الالوان الي الطباعة ومن التوال الي البنر
وللمزيد من التوجيه للمتلقى قدمت الاعمال بهذه المقولة

«لا أرى ..لا اسمع .. لا أتكلم »
لطالما اتخذت من ذلك الشعار نبراسا
مادام لم يمسسني أحد بسوء ،
فلماذا اسمع .. أو أرى... أو أتكلم ؟
ولكن بعد فترة .. انعكس ذلك سلبا على حياتى ، حينها قررت أن أتخلى عن السلبية ، وأن أواجه وان ابدء بنفسي ومن الآن .... سأسمع وأرى واتكلم .

أثناء التنفيذ، ظهر أمامي تحد جديد: من سيكون الموديل الذي سيحمل الرسالة من خلال ملامحه؟
فكرت في إختيار شخص "فوتوجينيك" ، يحمل وجها معبر ، قادرا على تجسيد المواقف المطلوبة.

بعد عدة تجارب مع بعض العارضين، لم أشعر بالرضا؛ كان هناك شيء ناقص، شيء يمنع العمل من أن يصل بروحه الحقيقية. تأملت الأمر، فوجدت الإجابة أمامي:
« إن كنت سأبدأ بنفسي، فلماذا لا أكون أنا الموديل؟».
لم أكن الوجه المثالي أمام الكاميرا، لكنني كنت الأقدر على نقل الفكرة كما تخيلتها، فالرساله نابعة مني وليس من اى شخص اخر، فغيرت المواقع وانتقلت امام الكامير بينما إنتقل الموديل خلفها ، وأمسك بالكاميرا بناء على توجيهاتي.
انتجت اعمالي لوحة تلوا الاخرى، استخدمت في بعضهم تقنية الفوتوشوب، التي كنت اتقنه، واتقن صنع الخدع من خلاله ، كل لوحة مقسمة إلى ثلاث أجزاء: « لوحة أرى، لوحة أسمع، لوحة أتكلم » كل حاسة في لوحة مستقلة تتراص معا فتكون

«اسمع واري واتكلم»فأصبح عندى 36 لوحة،(12 لوحة اسمع و12 لوحة ارى و 12 لوحة اتكلم) جميعهم يحملون الرسالة ذاتها، ولكن بأساليب ولهجات بصرية مختلفة.
ولإضفاء القوة على تأثيرها، طبعت الأعمال على البانر بأحجام ضخمة، حتى تتناسب مع جلال الفكرة، ويكتمل وقعها القوي.
لاكتشف بعدها ان حجم الاعمال كان اكبر من استيعاب اي قاعة حصلت عليها، فإضطريت الي عرضهم علي اجزاء ، في أربع قاعات علي أربع سنوات متتالية.
ومن المصادفات العجيبة ان مع كل عرض كان يحدث حدث سياسي ما بالبلد، وكأن القدر يستجيب في كل مرة لدعوتي التي اطلقتها من خلال الاعمال.
اقيم أول معرض لهم وكان أيضا أول معارضي الفردية في التصوير الفوتوغرافي المفاهيمي بعنوان «اسمع واري واتكلم» في قاعة رامتان « بمتحف طه حسين » بالهرم في ديسمبر 2010،

وبعد عشرين يوما فقط من المعرض قامت اولي شذرات ثورة يناير في 25 يناير 2011, لتطيح بدوله محمد حسني مبارك الفاسدة وتنتهي بتنحيه ثم بمحاكمته ومحاكمة نظامه الذي افسد في البلاد لثلاثة عقود.
واقيم المعرض الفردي الثاني بالمجموعة الثانية من الاعمال في الأول من شهر فبراير 2012 م بالقاعة المستديرة بنقابه الفنانين التشكيليين بالقاهرة - بارض الاوبرا ،وللأسف تزامن مع أحداث بور سعيد الدامية، حيث شهدت مصر واحدة من أبشع الكوارث الرياضية في تاريخها، والتي عرفت باسم "مجزرة بورسعيد"

إندلعت بعدها إحتجاجات غاضبة في القاهرة والمحافظات الأخرى، وطالب المحتجون بالقصاص العادل من المسؤولين عن المجزرة، أعلنت الحكومة المصرية الحداد، وتم إيقاف الدوري المصري إلى أجل غير مسمى، .

وكان المعرض الفردي الثالث بمركز الحرية للإبداع بالإسكندرية في ديسمبر 2012 في قاعة "الاخوين وانلي".
كان المعرض بمثابة دعوة لفناني مصر للدفاع عن حريتهم التي قيدت بصعود التيارات الإسلامية إلى الحكم.
شهدت مدينة الإسكندرية واحدة من أهم الوقفات الاحتجاجية الثقافية في تاريخها، تجمع فيها عشرات المثقفين والفنانين والأدباء أمام مركز الحرية للإبداع، في مشهد مهيب يعبر عن رفضهم القاطع للقمع والتضييق على الحريات الفنية والثقافية، حيث كان عرض أسمع وأري وأتكلم ، لا يزال مستمراً داخل المركز .
كانت وقفة المثقفين أمام مركز الحرية للإبداع نقطة تحول في المقاومة الثقافية في مصر، فقد أكدت أن الفن أداة مقاومة، ورسالة نضال ضد الظلم والاستبداد.
كما ألهمت هذه الوقفة العديد من الفنانين والمثقفين في مختلف المحافظات المصرية لاتخاذ مواقف مماثلة، والدفاع عن حقهم في التعبير دون خوف أو رقابة.

وكان العرض الفردي الرابع في مايو 2013 بإتيلية القاهرة تحت عنوان "ثورة الحواس" .

وفي هذا الشهر شهدت الاحتجاجات المناهضة لحكم الرئيس محمد مرسي في التزايد، حيث خرجت مظاهرات في مختلف أنحاء البلاد تعبر عن استياء قطاعات واسعة من الشعب من سياسات جماعة الإخوان المسلمين.
وظهور حملة «تمرد» التي كانت تهدف إلى جمع توقيعات لسحب الثقة من الرئيس مرسي، وحظيت بدعم واسع من القوى المعارضة. ازداد الاستقطاب السياسي في البلاد، وشهد انقسامات حادة بين مؤيدي الرئيس مرسي ومعارضيه، مما زاد من حدة التوترات ، التي مهدت للأحداث الحاسمة التي وقعت في شهر يونيو ويوليو من نفس العام، والتي أدت إلى عزل الرئيس مرسي وتولي الرئيس الحالي عبد الفتاح السيسي السلطة.
كانت هذه الأحداث نقطة تحول في تاريخ مصر الحديث، ولا تزال آثارها مستمرة حتى اليوم.
كما حظيت المعارض بإهتمام شعبي ، حظيت باهتمام سياسي واسع، حيث اجتمعت أطياف الأحزاب المختلفة من حزب الدستور العلماني إلى حزب الحرية والعدالة الإخواني، الى حزب النور السلفي ،وحزب الكرامة الناصري.حرص الجميع على التواجد واثبات الحضور.
اقيم علي هامش المعارض إمسيات ثقافية فنية أدبية ،لم تخلوا من المداخلات السياسية، تفاعل مع الاعمال النقاد والادباء ، كذلك حظيت الاعمال بإهتمام إعلامي وسجلت عنها حلقة في القناة الاولي ببرنامج أتيلية ، وتكلمت عنها الصحف والمجلات العربية ومنها الناطقة بالانجليزية

ومع ذلك لم تخل الرحلة من خيبات الأمل. ففي عام 2011، وبينما كنت أزور معرض الفنان د. عبد الوهاب عبد المحسن، (وكان وقتها عضو بلجنه الفنون بالمجلس الاعلي للثقافة، وهي اللجنة المسئولية عن ترشيح الفنانين لتمثيل مصر بالخارج) قابلني بحماس وهنأني بحرارة على اختياري لتمثيل مصر في روسيا، لكنه فوجئ عندما أخبرته أنني لم أتلق أي إخطار بذلك. توجهت في اليوم التالي الى قطاع الفنون بناء على نصيحته، لأكتشف أن ترشيحي قد تم تحويله إلى فنانة أخرى، كانت عضوا في لجنة الفنون بالمجلس الأعلى للثقافة، وهو تجاوز واضح لمعايير الترشيح.
وهكذا، ظل «أسمع وأرى وأتكلم» رسالة، صرخة ضد الصمت، وثورة بصرية في زمن التغيرات الكبرى.

وقد إمتدت مشاركاتى فى التصوير الفوتوغرافى الى أبعد من أعمال" أسمع وأرى وأتكلم" لقد شاركت كذلك فى معارض للتصوير الفوتوغرافى العاديه والتجريبيه
شاركت خلالها في ملتقى المصورين العرب الأول، الذي أقيم بقصر الفنون، حيث اجتمع نخبة من المصورين ليصوغوا بعدساتهم لغة بصرية عابرة للحدود.
كما شاركت فى صالون النيل الثامن للتصوير الضوئى – قصر الفنون - بالاوبرافى 2013
و في صالون النيل التاسع للتصوير الفوتوغرافي،شاركت بعمل تجريبى بعنوان"البعاد"الذي احتضنه متحف محمود مختار، 2017

وفـي اثنـاء كل هـذا الزخـم مـن المعـارض الفرديـة والمؤتمـرات ،كانـت هنـاك مشـاركات جماعيـة داخـل مصـر وخارجهـا،
وكان أبرزها دعوتي في فبراير 2010 م من قبل
(جاليرى ارتس بوينت للفنون) بمدريد
EL PUNTO DE LAS ARTES ART GALLERY
بمشـاركة الفنـان الإسباني أنطونيو ألـكازار لإقامـة معـرض ثنائـي فـي جاليـري «البونتـو دي لاس آرتـس» بمدريد،اسـبانيا،
عرضنا أعمالا مشتركة كانت نتاج ورشة اقمناها معا
VOCES DEL MEDITERRÁNEO: IBRAHIM SHAL-"ABI - ANTONIO ALCÁZAR
ESTA EXPOSICIÓN TUVO LUGAR DURANTE EL MES DE FEBRERO DEL ،ANO 2010

وفي الداخل فى سبتمبر 2011 شرفت بدعوة رسمية من
ا د / سيد عبده سليم "
عميد كلية التربية النوعية جامعة كفر الشيخ "
بإقامـة معـرض مشـترك مـع الفنـان الكبيـر/ محمـود خفاجـي نقيـب التشـكيليين بالمنصـورة ، بقاعـة الفنـون بالكليـه .
وكان المعـرض ضمـن سلسـله معـارض تقيمهـا الجامعة بإسـتضافة اعمـال الفنانيـن المؤثريـن فـي الحركـة التشـكيلية لعرضهـا كجـزء مـن نشـاط تعليمـي ميدانـي لطلبـة الكليـة قسـم فنـون .
افتتـح المعـرض رئيـس الجامعـة ا د / ماجـد القمـري وا د / سـيد عبـده سـليم عميـد الكليـة ولفيـف مـن اسـاتذة الجامعـة . وأعقـب المعـرض نـدوة بحضـور رئيـس الجامعـه وعميـد الكليـة عـن الأعمـال بالاضافـة الـى اقامـة ورش عمـل مـع الطلبـه.

16 عندما تتكلم العدسة بلسان الفرشاة:
.... نحو خطاب بصري معاصر

في لحظة تاريخية كانت فيها التكنولوجيا تطرق كل الأبواب، اخترت أن افتح لها نافذتي الخاصة لاعيد صياغتها بلغتي، واوظفها في خدمة رؤيتي.

لم يكن الاقتراب من التصوير الرقمي عندي مغازلة للموضة أو انسياقا خلف الموجة، فقد كان موقف فكري وفني يعكس وعي عميق بتحولات الصورة، وباحتياجات المرحلة.

لقد فهمت مبكرا أن الزمن لن ينتظر من يتأخر، وأن أدوات التعبير، كالكائن الحي، تحتاج للتطور كي تبقى قادرة على التوصيل والتأثير.
ولذا، لم يكن تأسيسي لاستوديو يحمل اسم "صورتي" مغامرة تجارية أو انزياحا عن مجالي التشكيلي، لقد كان تأسيس لمنصة جديدة، فيها تتلاقى عوالم الفن والتقنية والوعي الجماهيري في نقطة واحدة.

الفارق هنا أني تعاملت مع الكاميرا كوسيط تعبيري قادر على حمل أفكاري الجمالية والإنسانية بلغة العصر، تماما كما كانت الفرشاة في زمن آخر.

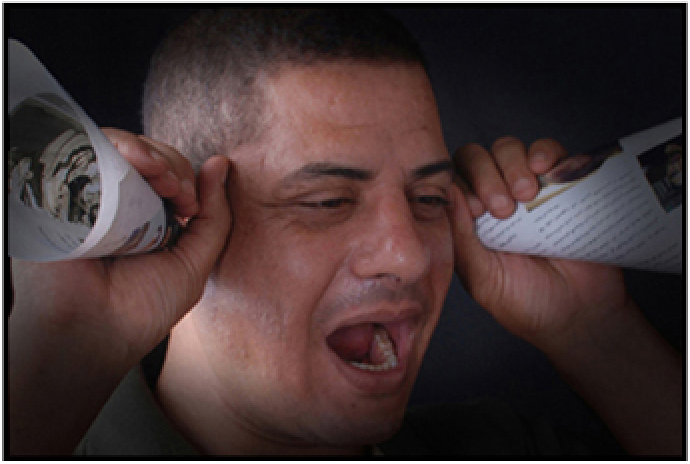
كانت أعمالي الفوتوغرافية معادلاً فنيا لمواقف فكرية، كما في سلسلتي المفاهيمية التي دعت، لا للصمت، نعم لـ"أن نرى ونسمع ونتكلم"، اعمالا تنتمي لمناخ ما قبل الثورة، وتستنطق حالة الحراك الكامن في وجدان الوطن.

لقد أدركت أن المعاصرة لا تأتي من تبديل الأدوات وحدها، انما تأتى من القدرة على تحويل تلك الأدوات إلى وسائط تنقل الموقف والرؤية والنبض الإنساني، وأن الشكل الجديد لا يصير فن إلا إذا حافظ على جوهر الإبداع ، الحرية، والتجريب، والصدق.
و في دخولي عالم الصورة الرقمية، لم اكن اقلل من شأن اللوحة،على العكس كنت اوسع من مجال فعلها.
لقد وسعت تعريف "اللوحة" ذاتها، لتصبح الفكرة ذاتها هي الإطار، والصورة هي اللون، والزمن هو القماش.

في عالم يتبدل بسرعة الضوء، يبدو الفنان هنا كشاهد وصانع في آن، يحمل في جيبه مفاتيح الزمن القديم، وفي يده أدوات المستقبل، ليعيد تقديم الماضي برؤية أكثر انفتاحا وإنسانية.
ان تجربتي تمثل تحولا فنيا على المستوى الشخصي، و تعد شهادة حية على كيف يمكن للفنان أن يكون ابن عصره بحق، باستثمار كل جديد في خدمة ما يؤمن به، وبما يريد أن يقوله - صوتا لا يكمم، وضميرا لا يقيد

فى هذا الجزء نقدم تحليل لاحدى الاعمال الفنية من اعمال اسمع وارى واتكلم كتميل عن باقى لاعمال فى المجموعة

«اســـــمع»



«اسمع» تصوير فوتوغرافي- 100×150 سم- 2009م

يتناول هذا العمل الفوتوغرافي مشهد مفاهيمي مكثف، يظهر فيه شخص يضع على أذنيه قرطاسين مخروطيي الشكل مصنوعين من ورق الجرائد، في إيماءة رمزية تهدف إلى تعظيم حاسة السمع وتكثيف فعل الإصغاء. ومن خلال هذا التكوين البسيط ظاهرياً، يفتح العمل أفق تأملي حول العلاقة بين الإنسان والصوت والمعلومة، وحول الكيفية التي يستقبل بها العالم من حوله.

ينتمي العمل إلى حقل التصوير المفاهيمي الذي يدمج بين الأداء البصري والدلالة الفكرية؛ إذ تتحول المادة اليومية – ورق الجريدة – إلى وسيط حسي يضاعف القدرة على الاستماع، ويمنح الفكرة حضور مادي ملموس. فالمخروط الورقي هنا يعمل كأداة واقعية و كعلامة رمزية تشير إلى الرغبة في تضخيم الصوت، أو ربما إلى محاولة التقاط ما يتوارى خلف ضجيج العالم.

يستخدم الفنان جسده كوسيط مادي للفكرة، حيث يحضر داخل العمل باعتباره عنصر دلالي ينقل المعنى. أكثر منه كتمثيل توضيحي؛ فالغرض ليس تصوير شخصية أو حدث بقدر ما هو تجسيد فكرة غير مرئية، تتعلق بالإنصات والوعي وتلقي المعلومات.
على المستوى التشكيلي، يعتمد العمل على توازن بصري واضح، إذ تتوضع المخاريط الورقية على الأذنين في تناظر دقيق يوجه عين المتلقي مباشرة نحو مركز الصورة. هذا التكوين يعزز الإحساس بأن الشخصية في حالة إصغاء شديد، وربما في حالة تأمل أو انعزال، وكأنها تحاول اختراق الضجيج الخارجي للوصول إلى معنى أعمق.
ويحمل اختيار ورق الجرائد دلالة إضافية تتجاوز البعد الشكلي؛ فالجريدة، كحامل للمعلومات والأخبار، تتحول هنا إلى أداة سمعية.
هذا التحول الرمزي يفتح المجال لقراءة نقدية لدور الإعلام في تشكيل وعينا، كما يشير ضمنياً إلى توتر العلاقة بين الإنسان والمصادر المعاصرة للمعلومة، خصوصاً في زمن الإعلام المميكن والوسائط الرقمية. ومن خلال اللجوء إلى وسيط تقليدي بسيط، يضفي العمل على المشهد مسحة وجدانية ودرامية تعمق حضوره الرمزي.
يحمل العمل المعنون «اسمع» فكرة أصلية تقوم على توظيف عناصر يومية بسيطة كالجرائد والمخاريط الورقية لنقل مفهوم معقد يتعلق بالإعلام والوعي الإنساني. فاختيار الجريدة كمادة أساسية يمنح العمل بعد بصري مبتكر، ويضيف ايضا طبقة دلالية تشير إلى الدور الذي تلعبه المعلومات في تشكيل إدراكنا للعالم. ليتحول ورق الجرائد إلى وسيط يجمع بين الفكرة والمادة والتجربة الحسية؛ إذ يتفاعل المتلقي مع مفهوم الصوت والاستماع من خلال عنصر بصري غير متوقع. ويجمع العمل بذلك بين التكوين المتوازن والرمزية العميقة والتأثير الفكري، ليطرح تساؤلات حول دور الحواس في الفهم والتفاعل مع الواقع.
إن «اسمع» في جوهره دعوة للتأمل وإعادة التفكير في علاقتنا بالصوت والمعلومة، وفي كيفية استقبالنا لما يحيط بنا من خطابات وأصوات. ورغم بساطته الظاهرية، فإنه يقدم تجربة بصرية وفكرية متكاملة، تتقاطع فيها البنية التشكيلية مع التأمل الفلسفي، لتكشف عن عمل غني بالدلالات ومفتوح على قراءات متعددة.



«أرى »- تصوير فوتوغرافي
، 100×150 سم، 2009

« أرى »

بيــــن الرؤيــــة والمفارقـة المفاهيميـة

يعـد عمـل «أرى» أحـد الأعمـال المفاهيميـة التـي أنجزتهـا عـام 2009، وعـرض لأول مـرة ضمـن معرضـي الفـردي «أسـمع وأرى وأتكلـم» فــي مركـز رامتــان الثقافــي بالقاهـرة فــي نوفمبـر 2011. يقوم العمـل علـى صـورة فوتوغرافيـة يظهـر فيهـا الفنان موجهـاً نظره نحو الأفـق من خـلال كوبيـن معدنيين معتمين وضعـا علـى العينين، فـي تركيـب بصـري بسـيط ظاهريـاً لكنـه غنـي بالـدلالات الفكريـة.

الجاهز الصنع وتحويل الوظيفة

ينتمـي العمـل إلـى تقاليد الفن الجاهز (Ready-made) الـذي ارتبـط باسم مارسيل دوشـامب، حيث يتم اختيار أشياء يومية مصنعة بكميات كبيـرة وإعـادة تقديمهـا فـي سياق فنـي جديـد. في هـذا العمل استخدمت كوبيـن معدنييـن مـن أدوات المطبـخ المنزليـة، مصنوعيـن مـن الفـولاذ المقـاوم للصـدأ، يتميـزان ببسـاطة شـكلهما وخلوهمـا مـن الزخـارف.

لـم يخضـع الكوبـان لأي تعديـل تقنـي أو زخرفـي؛ فالفعـل الفنـي هنـا لا يكمـن فـي التصنيـع، انمـا فـي الاختيـار وإعـادة التوظيـف. وبمجـرد تثبيـت الكوبيـن علــى العينيـن، يفقـدان وظيفتهمــا الأصليـة كأدوات

للشرب، ليكتسبا دلالة جديدة كوسيلة للرؤية. هكذا يتحول الشيء اليومي العادي إلى عنصر بصري يثير سؤالاً حول حدود الفن وعلاقته بالأشياء المألوفة في حياتنا اليومية.
اخترت عنصرين شديدي العادية؛ كوبين لا يحملان في ذاتهما قيمة جمالية استثنائية، إذ صمما أساساً للاستخدام الوظيفي وليس للتأمل البصري. الا أن وضعهما على العينين يخلق مواجهة غير متوقعة بين الجسد والشيء، بين الأداة النفعية وحاسة الإدراك.
هذا التحويل المفاجئ يخلق توتر بصري؛ فسطح الكوب المعتم، الذي يفترض أن يحجب الرؤية، يتحول على نحو متناقض (par-adoxically) إلى أداة للنظر. ومن خلال هذه المفارقة ينتزع الفنان الشيء من هويته النفعية ليقدمه كرمز.
فالكوب، الذي صمم للاحتواء والشرب، يصبح هنا أداة للإبصار، وكأن الفنان يقترح إعادة التفكير في العلاقة بين الوظيفة والمعنى.

من خلال الجمع بين العين والكوب، ينشئ الفنان كيان بصري جديد غير مألوف. فقد الكوب وظيفته الأصلية، ولم يعد قابلاً للاستخدام في سياقه الطبيعي، كما أنه لا يؤدي فعلياً وظيفة بصرية حقيقية. إنه في الواقع كائن بيني يقع بين الوظيفة واللاوظيفة.
ليمارس الفنان لعبة مفاهيمية حول نفعية الأشياء؛ إذ يحوّل أداة ذات وظيفة محددة إلى وسيط رمزي يطرح تساؤلات حول إمكانات الاستخدام وإعادة التوظيف. فالشيء هنا لا يقاس بقيمته العملية، انما بما يفتحه من أفق فكري وتأويلي.

يضع العمل المتلقي أمام سؤال كلاسيكي في الفن المعاصر: ما الذي يجعل الشيء عملاً فنياً؟

فالأشياء اليومية غالباً ما تستبعد من دائرة الفن لأنها صممت للاستخدام لا للتأمل الجمالي، كما أن العمل لا يعتمد على مهارة تقنية تقليدية في التصنيع.
أن قيمة العمل هنا تكمن في الفكرة التي يحملها. فالكوب يتحول مجرد أداة منزلية، الى حاملاً لفكرة «المنفعة» وتحولاتها.
ومن خلال تثبيته على العين، يعاد تعريف علاقته بالجسد وبالإدراك. وهنا لا يمكن فصل الفكرة عن الشيء نفسه؛ فبدون الكوب، لا يمكن تجسيد المفهوم الذي يطرحه العمل حول إعادة توظيف الأدوات اليومية وإعادة التفكير في وظائفها.
يمكن قراءة العمل أيضاً كاستعارة عن التحدي وتجاوز العوائق؛ إذ تتحول العوائق المفترضة"التي تحجب الرؤية" إلى أدوات محتملة لتحسينها.
وكأن الفنان يقترح أن ما يبدو عائقاً قد يتحول، عبر إعادة النظر، إلى وسيلة جديدة للإدراك.
يحمل العمل كذلك روحاً من المرح والسخرية المفاهيمية؛ فهو يلعب على حدود الهوية الوظيفية للأشياء وعلى تعريف الفن نفسه. فالفعل الفني يتم بطريقة بسيطة وعفوية، دون إعداد تقني معقد، لكنه يفتح مساحة واسعة للتفكير والتأويل.
ليقف عمل «أرى» عند تقاطع بين الدادا والفن المفاهيمي، حيث تتحول المفارقة اليومية إلى أداة نقدية تعيد طرح الأسئلة حول الفن، والوظيفة، والإدراك. ورغم بساطته البصرية، فإنه يظل عمل محفز للتفكير، يقوض التصورات التقليدية عن ماهية العمل الفني ويعيد توجيه الانتباه إلى قدرة الفكرة على تحويل أكثر الأشياء عادية إلى تجربة فنية ذات دلالة.

«أتكلم»



تصوير فوتوغرافي معدل بالفوتوشوب
150 × 170سم- انتاج 2009

تمثل لوحة «أتكلم» عمل بصري ذا طابع سيريالي يقوم على صورة رمزية مكثفة: يد تحاول إغلاق فم انسان وقمع صوته، غير أن هذا الفعل ينقلب إلى نقيضه حين تتحول اليد نفسها إلى فم جديد ينطق بالرسالة. يقوم العمل بذلك على مفارقة بصرية وفكرية؛ فمحاولة القمع لا تنجح في إسكات الصوت، على العكس تتحول « عبر فعل فني تخييلي « إلى وسيلة أخرى للتعبير. ينتمي هذا التصور إلى روح السريالية التي ازدهرت في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، والتي سعى روادها ومنهم «مان راي « إلى تحرير الصورة من منطقها الواقعي وتحويل الأشياء العادية إلى كيانات خيالية تحمل دلالات رمزية عميقة. ليتحول الجسد إلى مساحة للتحول البصري: اليد تتبدل من مجرد عضو جسدي، إلى أداة خطاب، وكأن الفنان يعلن أن القمع قد يولد أشكال جديدة من الكلام.

يعتمد العمل على رمز واضح: الفم كموضع الكلام والحرية، في مقابل اليد التي تمثل السلطة أو الرقابة التي تسعى إلى إسكاته. الا أن اختراق اليد وتحولها إلى فمٍ جديد يفتح قراءة تأويلية تتجاوز المواجهة المباشرة بين القمع والحرية.

فالعمل يوحي بأن الصوت الإنساني لا يمكن إلغاؤه؛ إذ يجد دائماً منفذ جديد للتعبير، حتى من داخل أدوات القمع نفسها.

يتجاوز العمل تصوير الصراع بين السلطة والفرد، الى كشف عن قدرة الفكرة على تجاوز القيود. فكل محاولة لإغلاق الفم تولد إمكانية أخرى للكلام، وكأن الفنان يقترح أن التعبير الإنساني طاقة متجددة لا يمكن احتواؤها بالكامل.

يرتبط مضمون العمل بفكرة حرية التعبير كأحد أهم شروط الوجود الإنساني. فالحرية هنا حالة وجودية تسمح للفرد بتقييم ذاته وانتقاد محيطه وتحديد مواقفه. ومن هذا المنظور يستحضر العمل البعد الفلسفي المرتبط بمحاكمة سقراط، الذي واجه خيار الصمت أو النفي أو الموت، واختار الموت بدلاً من التخلي عن حقه في التفكير والنقاش. تبرز هذه الإشارة الفلسفية جوهر الرسالة التي يحملها العمل: أن الحياة التي تقمع فيها الأسئلة والأفكار تفقد معناها، وأن حرية التعبير تمثل شرط أساسي لكرامة الإنسان وقدرته على معرفة ذاته والعالم من حوله. يطرح العمل أيضاً دور الفن في المجتمع كوسيلة للكشف والنقد. فالفن، عبر لغته الرمزية، قادر على طرح القضايا الاجتماعية والسياسية بطريقة تتجاوز الخطاب المباشر.

وغالباً ما يتحدى الفنانون الأعراف السائدة بأعمالهم، الأمر الذي قد يثير الجدل أو الرفض، لكنه في الوقت ذاته يفتح المجال للنقاش وإعادة التفكير في القيم السائدة. ليصبح العمل الفني أداة للمساءلة، تسهم في تشكيل الوعي العام وتحفيز التغيير الاجتماعي.

فالتعبير الفني الحر يتيح الكشف عن المشكلات الاجتماعية ومنح صوت للفئات المهمشة، كما يعزز مناخ الحرية الفردية داخل المجتمع.

من الناحية التشكيلية، يعتمد العمل على صورة مركزة ذات قوة رمزية عالية. فالتكوين يختزل الصراع كله في عنصرين أساسيين: اليد والفم. هذا الاختزال يعزز قوة الرسالة ويمنح الصورة طابع أيقوني يسهل استدعاؤه في الذاكرة البصرية للمشاهد. كما أن التحول السيريالي – من يد إلى فم – يمنح العمل طابع صادم ومفارق، وهو أسلوب شائع في الفن السيريالي الذي يعتمد على التحولات غير المتوقعة لكشف طبقات أعمق من المعنى.

الخلاصة

يمكن النظر إلى لوحة «أتكلم» كبيان بصري عن استحالة إسكات الصوت الإنساني. فمن خلال لغة سيريالية تعتمد على المفارقة والتحول، يقدم العمل رؤية فنية تؤكد أن حرية التعبير تمثل طاقة كامنة في الإنسان لا يمكن محوها. ليتحول القمع في العمل إلى مفارقة دلالية: فكل محاولة لإغلاق الفم تولد فماً جديداً، وكل محاولة لإسكات الصوت تخلق شكلاً آخر من أشكال الكلام.

وفي هذا التحول تكمن القوة الرمزية للعمل، حيث يصبح الفن نفسه صوتاً بديلاً حين يحاصر الكلام.



من فعاليات معرض «أسمع وأرى وأتكلم»، الذي أُقيم بالقاعة المستديرة في نقابة الفنانين التشكيليين بأرض الأوبرا، ويظهر في الصورة الأستاذ/ حمدين صباحي، مؤسس حزب الكرامة، إلى جانب الأستاذ / الدكتور حمدي أبو المعاطي، نقيب التشكيليين آنذاك، وعدد من الأصدقاء والسياسيين الممثلين لحزب الحرية والعدالة، في مشهد يعكس تفاعل الأطياف السياسية المختلفة مع الفنون البصرية ومبادراتها المجتمعية.



من معرض «أسمع وأرى وأتكلم»، الذي أُقيم في قاعتي أدهم وسيف وانلي بمركز الحرية للإبداع في الإسكندرية، وتظهر الصور حضور عدد من الشباب ممثلين عن حزب الدستور، في إطار رغبة بعض الأحزاب السياسية آنذاك في تمثيل أعضائها والمشاركة في الفعاليات الثقافية والفنية.



الجنة تحت أقدام الأمهات

هكذا عبرت عن الامومة فى عملى الفنى
إهداء إلى كل أم فى عيدها...............

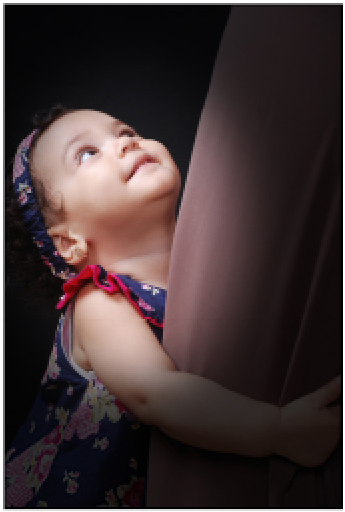
يعكس العمل رؤية مختلفة لمفهوم الأمومة مقارنة بالتصوير التقليدي لها في تاريخ الفن. فغالباً ما ركز الفنانون على تمثيل الأمومة من زاوية الإشباع الجسدي، حيث تظهر الأم في لحظات الرضاعة أو الاحتضان بالقرب من الصدر، رمز للغذاء والحياة البيولوجية. غير أن هذا العمل يقدم معالجة مغايرة؛ إذ تبدو الطفلة غير معنية بمصدر الغذاء، انها تتجه نحو البحث عن الأمان المعنوي الذي ينبع من حضور الأم.

يعكس هذا التحول مقاربة أعمق لمفهوم الأمومة، تنتقل من التركيز على بعدها البيولوجي كمنبع للحياة، إلى إبراز بعدها الروحي والوجداني كمصدر للطمأنينة والحماية النفسية. فالأم هنا لا تختزل في وظيفة جسدية، انما تقدم كفضاء عاطفي يمنح الطفل شعور الاستقرار والانتماء.

ومن اللافت في التكوين اختيار الساق كالعنصر المركزي في الصورة، وهو اختيار يحمل دلالة رمزية تتقاطع مع البعد الثقافي والديني، في إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: «الجنة تحت أقدام الأمهات». في هذا السياق، لا تحتاج الطفلة إلى رؤية الأم كاملة كي تشعر بالأمان؛ فمجرد الاقتراب من موضع قدمها يكفي ليمنحها الإحساس بالحماية والطمأنينة.

وكما أن الجنة قد تكون غير مرئية لكنها موعودة، فإن حضور الأم يعمل بالطريقة ذاتها: حضور قد لا يرى كاملاً، لكنه محسوس في أثره العميق.





هنا لا تقدم الجنة كمكافأة مؤجلة في المستقبل، انما كإحساس حاضر يتحقق في لحظة القرب والاحتضان. فاحتضان الطفلة للساق يعبر عن رغبتها في القرب الجسدي، كما يوحي أيضاً بتطلعها إلى ذلك الشعور العميق بالرضا والسكينة الذي يرتبط رمزياً بالأم.

في هذا التصور تتجاوز الأم حدود الحضور الفيزيائي لتصبح فكرة وشعور ممتد. فقد تكون غائبة عن المشهد بصرياً، لكنها تظل حاضرة في الذاكرة والوجدان؛ في رائحة مألوفة، أو لمسة عابرة، أو أثر يتركه وجودها في حياة أبنائها. إن حضورها يتجلى في تفاصيل صغيرة لكنها كافية لأن تمنح الطفل شعور بأن العالم ما يزال آمناً.

وبذلك تتحول الأم إلى حالة شعورية ممتدة في الذاكرة والروح؛ قد تتراجع إلى الخلفية أو تبقى خارج مركز المشهد، لكنها تظل القوة الخفية التي تشكل الفصول الأكثر دفئاً في حياة أبنائها، دون أن تسعى إلى الظهور في موقع البطولة.

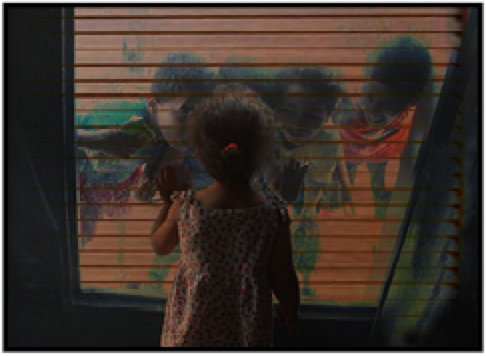
وفي نهاية المطاف يطرح العمل سؤال تأملي عميق: هل الأم هي من تمنح الإنسان الحياة فحسب، أم أنها أيضاً من تمنحه معنى الحياة؟

ربما تكمن الإجابة في إيماءة الطفلة نفسها؛ حين اختارت الساق بدلاً من الصدر، واحتضنت الأمان والرضا قبل أن تبحث عن الغذاء.

النافذة

فن فوتوغرافي مفاهيمي - رمزي .

تصوير فوتوغرافي معدل رقميا (فوتوشوب) ومطبوع على بتر. شاركت في صالون النيل التاسع للتصوير الضوئي – متحف محمود مختار القاهرة 2017



يصور العمل طفلة تقف داخل غرفة مظلمة، تنظر عبر نافذة تفصلها عن عالم مضيء في الخارج، حيث يظهر عدد من الأطفال يضحكون ويتفاعلون معاً، وأيديهم ممدودة نحو الزجاج. ورغم هذا القرب البصري، يبقى الزجاج حاجزٌ صامت يفصل بين عالمين متباينين: عالم داخلي ساكن ومغلق، وعالم خارجي مليء بالحياة والحركة.

تتحول النافذة في هذا العمل إلى مساحة تأمل في مفهوم العزلة والحرمان من المشاركة، سواء كانت عزلة اجتماعية أو نفسية أو نتيجة لظروف قاهرة.

فالطفلة تمثل الفرد الذي يجد نفسه مهمش أو مبعد عن التجربة الجماعية، بينما يجسد الأطفال في الجهة الأخرى رموز الحياة والحرية والطفولة المشتركة؛ ذلك الفرح الذي يبدو قريباً في المسافة لكنه بعيد المنال.

يلعب الحاجز الزجاجي دور محوري في التكوين؛ فهو لا يمنع الرؤية، لكنه يمنع التواصل. ومن خلال هذه المفارقة يتحول الزجاج إلى رمز للفوارق غير المرئية التي قد تفصل بين البشر: فوارق في الفرص أو الظروف، وربما في الطبقات الاجتماعية أو حتى في الصحة والحرية. ورغم خلو المشهد من الحركة أو الصوت، فإن الصمت الذي يملأه يحمل شحنة عاطفية عميقة، تكاد تبدو كصرخة مكتومة تعكس تجربة الإقصاء أو العزلة.

ومن خلال هذا التباين بين الداخل والخارج، وبين الظل والضوء، يقدم العمل قراءة إنسانية مؤثرة لمشاعر الاغتراب، ويطرح دعوة للتأمل في تلك الحواجز الصامتة التي قد تفصل بين الناس رغم قرب المسافات.

ع الرمـــلة

ضحكة طفل في حضن البحر

المرئي واللا مرئي
في لوحات الفنان إبراهيم شلبي

د/ شاكر عبد الحميد
وزير الثقافة الاسبق

لا يقدم لنا إبراهيم شلبي في هذا المعرض الجسد الإنساني في حركاته وانطلاقاته وحريته وفرحه بالحياة فقط، بل يقدم لنا أيضا ذلك اللامرئي الموجود خلف هذا المرئي، وذلك الخفي الموجود خلف هذا الجلي أو المشاهد، إن بحر إبراهيم شلبي هو بحر نعرفه، لكنه أيضا يبدو لنا وكأنه بحر نراه لأول مرة، إنه بحر يشع ضوءاً، وشفافية ورقة ورهافة، وحرية، وتجدداً وانطلاقاً، وحركية، ورحابة، وحيوية لونية، وقد انعكس ذلك كله على أعماق الشخصيات التي توجد داخل هذا العالم، فسارت مثله، فوق سطحه، أو بجوار شاطئه، وهكذا امتدت الأيدي في الحيز المكاني المحيط بالجسد وهكذا تمددت السيقان أيضا وطالت ونعمت بحرية لا تجدها أبدأ بعيداً عن ذلك البحر الجميل.

كان سيزان يقول: «إن الطبيعة في الداخل» والطبيعة هنا، لدي إبراهيم شلبي، موجودة في الداخل، أي مفردات الطبيعة نفسها، وموجودة في داخل الشخصيات الموجودة في هذه الطبيعة ذاتها، وموجودة أيضا في داخلنا، نحن الذين نشاهد هذه الأعمال الجميلة ونعجب بها ونتوحد معها.
هكذا تجلت في لوحات إبراهيم شلبي قوة الإدراك الحسي ومهارة الذكاء الانفعالي، وهكذا ظهرت لديه أيضا تلك الوحدة المزدوجة القوية التي تجمع، في آن واحد، بين النفس والجسد، بين الطاقات الروحية والغرائز الطبيعية، بين حياة الطبيعة وطبيعة الحياة، بين الأنا المتجسد والعالم الواسع الأزلي الخالد الكبير. وهكذا تحققت لديه أيضاً كل المبادلات أو التفاعلات التي أشار إليها الفيلسوف الفرنسي ميرلو بونتي، في بعض كتاباته، بين الحضور والغياب، بين المرئي واللامرئي، بين الوجود واللاوجود.
مائة وأربعون لوحة حاولت أن تحتوي عالم البحر فاحتواها، هكذا انسكبت أمواجه وعوالمه و طاقاته الخفية والجلية بداخلها، إنه البحر رمز الحياة والموت،

د/ شاكر عبد الحميد
القاهرة 2019

جزء من دراسة مطولة بقلم دكتور : شاكر عبد الحميد عن أعمال ع الرملة التي نشرت بجريدة اليوم السابع الورقية والعديد من المواقع الاليكترونية

17 شغف جديد
.... بين الرمل والموج

منذ أن بدأت مشروع الاستوديو في 2004 وانقلب عالمي الفني رأسا على عقب، وتحول شغفي كله نحو التصوير الفوتوغرافي.
في حين إنه ظل لفترة كتغيير في الأدوات،الا إنه تدريجياً أصبح تحولا كاملا في نمط الحياة، حيث أصبحت الكاميرا رفيقتي الدائمة، والعين التي أرى بها العالم.
خلال عشر سنوات، إنشغلت بالكامل في التصوير، طافت عدستي على تفاصيل الحياة، إلتقطت مئات اللحظات، شاركت في العديد من معارض التصويرالفوتوغرافي الدولية والمحلية

في المقابل، كان هناك شيء آخر يتلاشى دون أن أشعر، شيء لطالما كان جزءا لا يتجزأ من هويتي، الرسم.
لم أنتبه في البداية، لكن مع الوقت بدأت أشعر بالفراغ، بالخواء، وكأن روحي فقدت جزءا منها.
كانت الأفكار تجف، ويدي التي إعتادت أن تمسك الفرشاة وتداعب الألوان، تيبست. كان الأمر مرعبا.

كيف لي أن أنسى لمس الفرشاة؟ كيف لم أنتبه إلى أنني لم أعد أعيش في عالمي الأول؟ .
مرت السنوات في الاستوديو، بين المعارض والندوات واللقاءات، وكانت كل لحظة تضيف إلى رصيدي في عالم التصوير، لكنها في الوقت نفسه كانت تسرق مني عالمي الأول.
وجدت نفسي في عام 2014 أمام حقيقة لا يمكن إنكارها، خمس سنوات كاملة منذ بدأت مشروع
«أسمع وأرى وأتكلم» في عام 2009،لم أضع فيها فرشاة على لوحة، لم أترك يدي تنساب مع الألوان، وكأن شيئا بداخلي قد مات.
لم يكن هذا بسبب الكاميرا وحدها، كان إيضا بسبب الإرهاق الذهني والجسدي الذي سببته كثرة الندوات، والمعارض، والسفر، والالتزامات.
شعرت أنني بحاجة إلى راحة، إلى هدنة مع نفسي، إلى إستعادة ما فقدته.
بدأت فكرة التوقف عن التصوير تراودني، لكن القرار لم يكن سهلاً. كنت متردد، فالتخلي عن شيء إعتدت عليه ليس بالأمر الهين ، كنت بين نارين، الاستمرار فيما أصبحت متميزا فيه، أو العودة إلى عالمي القديم الذي كنت أخشى ألا أتمكن من إستعادته بنفس الشغف. لكن في النهاية، جاء القرار.
في 2014، أغلقت الاستوديو، سلمت المقر لصاحبه، وعدت إلى مرسمي، إلى مكاني الأول.

لم يمض سوى أسبوعين حتى جاءتني دعوة لم أتوقعها، دعوة من مؤسسة « فرح للثقافة والفنون» لحضور «سمبوزيوم البرلس الدولي الأول للرسم على الحوائط »، والذي كان يقوده الفنان الدكتور/ عبد الوهاب عبد المحسن.

لم أكن بحاجة إلى التفكير، لم أتردد لحظة واحدة، وكأن القدر كان يدفعني إلى حيث يجب أن أكون. كنت بحاجة إلى هذه التجربة، إلى هذه الرحلة، إلى هذه الصحوة، إلى أن أتنفس الألوان من جديد.
استمر السمبوزيوم لمدة أسبوعين، وكانت تجربة فريدة من نوعها، وجدت نفسي فيها من جديد. كنت أشعر وكأنني أعيش ميلاد جديد لفني، عشت كل لحظة بين الألوان والجدران، وكأن روحي إستيقظت من سبات طويل.
فقد كان الامر إنغماس كامل في عالم الألوان، في التعبير، في العودة إلى الذات.
سجلت يومياتي عن التجربة في كتيب مطبوع بعنوان «رسمة وحدوتة»، ليكون شاهدا على هذه العودة أو البداية.

عدت إلى مرسمي بعد إنتهاء السمبوزيوم مفعم بالحماس، بروح جديدة، بطاقة لم أشعر بها منذ سنوات.
لكني هذه المرة لم أكن أواجه مشكلتي المزمنة في الحصول على علبة الألوان أو الأدوات، لقد كانت المشكلة أعمق، ماذا أرسم؟ كيف أبدأ؟ كانت كل الأفكار التي تخطر على بالي مكررة، مستهلكة، بلا روح.

بقيت لعامين في حالة من الضياع، أرسم لكن دون إحساس، أبحث عن مشروع، عن فكرة، عن طريق.
ولاول مرة أكتسفت أن هناك من هو أهم من علبة الالوان ، لاول مرة أكتشف أن الالوان وحدها لاتستطيع أن تنتج فناً، الالوان بدون الأفكار كالعدم.
لم يكن لدى الوان و إنتجت عشرات اللوحات وأقمت عشرات المعارض الفردية والجماعية، فى الداخل والخارج، وهكذا، بدأت أعي أن اللون وحده لا يصنع فن ، وأن الفن تصنعه الفكرة حين تتحول إلى رؤية، إلى إحساس صادق.
ذات يوم، نظرت إلى الفرشاة بيد خالية من الألوان، فإكتشفت أنني أملك ما هو أثمن: القدرة على الحكي، على تحويل الحياة إلى لوحة.
ومن بين هذا الوعي الجديد، كانت الحياة تمضي. حتى جاء فبراير 2016، بينما كنت أقلب في يوميات «الفيسبوك»، عثرت على إعلان عن فتح باب التقديم لمنح التفرغ والإبداع.
بدا الأمر أشبه بنداء قديم يعود فجأة.
فرصة تمنح الوقت شكل، وتمنح الأفكار منبر. قررت أن أخوضها، وكان عليّ أن أستخرج من داخلي مشروع فني يعبر عني لتقديمه لادارة المنح .
فى لحظة تأمل، لحظة إستدعاء، نهضت الفكرة التي عاشت في أعماقي طويلا، تطل برأسها من بين تراكمات التجربة والذاكرة. لم تكن فكرة جديدة، كانت حياة ظلت تنمو في صمت، تنتظر أن أمهلها وقتا، أن أفتح لها الباب.
كان المشروع الذي تقدمت به يحمل عنوان بسيط في شكله، عميقًا في مضمونه:

إنها فرحة الأطفال على الشاطئ في الصيف، لحظات الفرح الطفولي التي تنبض بالحياة، حيث اللعب والحرية والإنطلاق تحت الشمس الحارقة التي تصب وهجها على الأجساد النحيلة، وحيث الرمال الساخنة تحتضن الخطوات الصغيرة كأم تشتاق لحضن أطفالها.

كنت أراهم، أسمع ضحكاتهم تتراقص مع هدير الموج، أشاهد أجسادهم العارية تتحدى الأمواج، تتلاطم معها في عنفوان وشغف وكأنهم في معركة أزلية بين الإنسان والطبيعة، معركة لا تعرف الخسارة، تنتهي دوما بضحكة مجنونة وصيحة إنتصار طفلية.

مازلت أتذكر رائحة اليود المنبعث من الماء المتلاطم بالاجساد والصخور ورمال البحر .

كنت أتابع هذه المشاهد في بحر « بلطيم » بكفر الشيخ، في « جمصة» بدمياط، في « أبي قير» بالإسكندرية، في تلك المصايف الشعبية التي رغم بساطتها، تتسع لأحلام الفقراء، وتمنح الأرواح المكدودة فرصة للتحليق.

هناك، على تلك الشواطئ، حيث البحر لا يفرق بين غني وفقير، كنت أرى السعادة في أصفى صورها، أراها تتفجر من أعين الأطفال، تتراقص في حركاتهم البهلوانية فوق خشبة المسرح الطبيعي، حيث الرمال تمتد كخشبة مسرح ذهبية، والبحر خلفهم ستارة زرقاء متحركة، والمشهد كله ينبض بالحياة.

كان نداء داخليا، كان حنينا عميقا إلى الفن، إلى أن أترجم هذه المشاعر، هذه اللحظات الخالدة، إلى ألوان وخطوط

وفرشاة ترقص فوق القماش لترسم الحقيقة، حقيقة الفرح المنبعث من قلب البساطة، والجمال الكامن في لحظة حرية خالصة.
أطلقت على المشروع إسم «ع الرملة»، أرفقت طلبي بثلاث لوحات، وبيان لمشروع التفرغ وقدمت الجميع لادارة التفرغ .

«منحة التفرغ »،هو مشروع تقيمه وزارة الثقافة للفنانين والادباء ، يقديم الفنان طلب في أول مارس من كل عام ومن يقبل يتم تخصيص مرتب شهري له لمدة أربع سنوات يجدد الطلب سنويا بناء على إنتاجهم الفني.
ويتم تجديد الطلب في مارس من العام التالي ، ويقدم الفنان بثلاث لوحات من إنتاجه خلال العام ، تعرض في معرض جماعي للفنانين المتفرغين ، يتم من خلاله ، القبول بمد المنحة لعام جديد او الرفض ويحق للفنان المرفوض التقديم مرة اخري في العام التالي ، حتي يستكمل مدته)
لم تكمن أهمية المنحة فى الدعم المالي فقط ، ولكن أيضا في أنها تعتبر جائزة تمنحها الدوله للفنانين المتميزين وكذلك هي إعتراف للفنان حيث إنه يتم تقييم أعماله من لجنه فنانين أكاديميين متخصصين في مجالهم .
فهي جائزة مادية وأدبية في وقت واحد ، لذلك نجد عليها تكالب كبير من كل الفنانين حتي المتيسرين ماديا ، ليس بغرض المال ولكن بغرض الاجازة الفنية والاعتراف الرسمي من وزارة الثقافة.

ظهـرت النتيجـة بقبولـي فـي منـح التفـرغ عـن شـعبة التصويـر الزيتـي فـي عـام (2016 - 2017) .
فـي ذلـك الوقـت ، لـم أكـن قـد خرجـت مـن دوامـة التيـه بعـد. كانـت يـدي مـا تـزال ثقيلـة علـى الفرشـاة، والأيـام تمـر دون إنجـاز يذكـر. بالـكاد أكملـت اللوحـات الثـلاث المطلوبـة، بشـكل لـم يرضينـي.
ثـم تقدمـت بطلـب التجديـد. طالبـا الإسـتمرار فـي إسـتكمال مشـروع «ع الرملـة»، فقـد كنـت أشـعر ان لـدى المزيـد لاقدمـه فـي هـذا الموضـوع. وكأننـي كنـت أراهـن علـى فرصـة أخـرى، علـى مزيـد مـن الوقـت لإيجـاد نفسـي.
جـاءت المفاجـأة السـعيدة، بالموافقـة علـى التجديـد لعـام آخـر (2017 - 2018)، وإمتـد الإعتـراف إلـى إقتنـاء أحـد أعمالـي، ورفـع إسـمي إلـى الفئـة الأعلـى "ب"، ممـا يعنـي زيـادة قيمـة المرتـب الشـهري.

غمرتنـي السـعادة، لتجديـد المنحـة و لزيـادة قيمتهـا، ولشـعوري بإقتنـاص فرصـة جديـدة منحـت لـي، لاسـتعادة مـا فـات، لتعويـض كل لحظـة ضائعـة، لصياغـة ذاتـي مـن جديـد.
كان الأمـر أشـبه ببـث الـروح فـي مقاتـل أنهكتـه الحـروب. عاودنـي الحمـاس الـذي كاد أن يخبـو، فجهـزت الألـوان، شـدت التـوال علـى الاطـارات، وبـدأت أرسـم فـي مشـروعي بعـد أن تبلـورت أفـكارة لـدي ، وعرفـت مـا أريـد وكيـف أقدمـه فـي ثـوب جديـد يحمـل بصمتـي الجديـدة
كنت أرسم بجنون، بإصرار، بشغف يشتعل تحت جلدي.
كان الأمـر أشـبه بانتفاضـة ضـد الركـود، حربـا شرسـة ضـد الزمـن الـذي تسـلل منـي دون أن أشـعر. كانـت يـداي تتحـركان كمـن يكتـب ملحمتـه الأخيـرة، كان نـداء داخلـي، صرخـة تحـرر.

وفي هذا العام، كنت على موعد مع معجزتي الخاصة.
لم يكن إنجاز عادي، كان إنجاز إستثنائي لم يتحقق منذ تأسيس المنحة عام 1956 وحتى الان . رسمت 300 سكتش و140 لوحة زيتية وأكريليك، كانت كل لوحة منها شاهدة على ولادة جديدة، على عودة مظفرة من التيه إلى طريق واضح المعالم.

عرضت أعمالي على النقاد، أولئك الذين يملكون عيونا تبصر عمق الفن، وعقول تقرأه كما تقرأ الصور كنصوص مقدسة.
كانت ردودهم أشبه بموسيقى إنتظرتها طويلا. كانت ردودهم دراسات عن الأعمال , جاءت الدراسات النقدية من مصر ، والعراق، وإسبانيا، والمغرب، تحمل في طياتها قراءات عميقة، تفكك اللون، تحلل الخطوط، وتسبر أغوار الرؤى، شعرت حينها أن أعمالي أصبحت فكرة، أصبحت رؤية تستحق التأمل.
عزمت على أن أشارك الجمهور هذا الإنجاز، فلا قيمة لفن لا يعرض، ولا روح للوحة تبقى حبيسة الجدران.
تقدمت بطلب إلى صندوق التنمية الثقافية لإقامة معرضين، (موضحا أن لدى 140 لوحة وأن قاعة واحدة لم تستوعب ذلك العدد ، ملتمساً أن تكون قاعة بالقاهرة والاخرى بالأسكندرية) فجاءت الموافقة سريعا، كأن الأمور كلها تتكاتف لدفعي إلى الأمام. كان المعرض الأول في القاهرة، في شهر فبراير 2019، بقاعة الهناجر بدار الأوبرا، تحت عنوان "ع الرملة"،
وكان المعرض الثاني في الإسكندرية، في مارس 2019، بمركز الحرية للإبداع، تحت عنوان "شط الإسكندرية"
ليكتمل بذلك المشهد الذي لطالما حلمت به، أن تتنفس لوحاتي في فضاء مفتوح، أن تصل إلى من خلقت لأجلهم.

بين الرمل والموج
... . يتنفس البحر فن

كما كانت لوحاتي في معرضي ''ع الرملة'' بالقاهرة و''شط الإسكندرية'' بالاسكندرية تعبر عن مشاهد صيفية و لقطات نوستالجية عن المصايف الشعبية، كانت أيضا تسجيل عاطفي بصري لحكاية إنسانية خالصة، خرجت من ضجيج المدينة لتستقر على شاطئ الذاكرة.

في معرض ''ع الرملة''، بدت اللوحات تعبيرات فطرية عن سعادة مؤقتة تعيشها الأجساد الصغيرة فوق الرمال، أجساد ما زالت تحمل حرية الطفولة، وتتمرغ بشغف في حضن الطبيعة. كانت الرمال أم دافئة تحتضن الخطى، وتهمس للحالمين بأن الأرض يمكن أن تكون لعبا وفرحا، متى ما غاب القيد، ومتى ما إنفجر الضحك من قلب الشمس.

ثم جاء معرض ''شط الإسكندرية''، يمثل الجزء الثاني من سيمفونية البحر. هناك، حيث يلتقي الأفق بالعين، والماء بالحنين، أصبحت اللوحات مساحات من الضوء، تموج بالأزرق الحي، وتنبض بصرخات مكتومة، وصدى قديم لفرح لم يخذل أحد. في تلك الأعمال، تجلى البحر ككائن يتنفس، يهمس، يعلو ويخبو، يحتضن ويحتج.
البحر هنا كان بطلا مشاركا، شريك صامت في لحظة انفلات الإنسان من قيود يومه.

لـم أكـن أسـرد واقـع، كنـت أصطـاده مـن بيـن تفاصيلـه الغامضـة، اعيـد تركيبـه بلغـة فيهـا مـن الرمـز أكثـر ممـا فيهـا مـن التصريـح، وفيهـا مـن الحنيـن مـا يجعـل كل مشـاهد يشـعر أن هـذه الأجسـاد التـي تقفـز فـي المـوج، أو تلهـو علـى الرمـال، هـي إمتـداد لطفولتـه هـو، لصوتـه الغائـب، لحريتـه المؤجلـة.
لوحاتـي قدمـت الجسـد، و كشـفت عـن الـروح القاطنـة خلفـه، واستحضـرت فـي تكويناتهـا المتحركـة تلـك العلاقـة الوجدانية العميقـة بيـن الإنسـان والمكان.
لوحـات تلمـح، لا تشـرح، تهمـس، لا تصـرخ، فـي تدرجـات لونيـة دقيقـة، وتكوينـات تتأرجـح بيـن الظهـور والغيـاب، بيـن الوضـوح والرؤيـة الداخليـة.
هـذا البحـر الـذي نعرفـه جميعـا، يبـدو مختلفـا حيـن تـراه مـن نافذتـي: أكثـر عمقـا، أكثـر دفئـا، وأكثـر إنسـانية.

ومـع أكثـر مـن مئـة وأربعيـن عمـل، كان المشـروع البصـري بمثابـة إعـادة إكتشـاف لعالـم تظنـه مألـوف، لتكتشـف أنـه، مـع فرشـاتي، عالـم جديـد تمامـا... بحـر لـم تـره بهـذه الطريقـة مـن قبـل. بحـر يبلـل الجسـد، و يغمـر الـروح أيضـا.

جمعـت الدراسـات النقديـة، وصـور الأعمـال، والموافقـات الرسـمية لاقامـة المعـارض فـى ملـف ، وتقدمـت بـه الـي وزارة الثقافـة ، إدارة المنـح والتفـرغ ، لإخبارهـم بهـذا الإنجـاز ، طالبـا منهـم رعايـة المعرضيـن ،

وتقديم دعم عبارة عن طبع كتالوج للاعمال، والدراسات النقدية، لاثبات حقهم في الانجاز الذي يحسب للجنه إختيار الأعمال للتأكيد علي حسن إختياراتهم ،
فكان الرد: لايوجد ميزانية لطبع الكتالوج ولكننا سنوافق علي حضور الإفتتاحات إذا وجهت لنا دعوة
اقيمت المعارض بدون رعاية مادية أاو معنويه من إدرة المنح ، وكان النجاح الذي حققته أشبه بإنفجار ضوء في سماء الفن، إنتشار واسع، وصدى جماهيري وإعلامي كبير.
إفتتح وزير الثقافة، الدكتور/ شاكر عبد الحميد، معرض "ع الرملة"، وسط حضور مهيب، حيث توافد عشاق الفن ليشهدوا هذه التجربة البصرية الفريدة.

وأتى صديقى، الدكتور/ مانويل روميرو، الناقد الفني ومفوض المعارض بوزارة الخارجية الأسبانية، خصيصا من أسبانيا للمشاركة فى إفتتاح المعرض ، الذى لم يكتفى بالإشادة الشفوية، بتسجيل فيديو، اضاف اليه، دراسة نقدية مطولة بقلمه عن الأعمال، دراسة حملت بين سطورها رؤية ثاقبة وتحليلا عميقا، نشرت في بعض المواقع باللغتين العربية والإسبانية تم نشرها باللغتين العربية والاسبانية ، فيما بعد فى كتاب اعد خصيصا لنشر جميع الدراسات عن أعمالى الكتاب بعنوان " ماكتب عن ابراهيم شلبى ما بين عامى 2002 - 2022 " من اعداد الفنان والناقد / على فوزى صقر .
التلفزيون المصري لم يكن بعيد عن هذا الزخم، فوثقت كاميراته الحدث من خلال برنامج "إبحار" على قناة النيل

الثقافيـة، لتنتقـل ألـوان المعـرض وحكاياتـه مـن جـدران القاعـة إلــى بيـوت المشــاهدين عبـر الشاشـة الفضيــة.
أمـا الإسكندرية، التـى إحتضنـت معـرض "شط الإسكندرية" فـي مركـز الحريـة للإبداع، قـد جـاء الإفتتـاح فيهـا بمشـهد جماهيـري مهيـب، بحضورجماهيـرى كثيـف وبتمثـل جميـل مـن الفنانيـن التشـكيليين السـكندريين ومنهـم ، الفنـان/ ماهـر جرجـس والفنـان الدكتـور/ عـادل مصطفـى وقدم المعـرض بدراسـات نقديـة بقلـــم ا. د / محمد شاكر ، ا.د / وليد قانوش.
فـي المعـرض وقـف الحضـور مشـدوهين أمـام اللوحـات، يقـرأون تفاصيلهـا كمـا لـو كانـوا يقـرأون صفحـات مـن ذكرياتهـم الخاصـة. ولـم يفـوت التلفزيـون المصـري هـذا الحـدث أيضـا ، فخصصـت القنـاة الأولـى حلقـة مـن برنـامج "أتيليـه" لتغطيـه.

تناقلـت الجرائـد والمجـلات المختلفـة، والمواقـع الإلكترونيـة، أخبـار المعرضيـن، كأن الفـن قـد إنتـزع لنفسـه مسـاحة فـي صخب الأخبـار اليوميـة. وسـط هـذا النجـاح المـدوي، وبينما كانـت أصداء المعـارض لا تـزال تتـردد، ومازالـت جـدران مركـز الاسـكندرية للابـداع تحتضـن ،أعمـال معـرض " شـط اسـكندريـة "

تقدمـت بطلـب مرفـق بـكل هـذه الإنجـازات، بوثائـق تشـهد علـى صـدى الأعمـال، بصـور مـن الجرائـد والمجـلات، بملفـات شـاهدة علـى مـا تحقـق، الـى إدارة المنـح والتفـرغ لتجديـد المنحـة والحصـول علـى العـام الرابـع والاخيـرة منهـا .
كنـت أظـن أن هـذا النجـاح سيمنحني دفعـة للأمـام، فـإذا بـي أواجه صدمـة لـم تكـن تخطـر ببالي.

كنت أتهيأ لعبور العام الرابع بثقة من أن ما أنجزته سيتكفل بفتح الباب على مسرعيه. كنت أظن أن خطواتي السابقة قد مهدت الطريق، فإذا بالرد يأتيني كصفعة باردة: "طلبك مرفوض." لم يكن الرفض مبرر، ولا حتى مفهوم.
كأن لا شيء مما قدمت كان كافيا. لا المعارض، ولا المقالات، ولا الأعمال التي ملأت القاعات. كأن الإنجاز صار عبئ، وكأن النجاح، في أعين البعض، يثير الريبة لا الإحترام.
كان وقع الرفض مؤلم، لأنه ظلم مقنع، جاء على خلاف ما يكفله قانون التفرغ نفسه، الذي يقر بأربع سنوات كحق مستحق، وقد كنت لم أتجاوز الثالثة بعد.
لم أمنح فرصة لإستكمال الرحلة، إنتزعوها مني إنتزاعا، دون أن يرف لهم جفن، ودون حتى أن يقال: "شكرا لما قدمت".
وفي العام التالي، حين عدت لأطلب ما تبقى من حقي، جاء القبول هذه المرة، لكن بلون باهت، خال من التقدير، كما لو كان منحة مشروطة بالصمت، أو عطاء تحت بند العقاب.
وضعت في التصنيف الأدنى، فئة "أ"، تلك التي تمنح عادة لمن يبدأون الطريق، لا لمن تركوا أثرا يشهد له الفن والناس والنقاد والاعلام معا.
كان التصنيف أشبه برسالة مبطنة:"ابق هنا، لا ترتفع كثيرا، فارتفاعك يربكنا." كان حكما على طموحي، وعلى كل ما إجتهدت لأكونه.وهنا، في تلك اللحظة الثقيلة، إنكسر في داخلي شيء لا يرمم. تساءلت بحرقة:هل أخطأت حين صدقت أن الفن وحده يكفي؟ هل التفوق، في زمن الخمول، جريمة؟ هل المطلوب من الفنان أن يتقن الصمت، بدل الإبداع؟
لقد شعرت، بكل ما في القلب من وجع، أن ما رفض كان حقي في أن أكون.

الوان الديكور

ألوان في مواجهة العاصفة:
من الاستوديو إلى النقابة

18 من الاستوديو إلى الواقع: .... رحلة في تشكيل الفضاء

لم تكن رحلتي مع الفن محصورة بين إطار ولوحة، ولم تكن فرشاتي يوما رهينة سطح مسطح.
كانت دائما أداة لاكتشاف أعمق، لطرح الأسئلة، لتشكيل العالم من حولي كما أراه وأشعر به.
من هذا الإيمان، انفتحت أمامي آفاق جديدة، تجاوزت جدران المعارض، ومضيت في مسار آخر لا يقل إبداعا: عالم الديكور.
كانت حياتي المهنية نسيجا متشابكا من التجارب الحياتية والفنية، بدأت من الورش، من بين النجارين والدهانين والسباكين، حيث يتكلم الخشب، وحيث للماء لغة، وللألوان أنفاس. لم أعيش حياتي كفنان يتأمل من بعيد، كنت واحدا منهم، أشاركهم العمل، أستمع إلى وقع المطرقة، وأفهم لغة التفاصيل الخفية.
تجولت في العالم، من العراق إلى السعودية فإسبانيا، حاملاً قلبي المفتوح وفني المتعطش للتجريب.
كما كانت هذه الرحلات سياحة، كانت ايضا دروس حية، ومتاحف ممتدة، ومدارس بصرية ملهمة.
وقفت في معارض الفن والديكور والأزياء والطباعة، أتأمل الأثاث كأداة وظيفية، و كقطعة سردية تحكي قصص المكان وساكنيه. تأملت الديكور كمساحة تعيد تشكيل النفس، والفن كحياة تنبض في الأشياء.

غصت في برامج التصميم كالأوتوكاد والثري دي ماكس والفوتوشوب، أبحث عن لغة بصرية جديدة، لغة تستطيع أن تترجم الفكرة إلى شكل، والرؤية إلى مجسم، والانفعال إلى ملمس.

تدريجياً، بات أصدقائي يطلبون رأيي في اختيار ألوان بيوتهم، في تنسيق أثاثهم، في إعادة ترتيب تفاصيل الحياة.

تطور الامر بشكل طبيعي بعيد عن التخطيط . حين بدأ الغرباء يطلبون خدماتي، صرت أضع التصاميم، وأتابع تنفيذها، وأشرف على العمال، أتنقل بين المواقع كما كنت أتنقل بين لوحاتي.

منذ عودتي من السعودية، ظل عملي في تصميم وتنفيذ الديكور يسير موازي لمسيرتي الفنية، متخللا كل مراحل تجربتي، من ورشة النجارة إلى الاستوديو، وحتى لحظات الإبداع داخل مرسمي. كان هذا المسار الثاني، بخطواته اليومية، لا يقل فنية عن المعرض، على العكس كان يغني عنه أحيانا.

خلال فترة انشغالي بالاستوديو ،اكتفيت بالمشاريع القريبة، حتى أوازن بين الالتزام الفني والعمل التنفيذي، لكن بعد إغلاق الاستوديو، انفتحت أمامي مساحة جديدة من الوقت والطاقة.

وجدت نفسي أتنقل بين المحافظات، من القاهرة إلى الإسكندرية، أتنقل بخبرتي ورؤيتي، أقابل العملاء، أتناقش مع الصنايعية، أزور ورش الرخام والخشب والمعادن، وأشرف على كل تفصيلة كما أشرف على تناغم الألوان في اللوحة.

ومـع كثـرة الطلبـات وتنـوع المشـاريع، أدركـت أن الوقـت قـد حـان لصياغـة هـذا الجهـد فـي كيـان واضـح المعالـم.
فــي عــام 2017، أسســت مكتــب «ألــوان الديكــور»، ليكــون مســاحة تجمــع بيــن الفــن والتطبيــق، بيــن الحلــم والواقــع، بيــن الجمــال والوظيفــة. كان روح، المكتــب، امتــدادا لاســتوديو ، لمرســم تحــول إلــى واقــع ملمــوس.
هكـذا بـدأت مرحلـة جديـدة، صـرت أرسـم جـدران المطاعـم، وألـون أسـقف العيـادات، وأصمـم واجهـات المـولات.
كل مشروع كان معرض بصري له جمهوره الخاص:
الزبائـن، المـارة، سـكان المـكان. كنـت أتنفس التفاصيـل، أضـع لمسـتي الخاصـة، أمنـح المـكان هويـة، وروح، وقصـة.
كان عملــي فــي التصميــم الداخلــي تعمقــا فــى الفــن، امتــدادا لــه . ففــي كل غرفــة نــوم صممتهــا، كنــت أبحــث عــن الهــدوء كمــا فــي لوحــة زيتيــة؛ وفــي كل مكتــب تجــاري، كنــت أخلــق توازنــا بصريـا يليـق بنبـض الحركـة. حتـى المسـاجد التـى صممتهـا، كان لهـا نصيبهـا مـن الروحانيـة اللونيـة، التـي اسـتلهمتها مـن الخـط العربــي ونوريــات الفــن الإســلامي.
وهكـذا، ولـد فصـل جديـد مـن مسـيرتي الفنيـة. فصـل لا تعلـق فيـه اللوحـات علـى الجـدران، فصـل تخلـق الجـدران ذاتهـا كأعمـال فنيـة قابلـة للعيـش.
كانـت الرحلـة مـن الاسـتوديو إلـى الواقـع، رحلـة فـي تشـكيل الفضــاء، وتحويــل الفــن مــن رؤيــة داخليــة إلــى تجربــة حيــة تعــاش كل يــوم.

لكن الحياة، كعادتها، لا تسير وفق خطوط مستقيمة، تحب أن تباغتنا بمنحنياتها المفاجئة، فتجعلنا نعيد النظر في كل شيء، حتى في الأرض الصلبة التي كنا نظنها ثابتة تحت أقدامنا.
كانت بدايات مكتب "ألوان الديكور" واعدة، مليئة بالحيوية، مشاريع تتوالى، وأفكار تتجسد من خيالي إلى واقع ملموس، من اسكتش صغير إلى فراغ حي تنبض فيه الأرواح.
كنت أنتقل من موقع إلى آخر، أرسم بالألوان تارة، وبالإضاءة تارة، وبالفراغ نفسه تارة ثالثة. كان المكتب امتدادا لصوتي الفني، وكأنه استوديو واسع يتحرك، ينبض، ويعيش.
لكن في لحظة ما، بدا وكأن الزمن قد انعطف عن سكته، وبدأ يلفظ إيقاع آخر لا يشبه ما اعتدته. جاءت الأزمة الاقتصادية كريح شديدة، بعثرت كل الأوراق.
اضطربت الأسواق، وبدأت الأخبار تتناقل قرارات الدولة بوقف تراخيص البناء. توقف كل شيء: الأبراج، التشطيبات، الدهانات، حتى المسامير كأنها توقفت عن الطرق.
تحول الانتظار إلى جمود، والجمود إلى عبء، خاصة أن القرار لم يكن عارض، فقد امتد من ستة أشهر إلى سنوات، متبوعا بصرامة القانون: المخالفة تعني الهدم، وربما السجن.
وفي ظل هذا التوقف، جاءت الضربة الثانية: فيروس كورونا، ضيف ثقيل لا يحمل دعوة، فرض على الجميع عزلة قسرية. اغلقت المحال، وتقلصت ساعات العمل، خفتت الحركة، وتراجعت الطلبات. كان الشارع صامتا، كأن المدينة كلها قررت أن تتنفس ببطء.

ثم جاءت الضربة الثالثة كقطرة أخيرة في كأس ممتلئ، انقطاع التيار الكهربائي في جدول يومي مرهق، يدور بين الأحياء، يسرق من الوقت ساعاته، ومن الأعصاب هدوءها، ومن الإنتاج تدفقه.
كل هذه العوامل مجتمعة، كأنها أصابع خفية تعبث بالبناء الذي شيدته بصبر، وتحاصر أحلامي في الزوايا. راقبت كل شيء يتآكل من الأطراف، ثم يتسلل التآكل إلى القلب
. شعرت أن المكان الذي طالما احتواني، صار فجأة عبئا ماليا ونفسيا، كأن الجدران بدأت تضيق عليّ، والمكتب الذي كان مسرحا للإنجاز، بات صامت كصالة عرض مغلقة.

وفي عام 2022، بعد خمس سنوات من تأسيسه، وقفت أمام باب "ألوان الديكور" للمرة الأخيرة.
أغلقته، و ودعت فيه خمس سنوات من حياتي. سلمت المفتاح الى صاحب العقار ، ومضيت بشعور الفنان الذي يعرف أن الفضاء يتغير، لكن الفكرة لا تموت، وأن لكل نهاية صمت، يعقبه دوماً فصل جديد ينتظر أن يكتب.
أغلقت أبواب المحل، لكنني ما زلت أمارس المهنة من البيت، أحمل معي خبرتي ورؤيتي، وأواصل تقديم الاستشارات والتصميمات، وكأن المكتب انتقل بداخلي.
وما زالت هذه الرحلة مستمرة، بخطى ثابتة، وإيمان عميق بأن الجمال ليس حكرا على المعارض، فمن حقه أن يسكن البيوت، يشع من الزوايا، ويتسلل إلى الحياة اليومية، كحالة من الفن المستمر.

عدت إلى المنزل، كمكان للسكن، وكمساحة عمل جديدة، كملاذ أجبرتني الظروف على إعتناقه.
في البداية شعرت وكأن جدرانه تضيق عليّ، لكنها ما لبثت أن تحولت إلى نافذة أطل منها على واقع مختلف. كنت أقضي ساعات طويلة فيه، مدفوعا بإحساس غريب يتأرجح بين العزلة وإعادة الاكتشاف، وكأنني أعاين العالم من نقطة أكثر قربا إلى ذاتي. تحولت غرفة صغيرة إلى ورشة مصغرة، تحوي أدواتي، عيناتي، ولوحاتي المعلقة على الجدران. كانت طاولة الطعام تتحول كل صباح إلى مكتب تصميم، تزدحم عليه الأوراق، شاشات الحاسوب، وأكواب القهوة التي لا تنفد.
من بين جدران البيت بدأت أصمم، أرسم، أتواصل مع عملاء في مدن لا أزورها، وأشرف على تنفيذ مشاريع عبر الهاتف، والمكالمات المصورة، والرسائل الإلكترونية. بدأت أتعلم كيف أخلق الفضاء من خلال دقة الرؤية ووضوح الفكرة.
ومع مرور الوقت، بدا وكأن العالم من حولي يعيد ترتيب نفسه على إيقاع رقمي جديد. أصبح العمل "أونلاين" واقع لا يمكن تجاهله، وانفتح أمامي باب لم أكن أعيره اهتمام كبيرمن قبل.
صرت أصمم عن بعد، أرسل المخططات، أتابع التنفيذ من خلال الصور ومقاطع الفيديو، صرت انظم المعارض الرقمية، وأعرض أعمال الفنانين عبر المنصات البصرية.
أدركت أن التغيير ولادة جديدة على أنقاض ما نظنه ثابتا، وأن التخلي عن المكتب كان بداية لصياغة مرحلة مختلفة، أكثر عمق، وأشد ارتباط بتحولات العصر.
في كل أزمة، خيط رفيع من الفرص، يكشفه فقط من يمتلك الصبر ليرى النور وسط العتمة.

روح التحدي
.... الطريق إلى النقابة

في يناير من عام 2020، انفتح أمامي باب لم أكن أتوقع أن أعبره ذات يوم. أعلنت النقابة العامة للفنانين التشكيليين عن فتح باب الترشح لعضوية مجلس إدارتها.

كنت أتابع الخبر بعين المتفرج، لكن سرعان ما بدأ سؤال قديم يلح عليّ، سؤال لم يكن عن السلطة أو المكانة، كان عن الانتماء: هل سيقبل الفنانون بي بينهم؟

لطالما شهد الوسط الفني انقساما صامتا أحيانا، صاخبا أحيانا، بين خريجي كلية الفنون الجميلة وخريجي كليات التربية الفنية. كانت المعارك خفية تارة، وعلنية تارة أخرى، تخاض على أساس المسمى الأكاديمي لا الإبداع.

كان هناك من يرى أن كليات الفنون الجميلة وحدها تملك مفاتيح الشرعية، وأن خريجيها وحدهم الأحق بالريادة، مستندين إلى عتبة القبول المرتفعة في الثانوية العامة، وكأن الدرجات تحسم الموهبة.

وفي قلب هذا المشهد المتوتر، لم أكن من هذا الفريق ولا ذاك، بل كنت قادما من مكان أبعد، خريج كلية التجارة، أحمل حقيبتي المليئة بالتجارب الحياتية، ومشروعي الفني الممتد عبر الورش، المعارض، الاستوديو، ومكتب الديكور.

كنت قد قطعت شوطا طويلا، صنعت لي إسما لم أستمده من شهادة ، من عمل دؤوب، ومن أثر تركته لوحاتي وأعمالي في قلوب الناس.

شعرت أن الوقت قد حان لاختبار حقيقي. أردت أن أواجه هذا التصنيف، بتجربة. قررت أن أترشح لمقعد مجلس الإدارة .تقدمت للترشح ممثلا عن شعبة التصوير، رافعا شعار بسيط لكنه عميق:

"إبراهيم شلبي.. لنقابة غنية".

كان الشعار يحمل معنيين، أحدهما رمزي يعكس رؤيتي لفن غني ومتعدد، تحكمه التجارب لا الشهادات، والآخر واقعي يطمح إلى تحسين أوضاع الفنانين ماديا ومهنيا.

كان الشعار دعوة لتوسيع الأفق، لأن تصبح النقابة غنية بتنوع أعضائها، بأفكارهم، بخبراتهم المختلفة. كنت مؤمنا أن الغنى الحقيقي ليس في عدد الشهادات، لكن في تعدد الزوايا التي يرى منها كل فنان العالم.

قبل الترشح، لم أكن غريبا عن المجتمع الفني. حضوري في المعارض، ومشاركتي في الندوات، وتفاعلي الدائم مع الفنانين من مختلف الخلفيات، كل ذلك مهد لقبولي بينهم. كنت صوت مألوف، ووجها حاضرا في الساحة الفنية.

هذا التمهيد العملي والإنساني كان مفتاحا خفيا ساعدني في كسب ثقة زملائي.

تقدمت بأوراقي، متسلحا فقط بإيماني بالفن، وبالحق في التمثيل. وكأنني ألقي بنفسي في بحر لا أعرف مدى عمقه، ولا ما يخبئه قاعه.

لكنني وجدت في رحلتي أصواتا مؤمنة، أيادي امتدت بالمصافحة، وقلوبا قرأت في تجربتي حكاية تشبه حكاياتهم.

وحين أعلنت النتيجة، وجدت نفسي عضوا في مجلس إدارة نقابة الفنانين التشكيليين، ممثلا عن شعبة التصوير.

لـم يكـن فـوزا شـخصيا ابـدا ،كان تأكيـد علـى أن التصنيـف لا يعلـو علـى الموهبـة، وأن الفـن، فـي جوهـره، لا يعتـرف إلا بالصـدق والاجتهـاد.
كانـت هـذه التجربـة محطـة فارقـة فـي مسـيرتي، لأنهـا خالفـت الأعـراف السـائدة، و لأنهـا أكـدت لـي أن التحـدي هـو الطريـق الوحيد للعبـور نحـو مسـاحات جديـدة، وأن الفـن لا يقـاس بدرجـات الثانويـة ولا بأسـماء الكليـات، يقـاس بالقـدرة علـى الإقنـاع، والرؤيـة، والإصـرار علـى أن يكـون للفنـان صـوت ومـكان مهمـا كان تاريخــه الأكاديمــي.

كان الشـعور بالمسـؤولية ثقيـلاً بقـدر مـا كان مفعمـا بالحماسـة. لطالمـا نظـرت إلـى الفـن كقـوة قـادرة علـى تشـكيل الوعـي، علـى أن يكـون أكثـر مـن ضربـات فرشـاة علـى قمـاش، كنـت انظـر اليـه علـى انـه رسـالة تتجـاوز حـدود الفـرد إلـى المجتمـع.

وهـا أنـا ذا، أقـف الآن فـي موقـع يمنحنـي فرصـة الدفـاع عـن حقـوق الفنانيـن، عـن أحلامهـم ومطالبهـم، عـن تلـك الرؤيـة التـي تؤمـن بـأن الإبـداع حاجـة إنسـانية أساسـية.
لكن الحياة، كعادتها، لم تترك الأمور تسير بسلاسة.
بالـكاد بـدأت اولـى اجتماعـات مجلـس ادارة النقابـة، حتـى اجتـاح فيـروس كورونـا العالـم، محـولا كل شـيء إلـى حالـة مـن الجمـود.
لـم يكـن الفـن بمنـأى عـن الأزمـة، علـى العكـس وجـد نفسـه أمـام تحـد غيـر مسـبوق.
أُغلقـت أبـواب النقابـة كمـا أغلقـت كل المسـاحات العامـة، وتوقـف كل شـيء فجـأة، كأن الزمـن قـد تجمـد فـي لحظـة مباغتـة.

على خط النار
.... التجربة من الداخل

وما إن بدأت أولى الاجتماعات، حتى باغتتنا الحياة بطريقتها الخاصة. جاء فيروس كورونا، كضيف ثقيل لا ينوي الرحيل، ليعصف بكل شيء. تجمد الزمن، توقفت الأنشطة، وانغلقت الأبواب، بما فيها أبواب النقابة. اصبحنا أمام زلزال غير مسبوق.
كان الفن من أوائل من دفع الثمن. توقفت المعارض، جمدت المبادرات، ووجد الفنانون أنفسهم بلا منصات، بلا دعم، وبلا رؤية واضحة. شعرت وقتها أن دوري الحقيقي يبدأ الآن،
كعضو مجلس، وكواحد من هؤلاء الذين يواجهون المجهول.
ولان الفن، بطبيعته، لا يعرف التوقف. فهو كالماء، يبحث عن مسارات جديدة.
كان علينا أن نعيد تعريف علاقتنا بالنقابة، بالعمل، وبالفنانين أنفسهم. انتقلنا إلى المساحات الرقمية، حيث أصبحت الشاشات نوافذنا الوحيدة.
عقدنا الاجتماعات عبر الإنترنت، وتبادلنا الأفكار من خلف الزجاج. تحولت المكاتب إلى غرف معيشة، والمشاريع إلى ملفات إلكترونية تنسج في صمت العزل.
وسط هذا التحول العنيف، أدركنا جميعا أن الأزمة لحظة مخاض. اكتشفنا قوة التواصل الرقمي، وسهولة الوصول إلى الفنانين في المحافظات النائية، وبدأنا في التخطيط لورش وندوات افتراضية، وحملات دعم فني واجتماعي.
لم تكن المعركة سهلة، لكن، بدأ الضوء يتسلل من بين شقوق الجدران.

لقد علمتني تلك المرحلة أن القيادة تقاس بقدرتك على الصمود حين يتهاوى كل شيء. أن الإبداع يستطيع ان يعيد اختراع نفسه. وأن الفن حين يحاصر، يختبئ في أعمق زوايا النفس، في انتظار من يخرجه إلى النور. وهكذا، تحولت التجربة من اختبار ثقة إلى تمرين على البقاء، ومن مسؤولية شكلية إلى معركة يومية، من أجل الكرامة الفنية، ومن أجل أن يشعر كل فنان بأنه ليس وحده.

كما كانت المسؤولية الحقيقية في الصمود أمام الجائحة، كانت ايضا في الوقوف في وجه ما رأيته عبثا مقننا باسم العمل المؤسسي.
وجدت نفسي في قلب معركة لا تقل شراسة عن أي نزال فني خضته من قبل، لكنها هذه المرة ضد استهتار مادي ومعنوي يهدد أموال الجمعية العمومية.
كنت أواجه اجتماعات مشتعلة، وموظفين يلتفون حول الحقيقة، ونقيبا ينفق بلا حساب في ترميمات غير ضرورية، وتبديل مكيفات تعمل بكفاءة، وشراء أجهزة لا حاجة لها سوى تبرير إنفاق متعمد.
لم يكن الصمت خيارا، فخضت مع مجموعة من الزملاء المؤمنين بالإصلاح معركة طويلة لإيقاف نزيف الهدر، حتى اضطررنا إلى اللجوء لأقسام الشرطة، وساحات القضاء، دفاع عن أمانة لا تقبل التفريط.
كنت أرى في كل جنيه يهدر فرصة ضائعة لفنان شاب، لمعرض مؤجل، لفعالية قادرة على التغيير.

من الباب إلى الميدان:
حين ضاقت الجدران واتسعت الرؤية

وما أُطفئ في المصابيح، توهج على الشاشات.
وهكذا، حين سدت الطرق، ابتكر الفن طريقه.

قبل أن تقرأ كتب

أ.د / محمد عبد السلام عبد الصادق
استاذ تاريخ الفنون والتصوير
بكلية الفنون الجميلة - جامعة الأسكندرية

عزيزى القارىء..

بين يديك كتاب يحمل غلافه عنوان «سكتش» ، فى إشارة لغاية مؤلفه الأساسية- كما أخبرنى مسبقا- وهى أن يؤرخ المراحل التحضيرية لأعمال المبدعين عبر التاريخ ، وأن يحاول وضع تعريف نظرى وتطبيقى لمفهوم الـ«Sketch» من زوايا متعددة ، كانت هذه الغاية ، النبيلة على بساطتها ودقتها ، ولم يساورنى شك فيما سيكون عليه المنتج من حيث جودة التنسيق والإخراج الفنى وغيرا من التفاصيل التى عهدتها فى إصدارات الفنان «إبراهيم شلبى».

لكن ما أن تلقيت النسخة النهائية من الكتاب حتى فوجئت بأن المؤلف قد أبحر في رحلة واسعة تتبع فيها تاريخ المدارس الفنية والتقنيات المختلفة ، تنقل بين التأريخ والتنظير واستعراض الفن من زوايا علمية (نظرية وتطبيقية) متعددة ، استشهد بأعمال قدامى المبدعين ، وأفرد للإبداع المعاصر حيزا هاما وجديرا بالاعتبار ، قدم تجربته الفنية ضمن عشرات التجارب بمنتهى التجرد ، وبنيّة صادقة في أن يكون عمله مرجعا للجميع ، لم يضنّ بكل المادة العلمية (الفنية) التي اجتهد في جمعها وصياغتها ، ولم يستأثر لنفسه بفضل ، بل قدّم تنويها يستحق الإشادة بكل من تعاون معه في هذا الإصدار ، حتى تلك المحاولات التي قدمها بعض الفنانين- تطوعا- كتصور لغلاف الكتاب وشكل العنوان وغيرها من التفاصيل ، فجاءت ثمرة هذا المجهود الواسع والصادق مرجعا يكاد يكون شاملا لكل ما يتعلق بفنون الرسم والتصوير ، مرجعا ربما سيكون الأهم لسنوات لكل المهتمين بممارسة الفنون التشكيلية ، أو دراستها ، أو- حتى- فهم سماتها وأبسط مصطلحاتها وأكثرها تخصصا كذلك.

لم يكن أمامي إزاء هذا المنتَج الهام إلا أن أرفع لصاحبه القبعة ، وأن أعرض عليه- متشرفا- كتابة هذه التوطئة ، عسى أن تكون توثيقا لجهده ، وتعويضا له عن كل ما تكبّد ، وذلك من ناحية ، أما من ناحية أخرى فهي تمنح القارىء فرصة لاستيعاب قيمة ما بين يديه ، ومحتوى ما هو مقبل على قراءته ، فقد وضع الفنان «إبراهيم شلبي» كتابا يمكن وصفه بالـ«موسوعي» ، لكنه يأتي تحت عنوان «سكتش».

ا د/ محمد عبد السلام
الاسكندرية 2024
مقدمة كتاب سكتش

19 أبواب تغلق، .... وميدان يفتح

لقد كان عام 2021 نقطة تحول، في حياتي فصلا دراميا يغلق فيه باب ليفتح آخر لم أكن أتوقعه، ولم أكن أظن أنني سأعبره يوما.

ففي اللحظة التي اضطررت فيها لإغلاق مكتب «ألوان الديكور»، كنت أظن أنني أفقد جزءا من هويتي، لكنني لم أكن أعلم أن هذا الإغلاق لم يكن إلا بداية رحلة نحو حلم قديم، حلم لطالما ظننته بعيدا كسراب في صحراء الوقت.

ذلك الحلم الذي كان يراودني في صمت، يتراقص أمامي كضوء خافت في آخر النفق، لكنه كان يبدو دائما مستحيلا، بعيد المنال.

أن يكتب اسمي على غلاف كتاب كمؤلف له، أن أنحت أفكاري في الورق وأصنع بها جسرا بيني وبين العالم، كان أشبه بحلم يراود عاشقا يخشى الاقتراب من محبوبته، خوفا من أن تتلاشى عند اللمس.

لكن ما إن أغلقت أبواب المكتب، حتى فتحت أمامي أبواب جديدة، غير مرئية، تنفتح بصمت في جدران الروح.

كنت أعود إلى بيتي كمن يدخل محرابا خفيا، يضج بالرغبة في الكتابة، في الحفر في الذاكرة، في لملمة التجربة وتحويلها إلى أثر.

تراكمت في داخلي سنوات من الملاحظة، من الاحتكاك بالفن والناس والمكان، وجدت طريقها أخيرا إلى الورق.

بدأت أكتب، عن الفنانين، عن سيرهم التي لم ينصفها التوثيق، عن أرواحهم التي خفقت خلف لوحاتهم.
اصبح ما حدث إعادة ولادة؛ مكتب أغلق، وصفحة كتبت، وأبواب أوسع انفتحت على عالم الكتاب والباحثين، حتى صار لدي خمسة عشر كتابا منشورا، وخمسة أخرى أعمل عليها، وكل منها يحمل جزءا من رحلتي، من رؤيتي، ومن إيماني بأن الفن لا يموت، لكنه يتحول ليبقى.
أنشأت عبر صفحتي على «فيسبوك» مجموعة حملت اسم «ملتقى الشرق والغرب – ميدان» ، مساحة حرة للفن بلا قيود، ووجهت دعوة مفتوحة لإقامة اول معرض فني إليكتروني يجمع الفنانين من مختلف الثقافات والخلفيات.
كانت الدعوة بمثابة نداء إلى الأرواح المتعطشة للتواصل، فتوافد الفنانون من كل مكان، كما لو أن هناك تيار خفي يسحبهم إلى هذا الملتقى.
كانت الرسائل تتقاطر من أنحاء العالم، من فنانين لم أعرفهم من قبل، وبعضهم كنت أتابعه بصمت لسنوات.
وبدت منصة «ميدان» كأنها ساحة خيالية في مدينة غير موجودة، لكن تنبض بالحياة أكثر من شوارعنا الواقعية التي ابتلعتها الصمت.
في كل مشاركة فنية، لوحة أو صورة أو حتى نص، كان هناك إعلان صغير عن انتصار الروح، عن قدرة الإنسان على الخلق حتى في أحلك الظروف.
تحول الملتقى من فكرة بسيطة إلى ظاهرة، وأصبح المعرض الإلكتروني الأول خلال زمن الجائحة.

كنت أعد الأعمال وأصمم البوسترات وأكتب مقدمات نقدية قصيرة، ثم أنشرها واحدة تلو الأخرى، حتى امتلأت الصفحة بعشرات الأعمال، وامتلأ قلبي بدهشة لا تشبه إلا دهشة البدايات.

كان الفنانون يتفاعلون، يعلقون، يعيدون النشر، ويشكرون بعضهم البعض... وكأن الجدران التي فصلتنا تهاوت فجأة بفعل هذه المساحة المشتركة، التي لا تحتاج تأشيرة ولا قاعات عرض ولا حتى ميزانية

.من رحم العزلة، إنبثق مشروع توثيقي آخر. رأيت أن كثير من الفنانين الذين شاركوا، لا يملكون سيرة مكتوبة توثق تجربتهم. وما بدأ كدعوة مفتوحة للعرض، تطور إلى مهمة شخصية: أن أكتب، أن أوثق، أن أستعيد ما يمكن استعادته من الذاكرة الفنية المعاصرة

.وهكذا ولد أول كتاب في سلسلة توثيقية، كان عن الفنان محمود سعيد، ثم تلته كتب أخرى، حتى صار لدي مكتبة متكاملة تضم العديد من الكتب الفنية في التأريخ والسيرة الذاتية .

في عز الجائحة، حين كان العالم يختبئ من بعضه، كنت أمد يدي نحو الآخرين، لأقول لهم: الفن لا يعزل، لأنه ببساطة، لا يعيش إلا بين الناس.

وما إن نجح المعرض الأول حتى تبعته معارض أخرى، ومع كل معرض كان هناك كتاب يولد، يوثق اللحظة، يحفظ الإبداع من التلاشي، ويخلد أسماء من كانوا جزءا من هذه التجربة.

في تلك الكتب، كان الامر امتدادا للرؤية، كان الفن يكتب نفسه، وكان الحلم الذي بدا مستحيلا ذات يوم يتحقق على صفحات بيضاء، يحمل اسمي فوق غلافه بكل فخر

لـم أكـن أبحـث عـن هـذا الطريـق، لكنـه وجدنـي، وحيـن وجدنـي، أدركـت أن الأقـدار تخبـئ لنـا هداياهـا فـي لحظـات الانطفـاء، وأن النهايـات التـي نخشـاها قـد تكـون فـي حقيقتهـا بدايـات تتخفـى خلـف سـتار الألـم...« فـكل بـاب يغلـق، قـد يكـون بدايـة لنوافـذ تطـل علـى عوالـم لـم نكـن نراهـا مـن قبـل.»

كانـت تلـك المعـارض مشـاريع فنيـة مدروسـة بعنايـة، تقـدم بـروح تحمـل رسـالة، وبنيـة تخلـق تجربـة بصريـة وفكريـة غنيـة، تمامـا كوجبـة فنيـة متكاملـة، تتداخـل فيهـا الألـوان والـرؤى كمـا تتداخـل النكهـات فـي طبـق فاخـر.
حرصـت علـى أن يحمـل كل معـرض اسـما لـه دلالتـه العميقـة، فـكان لـكل معـرض عنـوان مسـتوحى مـن شـخصية فنيـة بـارزة، أحـد رواد الجيـل الأول مـن فنانـي مصـر، أولئـك الذيـن رسـموا ملامـح الحركـة التشـكيلية المصريـة، وأسـهموا فـي تشـكيل هويتهـا البصريـة.
كان الاختيـار تكريمـا مسـتحقا لتلـك الاسـماء، محاولـة لاسـتعادة ذكراهـم وإحيـاء إرثهـم الفنـي، ليظـل نبـض فنهـم متصـلا بالحاضـر، وليكـون مصـدر إلهـام للأجيـال الجديـدة التـي تبحـث عـن جـذور تمتـد فـي عمـق الزمـن.
اتخـذت العـروض الاليكترونيـة طابعـا سـينمائيا، رحلـة بصريـة تبـدأ بمقدمـة توثيقيـة عـن « شـخصية العـدد»، حيـث يعـرف الجمهـور بسـيرة الفنـان الرائـد، تعـرض أبـرز أعمالـه، ثـم يفتـح المجـال لأعمـال الفنانيـن المعاصريـن مـن مختلـف الأجيـال، بـدءا مـن الشـباب الصاعديـن، إلـى الفنانيـن الكبـار، وصـولا إلـى أسـماء لامعـة مـن مختلـف أنحـاء العالـم.

كانـت هـذه التوليفـة تخلـق حـوار فنـي ممتـد عبـر الزمـن والثقافـات، حيـث يلتقـي تـراث الماضـي بنبـض الحاضـر، وتتشـابك الأسـاليب والـرؤى، فتتولـد قـراءات جديـدة للفـن، وتثـرى زوايـا المشـاهدة.

لـم يكتـفِ المشـروع بالعـرض الرقمـي وحـده؛ فقـد كان لـكل معـرض كتـاب مطبـوع، كعمـل فنـي فـي حـد ذاتـه، طبـع بألـوان فاخـرة ليليـق بجمـال المحتـوى الـذي يحملـه.

كان مسـاحة للتأمـل والتحليـل، حيـث أضيفـت إليـه مقـالات متعمقـة فـي المـدارس الفنيـة واتجاهاتهـا المعاصـرة، إلـى جانـب دراسـات عـن تجربـة الفنانيـن العارضيـن، تسـلط الضـوء علـى سيرهم الذاتيـة ومسـاراتهم الإبداعيـة، فتتحـول الصفحـات إلـى حـوار بيـن الفكـر والصـورة، بيـن الإبـداع والتاريـخ.

هكـذا،كان الأمـر بنـاء لجسـر ممتـد بيـن الأجيـال، حيـث يلتقـي الفنانـون الراحلـون بالجـدد، ويتنـاغـم تراثهـم مـع رؤى الحاضـر، ليبقـى الفـن ، كمـا كان دائمـا ، لغـة خالـدة، تتجـاوز الزمـن والمسـافات.

وهكـذا، اسـتمرت مسـيرة المعـارض الإلكترونيـة والكتـب الفنيـة المطبوعـة، لـم تتوقـف بإنتهـاء الحظـر أو بـزوال الجائحـة، علـى العكـس وجـدت طريقهـا نحـو التطـور والامتداد.

فمـع عـودة الحيـاة إلـى الشـوارع والميادين، أضفـت بعـد جديـد إلـى التجربـة، ليصبـح لـكل كتـاب مطبـوع نـدوة تناقشـه، وحفـل توقيـع يكـرم المشـاركين فيـه، حيـث تـوزع النسـخ علـى الفنانيـن الذيـن سـاهموا بأعمالهـم وإبداعهـم فـي إثـراء محتـواه.

كان ذلك تتويج لمسار فني متكامل، حيث ينطلق المعرض من العالم الرقمي، ليفرغ محتواه في كتاب، ثم يتحول الكتاب إلى لقاء فكري حي، يعيد تشكيل التجربة من جديد، عبر الحوار والنقاش

ومع مرور الوقت، توالى صدور الكتب والمعارض تحت سلسلة « ملتقى الشرق والغرب - ميدان» ، ليحمل كل عدد اسم من أسماء الرواد الذين شكلوا هوية الفن المصري الحديث.

بدأ المشروع بميدان (محمود سعيد)، ثم تلاه (أحمد صبري)، ثم (محمود مختار)، ثم (محمد ناجي)، لتتحول تلك الأسماء من ذكريات محفوظة في متاحف وكتب التاريخ إلى نبض حاضر، يستعيد روحه عبر لوحاتهم وأفكارهم وتأثيرهم الممتد.

لم يقتصر المشروع على الكبار وحدهم، فقد جاء « ميدان أبلة فضيلة» ليأخذ منحى آخر، مخصصا للأطفال، ليكون نافذة تجمع بين الفن والتربية والإبداع الطفولي الحر

.فقد كان احتفال فني متكامل، حيث أضفت إليه مسابقات في «الغناء، الشعر، الموسيقى، والإلقاء»، لتكون ساحة ينطلق فيها الأطفال بحرية، ويعبرون عن أنفسهم دون قيود.

كما أطلقت كتابا آخر للأطفال بعنوان « رسمة وحدوتة»، الذي وثق تجربتي في « ملتقى البرلس الأول للرسم على الجدران»، ذلك الحدث الذي أعاد تعريف العلاقة بين الفن والشارع، بين اللوحة والجدار، بين الإبداع والمجتمع.

لكن انشغالي بالأجيال الجديدة لم ينسني قضايا الفن العميقة، فكان كتاب « سكتش » خطوة نحو الغوص في جوهر العملية الإبداعية ذاتها.
كان بحثا عن دور الاسكتش في إنتاج العمل الفني، ومحاولة لتفكيك الإشكاليات الملتبسة التي تحيط به، من «الاستلهام، إلى النقل، إلى التزوير». وكعادتي، لم يكن للكتاب أن يصدر دون أن يرتبط بشخصية محورية، فوقع الاختيار هذه المرة على الفنان المعاصر والنحات المرموق «الدكتور/ السيد عبده سليم»، ليكون العنوان امتدادا لرحلته الفنية وتجربته الإبداعية.
ولأن الفن لا يقتصر على اللوحة أو المنحوتة، و يمتد إلى التعبير عن أعماق الإنسان، فقد جاء كتاب آخر عن «الخرف»، حيث تناول الفن من زاوية إنسانية، عبر تسليط الضوء على تجربة «الدكتورة / فاطمة عباس»، الخزافة المعاصرة التي قدمت أعمالا تنبض بالمشاعر، وتجسد حكايات الذين عبروا نحو النسيان، فكان الكتاب محاولة لربط الفن بالذاكرة، بالحياة، وباللحظات التي نخشى أن تضيع.
كانت هذه الكتب عبارة عن منصات فكرية تستقبل مقالات من نقاد وفنانين معاصرين، يضيئون زوايا جديدة للنظر، ويطرحون رؤى تحليلية تثري النقاش حول الفن ومدارسه المختلفة. كما أضفت إلى كل كتاب ،مقالات لرموز نقدية راحلة، فقدمت كتاباتهم قيمة إضافية، وجعلتها تتفاعل مع الحاضر، كأنها تمتد عبر الزمن لتواصل دورها التنويري.

وهكذا، كان الهدف من كل هذه الفعاليات بناء مشروع متكامل، حيث يلتقي «الماضي بالحاضر، الرقمي بالمطبوع، الصورة بالكلمة، والفن بالفكر» ، ليظل الإبداع حي، نابض، قادر على التجدد والتطور.

كما كان المشروع امتد ليصبح وثيقة حية، تؤرخ للحركة التشكيلية في مصر عاما بعد عام، عبر سلسلة تحمل عنوانا دقيقا ومباشرا: «فهرست فناني مصر».

كانت البداية بكتاب « فهرست فناني مصر 21»، ثم تبعه كتاب « فهرست فناني مصر 22»، ثم « فهرست فناني مصر 23»، وصولا إلى « فهرست فناني مصر 24» ، لتتحول السلسلة إلى مرجع سنوي، يسجل ملامح الإبداع التشكيلي في مصر، ويضع خارطة دقيقة لمشهد فني دائم التحول.

كانت الكتب « توثيق نقدي وتحليلي» ، يعيد قراءة الأعمال الفنية التي ميزت كل عام، ويضعها في سياقها الجمالي والفكري، بحيث تصبح اللحظة الفنية جزء من نسيج التاريخ البصري لمصر.

كان الرقم في نهاية كل عنوان يشير إلى العام الذي يؤرخ له الكتاب، فـ « فهرست فناني مصر 21» كان مرآة للفن التشكيلي المصري في عام «2021»، و« فهرست فناني مصر 22» وثق التجربة خلال عام «2022»، وهكذا استمرت السلسلة، تسجل «نبض الإبداع، تحولات الأساليب، واتجاهات الفنانين، لتصبح بمثابة «أرشيف متجدد للحركة التشكيلية المصرية»، يرصد صعود الأسماء الجديدة، وامتداد تجارب المخضرمين، وتحولات الذائقة البصرية.

ولأن العمل النقدي لا يكتمل إلا عبر العقول المتخصصة، فقد شارك في تأليف هذه السلسلة الأستاذ الدكتور / محمد عبد السلام عبد الصادق، أستاذ تاريخ الفنون والتصوير بكلية الفنون الجميلة – جامعة الإسكندرية،

الذي أغنى المشروع بدراساته الفنية الرصينة، وتحليلاته العميقة للأعمال المختارة، مقدما رؤية نقدية تستند إلى المعرفة الأكاديمية والخبرة الجمالية

كانت هذه السلسلة بمثابة مشاريع تفاعلية، حيث أعقب كل كتاب «حفل توقيع وندوة نقاشية»، يتحول فيها الفنانون والنقاد إلى شركاء في إعادة قراءة المشهد الفني، في حوار مفتوح، يربط بين الماضي والحاضر، ويؤسس لمستقبل أكثر وعيا بجذوره.

تبنت وزارة الثقافة المصرية هذة الندوات ، فاقيمت فى قاعات ، قطاع الفنون التشكيلية ، وصندوق التنمية الثقافية ، ومكتبات مصر والمراكز الثقافية للمتاحف المصرية ، وهيئة قصور الثقافة .

وما زال الحلم مستمر... آمل أن تمتد هذه السلسلة إلى سنوات لاحقة، أن تبقى شاهدة على تطور الفن التشكيلي المصري، وان تصبح ذاكرة بصرية متكاملة ، تحفظ للأجيال القادمة تفاصيل هذا الزمن، وتمنح كل فنان مساحة يستحقها في كتاب التاريخ.

وهكذا، ونحن على أعتاب عام 2025، تنفتح أمامي آفاق جديدة لمشاريع فنية وثقافية تتجاوز حدود التأريخ إلى التوثيق، ومن

التعليم إلى التأمل الفلسفي في جوهر العملية الإبداعية ذاتها.
أعمل حاليا على إعداد مجموعة من الكتب المتخصصة، التي تثري المكتبة الفنية وتمنحها بعدا أكثر عمقا ودقة.
يأتي في مقدمتها كتاب مخصص لتوثيق « مقتنيات متحف الخزف الإسلامي»، ذلك الصرح الذي يحتضن كنوزا فنية نادرة، تكشف عن عظمة الحِرفة والجماليات الزخرفية الإسلامية
هذا المشروع يأتي استكمالا لكتاب سابق حمل عنوان «المتحف»، والذي كان بمثابة رحلة عبر الزمن، أرخت لمتاحف مصر، حيث وثق «95 » متحف من مختلف الأقاليم المصرية، إلى جانب تسليط الضوء على «أشهر عشرة متاحف عالمية»، مرتبة وفق تسلسل زمني يعكس تطور فكرة المتحف ذاته، من مجرد مخزن للقطع النادرة، إلى فضاء نابض بالحياة والهوية.

في المجال التعليمي، وضعت هدفا واضحا أمامي:سد الفجوة بين الموهبة الفطرية والتعليم الأكاديمي.
ومن هنا، جاء تأليفي لكتاب «مبادئ الفن والتصميم»، الموجه خصيصا لطلاب الثانوية العامة المقبلين على اختبارات القدرات المؤهلة للالتحاق بكليات الفنون.
حرصت أن يكون هذا الكتاب بمثابة دليل عملي مبسط، يمهد الطريق لهؤلاء الطلاب، ويزودهم بالأساسيات الفنية والبصرية التي يحتاجونها قبل دخولهم هذا العالم الأكاديمي المتخصص.
لكن طموحي لم يتوقف عند هذا الحد. فقد أدركت أن هناك فئات أخرى لا تجد لها مصادر تعليمية مناسبة، فأنجزت كتابا

آخر بعنوان « التكوين في الفن والتصميم»، صمم ليكون مرجعا شاملا وميسرا لطلاب وخريجي كليات الفنون، وأيضا للموهوبين الذين لم تتح لهم فرصة الالتحاق بتعليم فني رسمي، سواء بسبب مجموع الثانوية العامة أو ظروفهم الخاصة.

كما وجهته إلى الفنانين الفطريين الذين يمتلكون موهبة حقيقية لكن تنقصهم المعرفة العلمية بأسس التكوين، ليتحول هذا الكتاب إلى جسر يربط الممارسة بالإدراك، ويوفر مدخل منهجي لفهم التكوين الفني بعيد عن الارتجال والعشوائية. أردته بوابة للوعي البصري، ومنصة للتأسيس التقني، تضع القارئ على أولى درجات السلم نحو ممارسة فنية واعية ومتينة.

أما الكتاب الذي يشغلني حاليا، فهو مشروع يحمل أبعادا فلسفية وجمالية في آن واحد، بعنوان « فن من فن».

هذا العمل سيكون بمثابة توثيق للأعمال الفنية التي استلهمت من فنانين آخرين ،و بحث في فكرة الاقتباس، التأثير، الامتداد الفني، وكيف يعيد الإبداع تشكيل نفسه عبر الأجيال

فالاستلهام كان دائما جزءا من العملية الفنية، حيث يقف الفنانون على أكتاف من سبقوهم، استنطاقا جديدا للمعاني، وإعادة إحياء للرؤى.

أسعى في هذا الكتاب إلى تحليل تلك الديناميكية التي تربط الماضي بالحاضر، وتكشف عن الخيط الخفي الذي يربط الأعمال الفنية ببعضها عبر الزمن.

وإذ أضع كل هذه المشاريع بين يدي المستقبل، فإنني أدعو الله أن تكون هذه الكتب «إضافة حقيقية إلى المكتبة الفنية، وصدقة جارية، تترك أثرها كعلم ينتفع به» ، وأن تسهم في إثراء الوعي الفني للأجيال القادمة.
ويسعدني اني كنت في كل كتاب «المؤلف، والمعد، والمصمم، والناشر» ، أحرص على أن يكون كل إصدار « قطعة فنية متكاملة » ، ان تكون تجربة بصرية وفكرية تستحق أن تعيش في ذاكرة الفن. كذلك كنت شديد الحرص على ان يكون لكل كتاب رقم ايداع وترقيم دولي "دمك".

وفي خضم هذه الرحلة الإبداعية، لم يكن التأليف وحده هو المجال الذي استأثر بإهتمامي،فقد امتد شغفي ليشمل تصميم وإخراج الكتب ، لتصبح كل صفحة عملاً فنياً بحد ذاتها، يراعي التوازن بين المحتوى البصري والنصي، ويحول القراءة إلى تجربة بصرية ممتعة.
كما امتدت تصميماتي الى مؤلفات الاخرين ، فقد كان لي شرف تصميم وإخراج كتب لفنانين من مختلف أنحاء العالم العربي، ومن خارجه أيضا، فوضعت بصمتي على إصدارات جاءت من (السعودية، الكويت، الإمارات، عمان، سوريا، البحرين، المغرب، أمريكا، إسبانيا، وبالطبع من مصر).
في كل مشروع كنت أجد نفسي أمام تحد جديد: كيف أجعل التصميم يعبر عن المحتوى ، يتناغم مع روحه، ويمنح القارئ إحساس بالاندماج مع عالم الفنان صاحب الكتاب؟

امتـدت تصميماتـي ايضـا إلـى المجـلات الفنيـة، حيـث أتيحـت لـي الفرصـة لتصميم وإخـراج عـدد مـن الجرائـد ، والمجـلات الفنيـة المتخصصـة فـي مصـر والمغـرب.
كانـت تجربـة تصميم المجـلات مختلفـة، لأن المجلـة، علـى عكس الكتـاب، تتطلـب إيقاعـا بصريـا متغيـرا، وحيويـة فـي التنـاول، حيـث يكـون التنقـل بيـن صفحاتهـا أشـبه بجولـة فـي معـرض متجـدد، يحـرض العيـن علـى الاستكشـاف، ويأسـرها بالتنـوع البصـري واللونـي

والفضـل فـي كل هـذا يعـود إلـى الإنترنـت، ذلـك الفضـاء الافتراضـي الـذي أزال الحـدود، وجعـل التعـاون الفنـي بيـن البلـدان المختلفـة ممكنـا كمـا لـو كنـا نجلـس معـا فـي نفـس المرسـم أو دار النشـر.
لـم يعـد هنـاك حاجـز بينـي وبيـن الفنـان فـي أي بقعـة مـن العالـم؛ فبضغطـة زر، يمكننـي مناقشـة التفاصيـل، إرسـال التصاميـم، تلقـي الملاحظـات، والتعديـل فـي لمـح البصـر.
هكـذا أصبـح الفـن حـوارا عابـرا للقـارات، تتلاقـى فيـه الثقافـات، وتتشـابك فيـه الـرؤى، فـي مشـهد إبداعـي لـم يكـن ليحـدث بهـذه السـهولة قبـل عقـود قليلـة.
وكلمـا أتممـت كتابـا أو مجلـة، شـعرت بأننـي أضيـف لبنـة جديـدة إلـى هـذا الصـرح البصـري الـذي أسـعى لتشـييده، حيـث يكـون التصميم كائـن ينبـض بالحيـاة، يـروي القصـة، ويضفـي عليهـا ألقـا جديـدا، يجعلهـا أكثـر تأثيـرا وبقـاء فـي الذاكـرة.

المصـــــير..
..........الإعتراف المتأخر

فــي عــام 2022، أعلـن "جاليـري ضــي" عـن مســابقة فنية عربيــة ملهمــة، حملـت عنـوان" الفـن بنكهــة فرعونيــة، واضعــا ثــلاث جوائـز ماليــة لـكل فـرع مـن فـروع الفـن التشـكيلي، إلـى جانـب إهـداء الجاليـري الأعمـال الفائـزة كمقتنيـات للمتحـف المصـري الكبيـر، المنتظـر إفتتاحـه فــي "2025".

كانـت المسـابقة بمثابـة دعـوة مفتوحـة للفنانيـن لإسـتلهام روح الحضــارة المصريــة وإعــادة بعثهـا بـرؤى معاصرة، ممــا جعلنــي أسـتعيد ذكرياتــي مـع أعمالــي الأولــى، تلـك اللوحــات التــي ظلـت حبيســة الزمـن، وكأنهـا تنتظـر هـذا التحـدي منـذ عقـود.

إســترجعت أعمالــي القديمــة، ووجدتهــا مثاليــة لهـذا الطــرح، إذ كانــت تحمــل فــي جوهرهــا "ملامــح الفـن المصــري القديـم، لكنهــا تتحــدث بلغــة العصــر" .

خطــرت ببالــي فكــرة المشــاركة، لكــن ســرعان مــا اصطدمــت بشــرط أساســي مــن شــروط المســابقة:
 يجــب أن يكـون العمـل الفنــي مـن إنتــاج عــام 2021، بينمــا تعـود أعمالــي إلــى "عــام 1994".

وقفت أمام مفترق طرق؛ هل أغير التاريخ، فأسمح للوحة بعبور البوابة بشهادة ميلاد جديدة ؟ أم أقرر رسم لوحة أخرى، بروحي الجديدة، وأدواتي المتطورة، وخبراتي التي صقلتها السنوات؟

كان القرار أكثر تعقيدا مما بدا عليه، فاللوحة التي أود المشاركة بها لم تقبل من قبل، في منافسة أقل شراسة، كانت المسابقة الأولى محلية، ومخصصة للشباب، بينما هذه المسابقة عربية، مفتوحة للمحترفين من 22 دولة، مما جعل التحدي أكثر صعوبة. ولكن، وسط هذا الصراع الداخلي، بدأت فكرة أخرى تتشكل في ذهني:

لماذا لا أضعها مجددا أمام لجنة التحكيم، بعد ثلاثة عقود من رفضها الأول؟ ما الذي سيتغير هذه المرة؟

هل سيراها الحكام بعيون مختلفة؟ أم أن اللوحة نفسها ستكشف لي حقيقتها، بعد كل هذه السنوات؟

غمرتني رغبة جارفة في خوض المغامرة، في إعادة اختبار "ا لمصير"، كعمل فني، كمفهوم، كرحلة، كقدر لم يكتمل بعد.

كان الفارق بين الماضي والحاضر هو أنني هذه المرة لا أحتاج إلى تحمل عناء السفر إلى القاهرة لتسليمها يدويا كما فعلت سابقا مع "صالون الشباب"، فاليوم، ببساطة، كل ما عليّ فعله هو "إرسالها عبر البريد الإلكتروني".

لا تكلفة، لا خسائر، ولا أحد سيعلم إن رفضت مجددا.

بروح التحدي، قررت أن أترك على اللوحة تاريخ إنتاجها الأصلي كما هو، وكأنني أضعها أمام المرآة الزمنية، أراقب كيف ستقرأ بعد كل هذه السنوات.
ملأت استمارة التقديم، أرفقت صورتها، وأرسلت بياناتها عبر البريد الإلكتروني المخصص للمشاركة، لتبدأ رحلتها الجديدة في مهب الفرز والتقييم.
والآن، لم يتبق سوى الانتظار... هل سيظل المصير كما كان، أم أن الزمن قد أعد لها مصيرا آخر؟
حينما نشرت نتائج الفرز الأول للمسابقة على صفحات فيسبوك، لم أكن أتوقع أن أرى اسمي هناك، لكن ها هو يبرز بين قوائم المقبولين، يجاور أسماء أخرى لفنانين معاصرين.
يا إلهي! أهذه مصادفة أم أن المصير بدأ يكشف عن وجهه الآخر؟ كيف حدث ذلك؟ هل لاحظت لجنة التحكيم تاريخ الإنتاج المدون بوضوح في استمارة التقديم؟
بالتأكيد قد رأوه، لكن، ربما أدركوا أن بعض الأعمال لا تخضع لقوانين التقادم، تظل تنبض تحت سطح الزمن، تنتظر لحظة بعثها من جديد.
هل كان على اللوحة أن تصمد ثلاثين عاما في النسيان حتى يعاد استدعاؤها للحياة؟
هل كان هذا التاريخ، الذي بدا كعائق في البداية، قد تحول إلى نقطة قوة، إلى شهادة إثبات على أن العمل، رغم قدمه، لا يزال يحمل روحا متجددة؟

كان علـيّ أن أسـلم اللوحــة الأصليــة للجاليــري بالمهندسـين ، فدخلـت المخـزن حيـث رقـدت ثلاثيـن عامـا، صامتــة، مسـتكينة، وكأنهـا استسـلمت لمصيرهـا المحتـوم.

حين رفعتهـا، تطايـر الغبـار عنهـا كمـا لـو كانـت تهـز عـن كاهلهـا تـراب القبـر، كانـت طبقـة الغبـار كثيفـة، كأنهـا كفـن رمـادي صامت، كأنهـا جـزء مـن قصـة اللوحـة نفسـها، التـي جسـدت فـي قلبهـا " قبـر يحتضـن جسـد ممـدد منـذ ثلاثيـن عـام"

كمـا لـو أن القدر كان يسخر منـي، واضعـا اللوحـة نفسـها فـي قبـر آخـر، مخـزن بـارد شتاءاً. شـديد الحـرارة صيفـاً، معتـم، لـم تغـادره منذ أن رفضـدت أول مـرة.

تأملــت اللوحــة طويـلا، وشــعرت برغبــة غريبــة فــي أن أمنحهـا لحظـة وداع، ثـم بـدأت أغسـلها، وكأننـي أطهرهـا مـن الزمـن، كأننــي أعدهـا للقيامــة .

كنــت أزيـل عنهـا تـراب السـنين بحـرص، كمـا لـو كنـت أقيـم طقسـا قديمـا مـن طقـوس البعـث، شـعرت وكأننـي أعيـد تشـكيلها مـن جديد، كمـا يعـاد تشـكيل الطيـن الأول، كمـا ينفـخ الـروح فـي الجسـد الميـت.

وبينما كنت أمسح تفاصيلها، لم يسعني إلا أن أتساءل:

هل سيكون هذا حقا تشييعها إلى مثواها الأخير؟

هل ستبعث من جديد، وتجد لنفسها مقاما يليق بها؟

كانت الخيارات مفتوحة، كل الاحتمالات ممكنة.

إذا رفضـت فـي الفـرز الثانـي، سـأضطر لاسـتعادتها مجـددا، لتعـود إلـى المخـزن وكأن شـيئا لـم يكـن.

أما إذا قبلت، فسوف تعرض في المعرض، وستمتلك فرصتها أخيرا للقاء الجمهور، وربما تجد جامعا للفن يتبناها، او" هذا الحلم الذي داعبني للحظات" تحصل على إحدى الجوائز، فتنتقل مباشرة إلى المتحف المصري الكبير، حيث ستجد مكانا يليق بها، بعيدا عن ركام الزمن في زوايا المخزن المظلمة.

لم يكن هناك وقت للتردد. قمت بتغليفها بعناية، أحطتها بغلاف شفاف، كشرنقة تعدها لحياة أخرى، كأنها تستعد للخروج من ظلمة القبر إلى نور العالم.

كنت أعلم أنني أرسلها إلى مصير مجهول، إلى محكمة لا ترحم، لكنني كنت امل أن تكون هذه المرة مختلفة، هذه المرة لن تعود إلى ظلمات المخزن، فإما أن تجد مكانها الذي تستحقه، أو تخلد في فضاء آخر، أبعد من كونها لوحة منسية.

ثم حملتها وسافرت إلى القاهرة، حيث سلمتها إلى الجاليري، مودعا إياها بإحساس مختلط من الأمل والترقب.

وبعد أيام قليلة، جاء الإعلان المنتظر:

اللوحة اجتازت الفرز الثاني، وقبلت للعرض في المسابقة.

حين أعلنت نتيجة الفرز الثاني، كان القرار قد حسم: لقد قبلت اللوحة، وستعرض أخيرا، بعد ثلاثين عاما من التيه. المصير، كان انتظار، ولم يكن موت، كان كمون لحياة لم تأت بعد.

المصــــير..
.... تتويج بعد البعث

جـاء يـوم الافتتـاح، وتقدمـت بخطـوات متـرددة، كمـن يعيـد اكتشـاف نفسـه فـي عالـم لـم يعـد يعرفـه. لـم أكـن وحـدي، كانـت «المصيـر» معـي، لكـن هـذه المـرة لـم تكـن منفيـة فـي ظلمـات المخـازن، لا، معلقـة تحـت الأضـواء، محاطـة بعيـون تتأملهـا، بعقـول تحـاول فـك شـفرتها ، وبألسـنة تلهـج بالإعجـاب والدهشــة .

وجـدت نفسـي غـارق فـي سـيل مـن الثنـاء، ”أعضـاء لجنـة التحكيـم، الفنانـون المشـاركون، الجمهـور، جميعهـم وقفـوا أمـام اللوحـة وكأنهـم يواجهـون كشـف جديـد، دهشـة فنيـة لـم يألفوهـا مـن قبـل“ .

سـمعت كلمـات مثـل: «أسـلوب فريـد»، «طـرح غيـر مألـوف»، «تحـول جـذري فـي مسـيرتك» «لوحـة رثينـة » ، حتـى إن بعضهـم تسـاءل: «كيـف اسـتطعت أن تنتقـل مـن الواقعيـة التعبيريـة إلـى هـذا التجريـد التركيبـي بهـذه السـرعة ؟»

كنـت ابتسـم، ولـم أجـب مباشـرة، أشـرت بإصبعـي إلـى التاريـخ المـدون علـى اللوحـة، ”1994“ ، وهنـا انفجـرت الدهشـة فـي عيونهـم، وكأنّنـي فجـرت أمامهـم مفارقـة زمنيـة.

كيف؟ هذه كانت بدايتك؟ ولماذا تركتها؟

لماذا لم تستمر؟ خسارة إن لم تكمل هذا الطريق!

لـم يكـن لـدي جـواب شـاف، فهـل أقـول لهـم إننـي لـم أتركهـا، انمـا الزمـن هـو مـن تركنـي؟
هـل أعتـرف بأننـي كنـت أحتـاج ثلاثيـن عامـا لأرى لوحتـي بعيونهـم؟ أم أقـول إننـي كنـت بحاجـة إلـى هـذا الرفـض الأول، كـي أعـود الآن وأحملهـا منتصـرا إلـى الضـوء؟

بعـد أسـبوعين، وبينمـا كنـت أسـترجع المشـهد بـكل تفاصيلـه، جاءنـي إشـعار علـى هاتفـي، رسـالة عبـر «واتسـاب». ضغطـت علـى الإشـعار وفتحـت الرسـالة:
« تهانينا! لقد حصلت على جائزة المعرض.
نرجو حضورك لاستلام الجائزة في حفل الختام.»
للحظـة، توقـف الزمـن. أعادنـي عقلـي ثلاثيـن عامـا إلـى الـوراء، إلـى تلـك اللحظـة التـي حملـت فيهـا لوحتـي مرفوضـة، عائـدا بهـا إلـى المخـزن حيـث نامـت كل تلـك السـنوات.
لكـن الآن، السـيناريو انقلـب تمامـا. هـذه المـرة، لـن تعـود اللوحـة إلـى الظـلام، هـذه المرة ستتوج.

وفـي حفـل الختـام، وقفـت هنـاك، حيـث لـم أكـن أتخيـل نفسـي قبـل ثلاثـة عقـود. أعلنـت الجوائـز، «المركـز الثانـي – تصويـر»، اسـمي ينطـق فـي الميكروفـون، وسـط تصفيـق الحاضريـن.
نظـرت إلـى «المصيـر»، إلـى اللوحـة التـي عبـرت معـي الزمـن، إلـى تلـك القطعـة مـن روحـي التـي ظننتهـا ماتـت، فـإذا بهـا تنبعـث مجـددا، لتكـون شـهادة علـى أن بعـض الأحـلام لا تمـوت، قـد تدخـل فـي سـبات عميـق، حتـى يحيـن أوان بعثهـا مـن جديـد.

المصـــير.
.... بين النبوءة والعودة

عندما علمت بالنتيجة، لم يكن الفرح خالصا، ولا الحزن صافيا. كان مزيجا غريبا، "كتجربة لونية لا تعرف إن كانت ولادة لضوء جديد، أم سقوطا في ظل قديم".
كنت سعيدا، نعم، لأنني أخيرا وجدت من يرى ما رأيته يوم رسمت تلك اللوحة لأول مرة
كنت على حق حين ابتكرت ألوانها، حين مزجت الضوء بالعتمة، والحياة بالموت، والصمت بالصرخة المكبوتة.
كنت على حق عندما آمنت بها، حتى وإن تخليت عنها لاحقا، حتى وإن نفيتها إلى زاوية منسية. "فاللوحات رسائل، نبوءات تلقى على القماش، تنتظر من يقرأها حين يحين وقتها."

كنت سعيدا بالجائزة، ليس لأنها تكريم، ولا لقيمتها المادية، ولكن لأنها كانت مبرر صامت لخياري الأول، ذلك القرار القديم الذي أخذته في لحظة صدق مع نفسي: أن يكون الرسم طريقي، أن أكرس حياتي له دون ندم، دون تردد.
لكن الحزن كان يزاحم هذا الفرح، كان هناك شعور خفي بالندم، على ضعفي أمام الزمن، على استسلامي السريع، على أنني سلمت الراية من أول جولة، وانحرفت عن المسار الذي بدأته بقوة، ثم تركته دون أن ألتفت.
كنت هناك مبكرا، على طريق كنت أملك مفاتيحه، لكنني رجعت قبل أن أصل، كأنني تراجعت عن حلمي وأنا على وشك لمسه.

كـم كان مؤلمـا أن أرى فـي عيـون الآخريـن مـا كان يجـب أن أراه في عيني قبل ثلاثين عامـا! أن يخبرونـي بأننـي كنت علـى الطريـق الصحيـح، بينمـا أنـا مـن ظننـت أننـي كنـت تائهـا.

لكن، أليس الفن مثل الزمن، دائم الدوران؟ أليس هـو إعـادة خلق مسـتمرة، بعث لا يتوقـف؟

ربمـا لـم يكـن مـا مضـى كان اختبـار. وربمـا، كمـا بعثـت «المصيـر» مـن جديـد، كان علـيّ أن أبعـث معهـا، أن أعـود، ليـس إلـى الماضـي، ولكـن إلـى المسـتقبل الـذي كان ينبغـي أن يكـون لـي منـذ البدايـة.



مع لوحة المصر واستلام الجائزة - جاليرى ضى يونيو 2022

المصـــــير.
..............الخلق وإعادة الخلق

كانت لوحة «المصير» عمل قديم طواه النسيان لثلاثة عقود، كانت أشبه بجرح زمني لم يلتئم، ببوابة مؤجلة لم أكن مستعدا لعبورها حين رسمتها لأول مرة.

تخطت كونها لون وشكل، كانت نبوءة صامتة، تحكي مستقبلي قبل أن أعيه، وكأن الفرشاة تخطت وعي اللحظة، الى حدس القادم.

وحين تأكدت أن موقعي آمن، أنني لم أضل الطريق، كنت فقط في استراحة طويلة على هامش المسيرة، قررت العودة.

لكن هذه المرة، تخطيت نقطة البدء، إلى ،جوهر البدايات، إلى جذور الأسئلة التي حملتها معي دون أن أعيها يوم أمسكت بالفرشاة لأول مرة.

عندما أعادتني «المصير» إلى ساحة الفن المفاهيمي ، كانت بمثابة بعث جديد، إحياء لرؤية لم تكتمل، ورحلة، إلى السؤال الأول، إلى الدهشة الأولى، إلى لحظة الخلق...

ولكن برؤية من يعرف أن كل بداية هي أيضا عودة، وكل عودة هي ولادة جديدة.

كان من الطبيعي إذن أن تكون أولى محطاتي في هذه العودة عمل يهدم ويعيد بناء فكرة الخلق نفسها.

كان أقـرب اختبـار لهـذه العـودة هـو المعـرض العـام الثالـث والأربعـون،2023، تخطـت مشـاركتي كلوحـة جديـدة ، الـى مواجهـة مـع الزمـن، مـع مفهـوم البدايـة ذاتهـا.
قدمـت عمـل مفاهيمـي بعنـوان « شـق القمـر»، نقـدا لفكـرة خلـق آدم كمـا صورهـا الفن الكلاسيكي، وكأنني أردت أن أضـع تفسير آخـر للحظـة البـدء ، عمـل يزعـزع الثوابـت، عبـر إعـادة تركيـب الرمـوز، واضعـا الجسـد فـي مواجهـة الأسـطورة، والفـن فـي قلـب الأسئلة الوجوديـة.
فيهـا ، فككت رمزيـة الخلق كمـا تجسـدت فـي «خلـق آدم» لمايـكل أنجلـو، واعـدت تشـكيلها عبـر منظـور مـادي وجنـدري جـريء.
اليـدان الممدودتـان لا تلتقيـان، لوجـود فجـوة بينهمـا تحاكـي المهبـل، مـا يحـول لحظـة الخلـق مـن فعـل إلهـي خـارق إلـى ولادة بيولوجيـة نابعـة مـن الجسـد الأنثـوي.
اللوحـة تعيـد الاعتبـار لـدور المـرأة كقـوة خالقـة، وتنتقـد تهميشـها فـي السـرديات الدينيـة والتاريخيـة.

وفـي العـام التالـي فـي المعـرض العـام الرابـع والاربعيـن 2024 جـاء العمـل الأضخـم، عمـل تجهيـز فـي الفـراغ بعنـوان «عـزل»، حيـث تخطـى الموضـوع فكـرة ترسـم علـى سـطح، فـكان عالـم يخلـق داخـل مسـاحة، تجربـة حسـية يعيشـها المشـاهد، يتفاعـل معهـا ويعيـد قراءتهـا كل مـرة بمنظـور مختلـف.

ومـن هنـاك، توالـت الأفـكار والمشـاريع التـي لـم تجـد طريقهـا إلـى النـور بعـد، لكنهـا تتحـرك فـي الظـل، تنتظـر لحظـة ميلادهـا.

«تفاحـة آدم»، «هـذا غليـون»، » ،«مابعـد النافـورة»، « مـا بعـد الصـوت»، « شـبكة الادراك » ، سلسـلة مـن الاعمـال ، كل منهـا يمثـل نافـذة إلـى عالـم مـن التسـاؤلات، مـن الهـدم وإعـادة البنـاء، مـن الفهـم وإعـادة التأويـل.
وكأن لوحـة «المصيـر»، التـي أغلـق الزمـن أبوابهـا فـي وجهـي منـذ ثلاثيـن عامـا، لـم تكـن سـوى مفتاحـا مؤجـلا، بابـا كان يجـب أن يفتـح فـي لحظـة نضـج مختلفـة، حيـن أكـون مسـتعدا لعبـوره.

هكـذا، وجـدت نفسـي أسـير نحـو الفـن المعاصـر، نحـو المفاهيميـة والتجهيـز فـي الفـراغ، بعـد أن خضـت كل المغامـرات الممكنـة، مـن الطبيعـي إلـى التجريـدي، ومـن التعبيـري إلـى التصويـر الفوتوغرافـي، ثـم إلـى التعبيـري مجددا، وكأننـي كنـت أبحـث عـن الدائـرة التـي تكتمـل،
والآن، وجـدت اسـتقراري فـي الحركـة، فـي البحـث الدائـم، فـي الفـن الـذي يتخطـى كونـة مرئيـا، الـى ان يصبـح تجربـة كاملـة.

لتتحقـق النبـوءة التـي لـم أكـن أدركهـا حيـن رسـمت «المصيـر» فـي بدايـة الطريق...فكانـت مـرآة للمسـتقبل، بوابـة نحـو قـدر كنـت أسـير نحـوه دون أن أدري كـي أعـود إليـه مـن جديـد بعيـن أخـرى، بـروح أكثـر نضجـا، كأنهـا كانـت تنتظرنـي طـوال هـذه السـنوات لأقرأهـا مـن جديـد، كحقيقـة لـم أفهمهـا إلا متأخـرا.
ان مسـيرتي، مـن سـن السادسـة حتـى السـتين، كانـت حكايـة طويلـة، ممتلئـة بالحلـم، بالسـقوط، بالنهـوض، بالمغامـرات التـي لـم أخطـط لهـا، وبالنجاحـات التـي لـم أكـن أتوقعهـا.

من الهامش إلى المركز:

يتحول الابتكار الفني إلى مرجع أكاديمي

المقدمة:

لطالما كان الفن لغة عميقة تعكس الأبعاد الداخلية للفنان؛ فتختصر تلك الحكايات التي لا تقال، وتترجم الأحاسيس التي تعجز الكلمات عن التعبير عنها.

منذ بدايات مسيرتي، كنت أبحث عن طريقة جديدة للتعبير عن ذاتي، بعيدا عن الألوان التقليدية التي اعتاد الجميع عليها، سعيت إلى خلق لغة فنية تشبع حسا عميقا بالوجود والتجربة الإنسانية، خاصة في السياق المصري.

فالفن بالنسبة لي كان تمثيلا لروح الأرض وذكريات الزمن، وعلاقة الإنسان بجذوره وتاريخه.

لم يكن هذا المسار سهلا. كان الابتكار في الخامات بمثابة التحدي الأكبر، فالألوان التي ابتكرتها تخطت كبدائل عن الألوان الجاهزة، الى خامات تشكيلية ذات صبغة رمزية عميقة. استخدمت مواد طبيعية ومحلية، مثل الرمل، الأكاسيد، غراء الحمص، وألياف النباتات الجافة، لتشكيل خامة فنية جديدة تتسم بملمسٍ خاص، يترجم آلام الماضي وذكريات الأرض.

البحث الأكاديمي:

تحول الخامة من «العدم» إلى مرجع علمي
وقد جاء الاعتراف الأكاديمي ليوضح مدى أهمية تلك الخامات الفريدة التي طورتها عبر سنوات من التجريب.
في رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة، تحت إشراف الأساتذة :
أ.د/ نهى عبد العزيز. استاذ الرسم والتصوير - كلية التربية النوعية - جامعة عين شمس ، أ.م.د / سالي شبل.
استاذ الرسم والتصوير المساعد كلية التربية النوعية جامعة عين شمس ، أ.م.د/ عنايات حجاب استاذ علم النفس التربية الفنية المساعد كلية التربية النوعية جامعة عين شمس
، للباحث/ محروس عتاقي، المدرس المساعد بقسم التربيه الفنية . تم تناول أعمالي في سياق دراسة أكاديمية بعنوان: «مختارات من الرسوم المصرية المرتبطة بالضمير الجمعي المصري والاستفادة منها في تدريس التصوير».

هذه الرسالة درست الخامة المبتكرة التي استخدمتها باعتبارها وسيط بصري قادر على التعبير عن الوجدان الجمعي المصري.
تمت الإشارة إلى الرمزية العميقة التي تحملها هذه الخامات، وارتباطها الوثيق بالأرض المصرية ومفرداتها الطبيعية، مثل الرمل والتراب، مما يجعلها تعبير صادق عن تاريخ طويل من الفقد، المقاومة، والذاكرة الجماعية.

ما يميز هذه الدراسة بالاضافة الى الاعتراف الأكاديمي بأهمية الخامة، تم اعتبارها مدخلا تربويا يمكن الاستفادة منه في تعليم التصوير.

تم استعراض كيف يمكن تحويل العناصر البيئية المهملة إلى خامات تشكيلية تعزز الحس الإبداعي لدى الطلاب، وتشجع على الارتباط بالهوية المحلية.

فهذه الخامات تخطت كبدائل عن الألوان الجاهزة، الى تمثل لغة تشكيلية جديدة ومبتكرة، قادرة على إعادة تشكيل الواقع الفني والتربوي في نفس الوقت.

الفن بين التعليم والإبداع:

.... من التجريب إلى التطبيق

تحولت الخامة التي نشأت في مرسم متواضع من مواد بيئية بسيطة، إلى أداة تعليمية معترف بها أكاديميا، تستخدم في تدريس مهارات التصوير وتربية الذائقة الفنية لدى الأجيال القادمة. وبذلك، أصبحت هذه الخامة التي طورتها في عز الفقد والحرمان، مرجعا علميا يقدر في سياق التربية الفنية والفن المعاصر.

الفن والتجربة:

.... عملية بحث مستمر

لم يكن الهدف للابتكار الفني في الخامات هو التمرد على التقليدية، فقد كان محاولة للتعبير عن حالة وجودية شخصية، فالفنان عندما يبتكر لا يبحث فقط عن إبداع جديد، لكنه يسعى إلى إعادة تعريف حدود الفن ذاته.

فكل خيط من هذه الخامات كان يحمل في طياته قصة، تاريخا، وألما، كان من المفترض أن يكون له مكانه في تاريخ الفن.
التجربة الشخصية التي مررت بها، من الرفض الأول للأعمال التي استخدمت هذه الخامات إلى أن أصبحت جزءا من خطاب أكاديمي معتمد، تشهد على أن الفن الحقيقي لا يقاس بالوسائل، انما بالقدرة على تحويل كل ما هو عادي إلى شيء يتجاوز الحدود المعروفة.

التقييم الأكاديمي

..................والتأثير الثقافي

من خلال هذه الرسالة، أصبحت خاماتي جزءا من محتوى أكاديمي معترف به، و تعتبر نموذجا إبداعيا يستخدم لتعليم الأجيال القادمة.
الباحث محروس عتاقي قام بتحليل هذه الخامات بشكل عميق، وناقش تأثيرها الفلسفي على الفن المعاصر، مؤكداً أن هذه الخامات تحمل فيها تاريخا طويلا من التجربة الإنسانية والمعاناة الجمعية.

الختام:

الإبداع لا يعترف بالزمن

كانت تلك الخامات بداية لمشروع فني طويل، استمر لعقود، يهدف إلى الابتكار التقني، بالاضافة الى الاحتفاظ بالروح المصرية الأصيلة. فكل لوحة كانت بمثابة صرخة في وجه الزمان، وتحليل للأرض التي نشأت منها، تلك الأرض التي شهدت الكثير من التحولات والتغيرات.

واليوم، بعد أن تحولت هذه الخامات إلى مرجع أكاديمي، وأصبح البحث حولها جزءا من المادة التعليمية في جامعة القاهرة، يمكنني القول بفخر واعتزاز:
إن الفن لا يضيع، وإن الألوان التي ولدت من العدم كانت دائما تحمل في جوهرها القدرة على الخلود.

رسالة للجيل القادم:

...............تعلموا من التاريخ

كما ان للفن تقنيات تكتسبها الأيدي، فهو ايضا قدرة على تحطيم القيود، وخلق شيء جديد ينبض بالحياة.
تعلموا كيف يمكن لكل خيط في حياتكم أن يتحول إلى عمل فني، كيف يمكن لكل مادة مهملة أن تصبح جزءا من قصة تكتب في المستقبل.

المصير الفني:

...............من الرفض إلى التقدير

والآن، وقد أعطيت أعمالي ما تستحق من الاعتراف الأكاديمي، أستطيع القول بكل يقين أن الفن، قد يدخل في سبات عميق حتى يأتي زمانه ليبعث من جديد.
كما أعيد بعث خاماتي من العدم، أبعث أنا أيضا مع كل لوحة، وكل فكرة جديدة، وكل أداة مبتكرة.
في النهاية، الإبداع الحقيقي هو تلك اللحظة التي يتم فيها إعادة الاعتراف بما كان مرفوضا في البداية، ليصبح هو نفسه الأساس الذي يبنى عليه المستقبل.

ثلاث علب الـوان ...
ثلاث إنتـصارات ...
ثلاث خيبـــات ...

اليـوم، وانـا اقـف علـى مشـارف السـتين، انظـر إلـى تلـك العلـب الثـلاث التـي شـكلت حياتـي.

فهـي كمـا كانـت أدوات للرسـم ، كانـت ايضـا محطـات، صفحـات كتبتهـا بالفرشـاة تـارة، وبالدمع تـارة أخـرى. ثـلاث نجاحـات، ثـلاث خيبـات، وكثيـر مـن الـدروس التـي لا تمحـى.

فقـد كانـت علبـة الالـوان رمـزا للحلـم، للحظـة التقـي فيهـا الواقـع بالمسـتحيل، لكـن فـي كل مـرة امتلكـت ألوانـي، كانـت الحيـاة تخفـي خلفهـا اختبـار جديـد، كأن القـدر لـم يكـن يمنحنـي الألـوان بقـدر مـا كان يضعنـي فـي مواجهـة مـع الحقيقـة.

فـي كل مـرة امتلكـت علبـة ألـوان، كنـت اواجـه وعـدا مؤجـلا، اختبـار خفـي، وكأن الألـوان مفاتيـح لمصائـر لـم تكـن قـد كشـفت بعـد.

ثـلاث مـرات امتلكتهـا، وثـلاث مـرات اكتشـفت أن الحلـم حيـن يتحقـق لا يأتـي نقيـا، يأتـي محمـلا بالأسـئلة، بالخـذلان، وأحيانـا بالانتصـار

العلبة الاولى : 1979
الحلم الأول... والخذلان الأول

حين كنت فى الصف الثانى الاعدادى ، أعطانى أستاذي «مسعد رياض» علبة الألوان وأوراق الرسم، للمشاركة فى مسابقة تنظمتها المديرية ، واعطاني برهة اسبوعين، كان ذلك أشبه بأن تمنح الروح جناحين للمرة الأولى.

لم انتظر الأسبوعين، أو حتى يوما واحدا، فقد أمضيت ليلتي ارسم كل ما كان معي من اوراق ، وكأن العمر كله كان يختبئ في تلك اللحظة.

لكن العالم لا يثق بأصحاب المواهب الفطرية، فمن يتجاوز التوقعات يشكك فيه قبل أن يحتفى به.

جاءت لجنة التحقيق، لم تصدق أن هذه الأعمال خرجت من يد فتى في الثالثة عشرة، وكأن الإبداع يحتاج إلى تصريح رسمي ليكون حقيقيا.

وقبل أن يملي عليّ أحد شروط البراءة، واجهتهم بشجاعة: «لو مش مصدقين، ارسمهم لكم على السبورة الآن.»

لم يكن لديهم رد. لم يكن لديهم سوى الانسحاب بصمت، لكنهم لم ينسحبوا دون أن يتركوا أثرهم القاسي: استبعدت أعمالي من المسابقة.

كان هذا أول درس في الظلم، أول لقاء بين الفن والسلطة، بين الموهبة والشك، بين الحلم والخذلان.

العلبة الثانية: 1987
هدية الجامعة... والخذلان الثاني

بعد سنوات، حين دخلت الجامعة، لم اكن اعلم أن القدر يخفي لي فرصة أخرى، كان وجود أتيليه بالجامعة أشبه بإكتشاف كنز مدفون، فهناك، للمرة الأولى، لمست الألوان الزيتية، تعاملت مع الفرشاة بحرية، لم اكن احتاج إلى شراء الألوان أو القلق من نفادها.

وفي تلك المساحة الجديدة، ولدت لوحاتي الأولى على الخشب، وكأنها إعلان خفي بأن الطريق قد بدأ.

كانت النتيجة أكثر مما تخيلت: فازت إحدى لوحاتي بالجائزة الأولى تصوير ، جامعات 1987.

لم يكن هناك تحقيق هذه المرة، لم يكن هناك استبعاد، فقط كان هناك فنان يبدأ في إثبات نفسه وسط عالم أوسع.

اما الخزلان فقد جاء بعدها بعامين عندما استبعدت اعمالي للمرة الثانية من مسابقة الجامعة 1989في التصوير الزيتي لنفس سبب الخذلان الاول ، ان هناك من ساعده في الرسم فضربة الفرشاه فيها احترافية ، فيها صنعة اكثر من مقدرة طالب،

العلبة الثالثة: 2017 ،
منحة التفرغ... الانتصار الكبير... والخذلان الثالث

لكن القصة لم تنته بعد، فالفرصة الحقيقية لم تأت إلا بعد عقدين، حين حصلت على منحة التفرغ من وزارة الثقافة المصرية. كان المشروع بعنوان «ع الرملة»، وكان المطلوب ثلاث لوحات فقط،

لكن حين فتح العالم أمامي، لم استطع أن احد نفسي بثلاثة أعمال... فرسمت 140 عملاً زيتيا و300 سكتش في عام واحد.
لم يكن الإنجاز في العدد وحده، فكان في الروح التي حملتها تلك اللوحات، في التحول من الفتى الذي كان يحرم من الألوان إلى الفنان الذي ينتج بحرية، في الانتصار على الزمن والقهر والخذلان.
جاءت المعارض، «ع الرملة» ثم «شط إسكندرية » ، ليشهدا على رحلة طويلة، لم تكن سهلة، لكنها كانت صادقة. وكتب النقاد، تحدثوا، حللوا، ناقشوا، لكنهم جميعا وقفوا أمام الحقيقة ذاتها: هذا الفنان ولد في اللحظة التي قرر فيها أن يصنع الوانه بنفسه. وليس فى اللحظة التى حصل فيها عليها
وجاء الخذلان من « لجنه التفرغ »الذي شاهدت هي والعالم علي تفوقي على شاشات التلفزيون ، على صفحات الجرائد،على المواقع الاليكترونية ، علي إنجازي، على مثابرتي.
في البداية تم الإعتذار عن رعاية المعارض بطبع كتالوج لهما، ثم كانت المكافاة ،الغاء منحة التفرغ وعدم التجديد لعام أخر.
وكانت تلك دروس في الخيبة، في إدراك أن الموهبة وحدها لا تكفي، وأن الطريق إلى الفن مفروش بالألم .

ولكن، هل إنتهت الحكاية ؟ لا أعلم... فربما تحمل الأيام القادمة لونا لم أكتشفه بعد، ولوحة لم أرسمها بعد، وحلما جديدا لم يولد بعد.

«مـن علبـة ألـوان متواضعـة فـي طفولـة بعيـدة، إنطلقت رحلـة عبر القارات والأحلام، كانت نحتا للـذات فـي مواجهـة التحديـات، وإيمانـا بـأن الفـن، مهمـا تنوعـت مسـاراته، يظـل الخيـط الذهبـي الـذي يربـط بيـن الـروح والوجـود، تـاركا علـى قمـاش الحيـاة بصمـات لا يمحوهـا الزمـن.»

20 العـــــودة .... إلى المعنى

لـم تكـن فكـرة كتابـة سـيرتي الذاتيـة مطروحـة فـي ذهنـي طـوال سـنوات العمـل الطويلـة التـي قضيتهـا مـع الفـن. كنت أؤمـن أن اللوحـة قـادرة علـى أن تقـول مـا تعجـز الكلمـات عـن قولـه، وأن أثـر الفنـان الحقيقـي يظـل فـي أعمالـه أكثـر ممـا يظـل فـي الحكايـات التـي تـروى عنـه.

الا أن بعـض اللحظـات فـي حيـاة الفنـان تتجـاوز حـدود التجربـة الشـخصية، لتصبـح لحظـة تأسـيس أو انعطـاف يسـتدعي التوثيـق والتأمـل.

وقـد جـاءت هـذه اللحظـة فـي مسـيرتي حيـن أخـذت أعمالي المفاهيميـة تتبلـور تدريجيـا فـي مسـار فكـري وبصـري قادنـي إلـى صياغـة مـا أسـميته تيـار « مـا بعـد الإدراك»؛ وهـو مقتـرح فنـي يسـعى إلـى إعـادة مسـاءلة العلاقـة بيـن العمـل الفنـي والمتلقـي، وبيـن الحـواس والمعنـى، وبيـن الإدراك كأداة للفهـم والإدراك كموضـوع للنقـد والتفكيـك.

تكـون هـذا المسـار عبـر عـدد مـن التجـارب والأعمـال المفاهيميـة التـي تجـاوزت الثلاثيـن عمـل، جـاءت نتيجـة رحلـة طويلـة امتـدت لأكثـر مـن ثلاثـة عقـود مـن البحـث والتجريـب والتنقـل بيـن الأسـاليب والوسـائط والمـدارس الفنيـة.

أن اللحظة التي أعلنت فيها ميلاد هذا الاتجاه بوضوح كانت من خلال العمل التركيبي «عزل»، الذي شكل إحدى البذور الأولى لتبلور هذا التيار.
وقد جاءت المفارقة اللافتة حين فاز هذا العمل بالمشاركة في بينالي مالطا الدولي الثاني 2026، عند تلك اللحظة شعرت أن الرحلة التي بدأت منذ الطفولة، بطفل يحلم بامتلاك علبة ألوان، قد وصلت إلى محطة تستحق أن تروى.
فلم يعد الأمر مجرد مسيرة فنان واجه الفقر وقلة الإمكانات وتعلم الفن خارج المؤسسات الأكاديمية، أصبحت تجربة قادت في نهايتها إلى محاولة طرح رؤية فنية جديدة تسعى إلى زعزعة يقين الإدراك وإعادة التفكير في العلاقة بين الفن والعالم.
من هنا جاءت فكرة هذا الكتاب. كمحاولة لفهم الطريق الذي قاد إلى هذه اللحظة: كيف بدأت الحكاية بعلبة ألوان صغيرة في طفولة بعيدة، وكيف تحولت تلك الرحلة، عبر عقود من العمل والتجريب، إلى تجربة فنية وفكرية تسعى إلى فتح أفق جديد في التفكير البصري.
هذه الصفحات إذن سيرة حياة وسيرة فكرة... فكرة تشكلت ببطء عبر السنين، حتى وجدت صورتها الأولى في عمل فني حمل اسم «عزل»، ومنه بدأت ملامح «ما بعد الإدراك» في الظهور.
ومن تلك اللحظة، بدا لي أن الحكاية تستحق أن تروى. فأن أي فكرة فنية لا تولد في الفراغ، ولا يظهر تيار فجأة من العدم؛ فخلف كل رؤية جديدة تاريخ طويل من التجربة

والتراكم، ومن المحاولات والأسئلة التي تتشكل ببطء عبر السنين.

لقد كان ما أسميته اليوم «ما بعد الإدراك» ثمرة رحلة ممتدة عبر عقود من العمل والتجريب، رحلة بدأت بخطوات متواضعة في معارض محلية، ثم اتسعت تدريجيا لتشمل مشاركات عربية ودولية، ولقاءات مع فنانين ونقاد وجماهير من ثقافات متعددة.

وفي تلك المسيرة الطويلة، كانت كل تجربة فنية، وكل معرض، وكل حوار بصري مع الآخر، لبنة جديدة في بناء الرؤية التي تبلورت لاحقا في هذا المسار المفاهيمي. ليصبح من الضروري العودة قليلا إلى تلك الرحلة نفسها؛ إلى المحطات التي صنعت هذا التراكم، ومهدت الطريق لتشكل هذه الرؤية.

لكن أي رحلة لا تفهم من نهايتها وحدها، انما من بدايتها الأولى؛ من تلك اللحظة الصغيرة التي تبدو عابرة في حياة طفل، بينما تخبئ في داخلها بذرة مصير كامل.

قبل المعارض والجوائز والبيناليات الدولية، وقبل أن تتشكل الأفكار التي قادت إلى «ما بعد الإدراك»، كانت هناك حكاية أبسط بكثير: حكاية طفل يحلم بامتلاك علبة ألوان. طفل لم يكن يدرك أن تلك العلبة الصغيرة ستصبح يوما ما رمزا لرحلة طويلة، رحلة امتدت من فقر البدايات إلى اتساع التجربة، ومن محاولات خجولة على أوراق المدرسة إلى أعمال مفاهيمية تعرض في محافل دولية.

وخلال هذه الرحلة الممتدة في عالم الفن التشكيلي، كانت مشاركاتي في المعارض المحلية والدولية بمثابة محطات مضيئة في مسيرتي الفنية، إذ أتاحت لي فرص متعددة للحوار مع تجارب فنية متنوعة، وأسهمت في توسيع أفق رؤيتي الجمالية والفكرية.
ومع مرور الوقت، توالت مشاركاتي بين معارض فردية وجماعية، كل واحدة منها كانت بمثابة نبضة جديدة في شريان تجربتي الفنية.
في هذه الصفحات، أقدم عملين شكلوا منعطف جديد في مساري الفني، وكأنني أعود إلى تلك اللحظة الأولى التي بدأت فيها الحكاية ؛ إلى البذرة التي غرستها ذات يوم في لوحة «المصير».
كانت تلك البداية الأولى، قبل أن تأخذني الرحلة عبر أكثر من ثلاثين عام، تنقلت خلالها بين إتجاهات ومدارس وأساليب ووسائط متعددة.
واليوم، وبعد هذا الترحال الطويل، أجدني أعود إلى الجوهر، إلى المفهومي، ولكن بوعي مغاير.
أعود وقد تراكب في داخلي زمن من التأمل العميق، والرؤية الناضجة، ومراقبة صامتة لتحولات الذات والعالم.
وكانت البداية الجديدة بلوحة «شق القمر» لوحة تصف الخلق كفجوة .صمت يسبق الولادة .. ثم بعمل فنى تجهيز فى الفراغ بعنوان عزل
. العودة هنا مثلث قفزة إلى أفق جديد، تتجاوز الإستئناف نحو إعادة تشكيل المعنى. إنها أشبه بحلقة مكتملة؛ حيث

تصبح البداية هي النهاية، والنهاية عودة إلى الدهشة الأولى، إلى الطفولة بمعناها الوجودي: البراءة، الضعف، والإندهاش.
من هذه العودة ولد ما أسميته في البدية «الادراك التجاوزي » ليستقر الى «ما بعد الادراك » مقترح فني وفلسفي، يسعى إلى تجاوز ما سبقوا، إلى إبتكار علاقة جديدة بين العمل الفني والإدراك، بين المتلقي والتجربة، بين المعنى والحس.
وعى يطمح لإعادة تأسيس العلاقة بين الإنسان، والفن، والعالم.

من امتلاك اللون.. إلى صناعة الوعي

لم تكن رحلة الستين عاماً مجرد انتقال من طفل يحلم بـ "علبة ألوان" في أزقة قلين إلى فنان يمتلك أدواته، كانت تحول جذري في طبيعة السؤال الذي يطرحه الفن.
فبعد عقود من الاشتغال على اللوحة والمنحوتة والموضوع، أدركت أن ما يستحق المساءلة حقاً ليس "ما نراه"،انما "كيف نراه".
من هنا، ومن رحم العزلة والتأمل، ولد تيار «ما بعد الإدراك» (Post-Perception). ، كضرورة وجودية في عصر "المحاكاة الكاملة" والتزييف العميق، حيث أصبحت الصور تخلق من العدم بفضل الذكاء الاصطناعي، وتداخلت الحقيقة بالوهم حتى باتت حواسنا تخوننا.

«مـا بعـد الإدراك» هـو ''مختبـر للوعــي''.
إنـه مشـروع يسـعى لبنـاء ''مناعـة إدراكيـة'' تحمـي الإنسـان مـن التضليـل البصـري واللغـوي. عبـر سـت محطـات مفصليـة '' بـدأت بخلخلـة يقيـن ''الغليـون'' وانتهـت بتفكيـك ''سـلطة المـكان'' تبلـورت رؤيـة تهـدف إلـى زعزعـة الثقـة العميـاء بالحـواس، وتحويـل المتلقـي مـن ''متفـرج مسـتهلك'' إلـى ''شـريك فاعـل'' فـي بنـاء المعنـى.
هـذه الرحلـة التـي وثقهـا هـذا الكتـاب عبـر صفحاتـه، لـم تنتـهِ عنـد مشـارف السـتين باعتـراف مؤسسـي أو مشـاركة دوليـة فـي ''بينالـي مالطـا''، انمـا بـدأت مـن جديـد كأفـق مفتـوح.
التيـار اليـوم يضـم أكثـر مـن 30 عمـل فنـي، وبيـان تأسيسـي، وسلسـلة مـن الدراسـات، لكـن جوهـره يظـل واحـداً:
الفن كأداة للمقاومة المعرفية.

شق القـــمر

.... تفكيك الخلق وإعادة تركيبه فنياً



شق القمر - فحم نباتي، توال، أكريليك على خشب

160×160 سم-انتاج 2023

عرضت اللوحة بالمعرض العام 43 بقصر الفنون ارض الاوبرا 2023م

قراءة نقدية في لوحة «شق القمر»:
إزاحة المركزية الذكورية
وإعادة تأويل الأنطولوجيا

في مواجهة حادة مع الكوزموغونيا الكلاسيكية (نظريات نشأة الكون)، تطرح لوحة «شق القمر» للفنان إبراهيم شلبي بيان بصري راديكالي، ينقل ثقل «القداسة» من الفضاء الميتافيزيقي العلوي إلى الحيز البيولوجي الأرضي.
العمل يتجاوز إعادة قراءة الرموز التاريخية، الى اعادة هيكلتها جذرياً، مستبدلاً «اللمسة الإلهية» الشهيرة في جدارية مايكل أنجلو «خلق آدم» بشق مادي غائر ينتهي بتجسيد عضوي للأنوثة بوصفها المصدر الأول والوحيد للحياة.

بنية التكوين: هندسة الفراغ والمقدس

تعتمد اللوحة تكوين دائري يحاكي الوحدة الكونية الشاملة، لكن هذا التناظر يتهشم أمام «الشق» الذي يشغل المركز كمحور درامي يمزق الصمت البصري.
الخلفية، المشغولة بالفحم النباتي، ليست مجرد مساحة سوداء، هي «فلسفة للمادة»؛ فالفحم، كنتاج للاحتراق والتحول، يمثل رمزية الموت الذي يمهد للولادة. هذا الاتصال بين خشونة الفحم ودقة رسم الأيدي يخلق توتر تقني يعزز المسافة بين «الفراغ الكوني» و»التجسيد البصري الواقعي».

الشق كعتبة وجودية: من الانفصال إلى الاتصال

يمثل «الشق» في هذا العمل رمزية مزدوجة؛ فهو ممر وفصل في آن واحد. الفنان هنا يعيد فعل «الخلق» إلى منبعه الأنثوي الأصلي.

الأيدي المرسومة بمهارة تشريحية فائقة لا تبحث عن تلامس مع قوى غيبية، انما تشير نحو «الرحم» كمركز ثقل جديد للكون. هنا، يتحول المهبل من عضو تشريحي إلى «مقدس مادي»، يعيد تعريف البداية خارج إطار السرديات الأبوية التقليدية.

حوارية التفكيك: مواجهة «خلق آدم»

لوحة «شق القمر» لا تهاجم الفن الكلاسيكي، انما «تستجوبه». إنها عملية تفكيك للرمز الأيقوني الأهم في الفن الديني الغربي. من خلال خلق حاجز بصري وجسدي بين الأيدي، يستبدل شلبي «الخلق اللحظي» الإلهي بـ «الخلق المستمر» الطبيعي. إنها إزاحة للمركز من «الإله الأبوي» إلى «المصدر الأنثوي»، ومن السلطة الرمزية العلوية إلى السلطة المادية للجسد.

الخلاصة: الفن كفعل تحريض معرفي

تكمن قيمة العمل في شجاعته على زعزعة اليقين البصري وتحدي الرؤية السائدة للوجود. شلبي يقدم فن للتحريض المعرفي؛ حيث تتحول الفجوة بين اليدين إلى فجوة تساؤل: هل الخلق معجزة خارقة أم فعل بيولوجي متكرر؟

إن «شق القمر» هو انفجار رمزي يعيد الجسد الأنثوي إلى قلب الحكاية الكبرى للوجود، محولاً الجدل الدائر حول العمل إلى جزء أصيل من جمالياته.

الفن هنا خلخلة للأسطورة وإعادة اعتبار للمادة والجسد والأنثى في تاريخ الخلق الفني.

الدائرة التي إكتملت

من علبة ألوان إلى جناح في
Malta Biennale 2026

من أشياء أكثر فقرا مما كنت أحلم به في طفولتي:
فوارغ علب أدوية، ونشرات طبية مهملة، وحبوب أدوية منتهية الصلاحية.
كانت تلك الأشياء، التي يراها الناس مجرد بقايا لا قيمة لها، تتحول بين يديّ إلى مادة للتفكير والتأمل، وإلى شكل فني يقف داخل فضاء عالمي - بينالي مالطا الدولي ،إلى جوار أعمال جرى إعدادها بميزانيات ضخمة.
عندها فقط فهمت شيئا ظل يرافقني طوال الرحلة: لم تكن المشكلة يوما في امتلاك الألوان،انما في القدرة على رؤية اللون حتى في أكثر الأشياء فقرا.

ربما لم أستطع في طفولتي أن أشتري علبة ألوان، لكن الحياة منحتني شيئا آخر أهم منها بكثير...
أن أتعلم كيف أصنع ألواني من العالم نفسه

21 من قلين إلى مالطا

هنـاك لحظـات قليلـة فـي حيـاة الإنسـان يشـعر فيهـا أن الزمـن قـد انحنـى فجـأة، وأن الطريـق الطويـل الـذي قطعـه فـي صمـت صـار مرئيـا أمامـه دفعـة واحـدة. لحظـات تبـدو وكأنهـا نقطـة تلتقـي فيهـا البدايـات البعيـدة بالنهايـات التـي لـم يكـن يتخيلهـا.

إحـدى تلـك اللحظـات كانـت عندمـا وصلتنـي رسـالة القبـول بالمشـاركة فـي بينالـي مالطـا Malta Biennale 2026.

لـم أفكـر أولا فـي قيمـة الحـدث الفنـي ولا فـي حجـم المنافسـة الدوليـة.

مـا خطـر فـي بالـي فـي تلـك اللحظـة كان شـيئا أبسـط بكثيـر...

تذكـرت طفـل صغيـر، فـي السادسـة مـن عمـره، يقـف أمـام مكتبـة صغيـرة فـي مدينـة بعيـدة، يحلـم فقـط بامتـلاك علبـة ألـوان.

ذلـك الطفـل لـم يكـن يعـرف شـيئا عـن البيناليـات الدوليـة، ولا عـن الفـن المفاهيمـي، ولا عـن التيـارات الفنيـة.

كان يعـرف شـيئا واحـدا فقـط: أنـه يريـد أن يرسـم. لـم يكـن الطريـق بيـن تلـك اللحظـة البعيـدة وهـذه اللحظـة القصيـة طريقـا مسـتقيما.

لقـد كان طريقـا طويـلًا، مليئـا بالمنعطفـات والتجـارب، بالدهشـة أحيانـا، و بالحرمـان كثيـراً. طريقـا تعلمـت فيـه أن الفـن يصنـع بـالأدوات،و بالصبـر، وبالقـدرة علـى الاسـتمرار حتـى عندمـا تبـدو الظـروف كلهـا غيـر مواتيـة.

ومـع مـرور السـنوات، تحولـت المحـاولات الأولـى إلـى تجربـة فنيـة أخـذت تتشـكل ببطء، عبـر المعـارض واللقـاءات والأسـفار، وعبـر الحـوار الدائـم مـع الأسئلة التـي يطرحهـا الفـن علـى صاحبـه قبـل أن يطرحهـا علـى الآخريـن.

لكن المشاركة في بينالي مالطا 26 لم تكن مجرد محطة جديدة في هذا الطريق، كانت لحظة مختلفة، لحظة تحمل معنى خاص في مسيرتي.
فقد شهدت هذه الدورة من البينالي منافسة واسعة، حيث تقدم للمشاركة أكثر من 3200 فنان من 122 دولة حول العالم.
ومن بين هذا العدد الكبير لم يتم اختيار سوى 47 مشروعا فنيا فقط من 21 دولة.
عندما أدركت أن العمل الذي قدمته قد اختير ليمثل بلدي في هذا الحدث الدولي، شعرت أن الأمر يتجاوز حدود المشاركة الشخصية. لم يعد الأمر مجرد تجربة فنية لفنان فرد، أصبح لحظة تحمل في طياتها معنى أوسع؛ معنى أن رحلة بدأت في ظروف متواضعة للغاية يمكن أن تصل، بعد عقود من العمل، إلى منصة فنية عالمية.
العمل الذي شاركت به في البينالي حمل عنوان «عزل».
كان العمل جزءا من مسار فكري وبصري بدأ يتشكل في تجربتي خلال السنوات الأخيرة، مسار قادني إلى صياغة « تيار ما بعد الإدراك».
في هذا العمل، حاولت أن أخلق حالة من التوتر بين الحضور والغياب، بين الإدراك المباشر والتجربة التي تتطلب من المتلقي أن يعيد التفكير في ما يراه.
كان الهدف هو فتح مساحة للتأمل، مساحة يلتقي فيها العمل الفني مع وعي المتلقي في لحظة مشتركة من التساؤل.
لكن اللحظة الأكثر تأثيرا بالنسبة لي لم تكن لحظة التفكير في العمل، انما لحظة الوقوف أمامه بعد أن أصبح جزءا من فضاء العرض في مالطا، في تلك اللحظة، شعرت أن العمل لم يعد ملكي وحدي. لقد صار جزءا من حوار أكبر، حوار بين الفن والجمهور، بين التجربة الشخصية والعالم.

وربما كانت تلك هي اللحظة التي أدركت فيها المعنى الحقيقي للفن: أن العمل الذي يبدأ في عزلة الفنان يمكن أن يصبح، في لحظة ما، نقطة التقاء لوعي إنساني أوسع.

حين عدت بذاكرتي إلى الوراء، بدا لي الطريق كله كأنه خيط طويل يبدأ من طفولة بعيدة، ويمر بمحطات كثيرة، بعضها مضيء وبعضها مليء بالصعوبات، لكنه يظل في النهاية طريقا واحدا.

طريق بدأ بطفل يحلم بعلبة ألوان، وانتهى " أو ربما بدأ من جديد " بفنان يقف أمام عمله في جناح بلاده في منصة دولية.

لم يكن ذلك الطفل يعرف شيئا عن الفن المفاهيمي أو عن التيارات الفنية أو عن المعارض الدولية.

لكنه كان يعرف شيئا واحدا مهما: أن الرسم بالنسبة له ليس مجرد هواية، انما طريقة لرؤية العالم. ربما لهذا السبب استمرت الرحلة.

اليوم، وأنا أكتب هذه الصفحات، لا أرى المشاركة في هذا البينالي كنهاية الطريق. إنما هي، في الحقيقة، مجرد محطة أخرى في رحلة لم تتوقف بعد. فاللون الذي بدأ حكاية حياتي منذ ستين عاما ما زال يحمل في داخله أسئلة جديدة، وأشكالا لم تتكشف بعد، ومساحات لم ترسم بعد. ولهذا أستطيع أن أقول إن الرحلة التي بدأت بعلبة ألوان صغيرة لم تنته.

ربما تغيرت الأدوات، وتغيرت المسافات، وتغيرت القاعات التي تعرض فيها الأعمال، لكن الدهشة الأولى ما زالت كما هي.

دهشة طفل اكتشف ذات يوم أن الألوان يمكن أن تفتح له بابا إلى العالم.

ولعل أجمل ما في هذه الرحلة أن ذلك الباب ما زال مفتوحا

إيميل قبـول العمل بـــــ
جناح بينالي مالطا 2026

Inbox

Acceptance – Malta Biennale 2026 Pavilion

Your proposal for the pavilion 'Isolation' has been selected for the Malta Biennale 2026, and you are invited to collaborate on the theme 'CLEAN | CLEAR | CUT'.

Created by Yahoo Mail ⓘ Was this message summary helpful?

P To: me · Fri, Nov 21 at 8:45 PM

Ibrahem Shalaby

We are pleased to inform you that your proposal for the pavilion **Isolation** has been selected for inclusion in the Malta Biennale 2026, which will take place from March 11 to May 29, 2026. On behalf of the Biennale team, we warmly congratulate you and your curatorial/artistic team on this achievement.

Further details regarding contract, installation schedules, communications, and catalogue contributions will be shared in due course.

We are excited to welcome your pavilion to the Malta Biennale 2026 under the theme CLEAN | CLEAR | CUT, and we look forward to collaborating closely with you to realise this important project.

With best regards,

Mario Cutajar

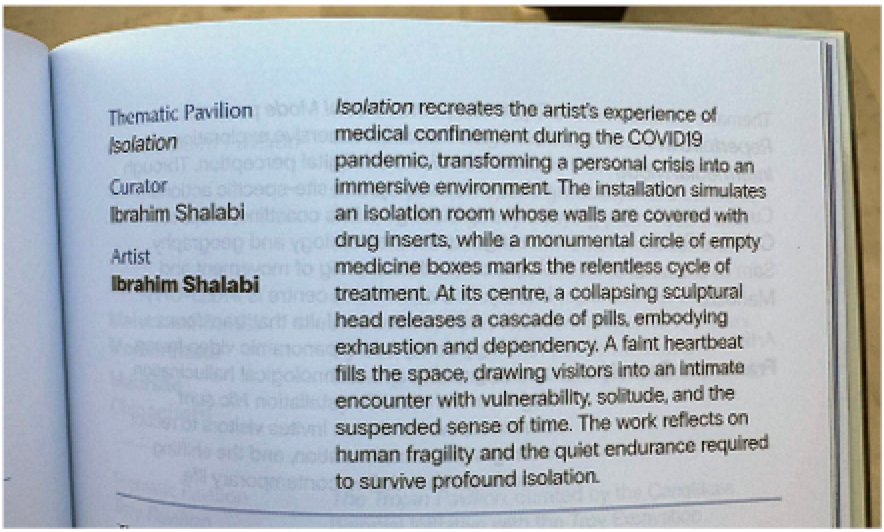
Chairman
Heritage Malta

President
maltabiennale.art



صورة من ارض الواقع توضح خريطة الاجحة وبها جناح عزل رقم 13 ب مستودع الأسلحة القديمة بيرغو،

Birgu Old Armoury, Il-Birgu



Thematic Pavilion
Isolation
Curator
Ibrahim Shalabi
Artist
Ibrahim Shalabi

Isolation recreates the artist's experience of medical confinement during the COVID19 pandemic, transforming a personal crisis into an immersive environment. The installation simulates an isolation room whose walls are covered with drug inserts, while a monumental circle of empty medicine boxes marks the relentless cycle of treatment. At its centre, a collapsing sculptural head releases a cascade of pills, embodying exhaustion and dependency. A faint heartbeat fills the space, drawing visitors into an intimate encounter with vulnerability, solitude, and the suspended sense of time. The work reflects on human fragility and the quiet endurance required to survive profound isolation.

صورة من كتالوج الدليل السياحى للبينالى

عَـــــزْل | AZL

تجــــهيز في الفــــــراغ

وسـائط تركيبية متعددة (Mixed Media Installation)
قابل للتكيف مع مساحات عرض متعددة، ويتميز بأثر
بصري ، صوتي ، و شـمي ، لخـــلق تجـربة نفسـية

دخولـك إلـى هـذا الفضـاء دعـوة لمواجهـة الحـدود الهشـة لكيانـك؛ حيـث يلتقـي الصمـود بالاستسـلام، ويتحـول الجسـد مـن سـكنٍ إلـى معمـار مـن قلـق.

ولـد العمـل مـن رحلـة شخصية فـي قلـب العزلـة الطبيـة، حيـث يتباطـأ الزمـن وتصبـح حبـة الـدواء مركـز وقيـد.

مئـات النشـرات والحبـوب أصبحـت أدوات شـفاء ، و نظـام مكانـي يعيـد تعريـف الوجـود: وعـد وعـبء، رعايـة وسـيطرة.

فـي «عَزْل»، يتـردد نبـض قلب خافت ليمحو المسـافة بينـك وبيـن العمـل. هـذا النبـض يذكّـر أن الحياة تسـتمر بهـدوء حتـى فـي أكثـر اللحظات انكسـاراً.

أنت الآن لا تشاهد عملاً فنيا..

أنت تعيش حـدثاً وجـودياً.

أنصـت جيـداً.. لنبضـك، لصمتـك، وللمعنـى الكامـن فـي الفراغـات بينهمـا.



عزل

- فوارغ علب ادوية - نشرات الدواء - مرتبة اسفنج - تمثال جبس-انتاج 2024

عَـــــزْل

تجربـة تركيبيـة متعددة الوسـائط، مبنيـة علـى تجربـة شـخصية خـلال جائحـة كوفيـد- 19، تحـول الألـم الجسـدي والعزلـة النفسـية إلـى عمـل تأملـي بصـري وصوتـي وشـمي ،عـن هشاشـة الجسـد الإنسـاني.

عزل:
النواة الأولى لتيار ما بعد الإدراك

مقدمة: من التجربة الشخصية إلى التأسيس النظري

فـي تاريـخ الفـن، نـادراً مـا يلتقـي الألـم الشـخصي مـع اللحظـة التأسيسـية لتيـار فنـي جديـد. لكـن فـي حالـة «عـزل»، يحـدث هـذا الالتقـاء بـكل قوتـه. العمـل الـذي ولـد مـن رحـم تجربـة العزلـة الطبيـة خـلال جائحـة كوفيـد19-، لـم يكـن مجـرد تعبيـر عـن معانـاة فرديـة، انمـا كان البـذرة الأولـى التـي نمـت منهـا فلسـفة تيـار «مـا بعـد الإدراك» بأكملهـا.

هـذا العمـل هـو الجسـر بيـن السـيرة الذاتيـة (التـي تناولناهـا) والتأسيس النظـري (الـذي تفصلـه الكتـب التاليـة). إنـه اللحظـة التـي تحولـت فيهـا التجربـة الشـخصية إلـى فكـرة، والفكـرة إلـى عمـل، والعمـل إلـى نـواة لتيـار فكـري متكامـل.

أولاً: السياق – كيف ولد العمل

مـن حبـة مسـكن إلـى طوفـان أدويـة، بـدأ الأمـر بتفاصيـل صغيـرة، كمـا تبـدأ كل الحكايـات الكبيـرة. شـعور بضيـق مـن تنـاول حبـة مسـكن للصـداع. ثـم انتهـى الأمـر بـ جسـد مرمـي علـى سـرير العـزل، محاطـاً بأكـوام من العقاقيـر، يبحـث عـن «خـروج» لـم يعـد موجـوداً. فـي تلـك اللحظـة، تداخلـت فـي وعـي الفنـان مفارقتـان:

- العزلـة الاختياريـة التـي كان يعيشـها فـي مرسـمه كفنـان، حيـث كان يختـار الوحـدة للتأمـل والإبـداع.

- العزلة القهرية التي فرضت عليه كمريض، حيث سلبت منه الإرادة وأصبح جسده هو السجن.
هذا التداخل هو ما جعل «عزل» يتجاوز كونه عملاً عن الجائحة، ليصبح عملاً عن الوجود الإنساني ذاته.

اللحظة التأسيسية:

يقول الفنان في سيرته:« تكون هذا المسار عبر عدد من التجارب والأعمال المفاهيمية التي تجاوزت الثلاثين عمل... اللحظة التي أعلنت فيها ميلاد هذا الاتجاه بوضوح كانت من خلال العمل التركيبي «عزل»، الذي شكل إحدى البذور الأولى لتبلور هذا التيار.»



بهذه الكلمات، يعلن «عزل» عن نفسه، و عن ولادة تيار «ما بعد الإدراك» بأسره.

ثانياً:

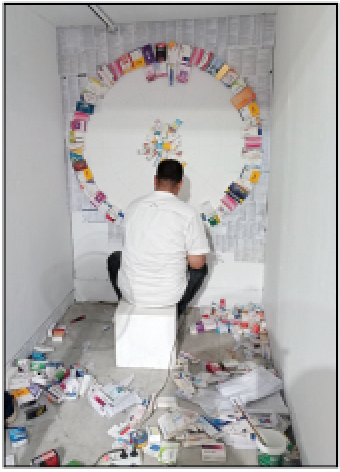
وصف العمل – بناء العزلة

الفضاء كجسد:

يتخذ «عزل» شكل غرفة عزل طبية كاملة. يدخل الزائر إلى فضاء مغلق، حيث تغطي جدرانه وأرضيته نشرات الأدوية الطبية – تلك الأوراق البيضاء الصغيرة التي ترافق كل علاج، حاملة وعود الشفاء ومخاوف الآثار الجانبية.

هذا التغطية هي بناء للمكان كجسد مريض. كل نشرة هي وعد بالشفاء، لكن تراكمها هو عبء المرض نفسه.

الدائرة: حبة الدواء العملاقة



في قلب الغرفة، على الجدار المقابل للمدخل، تتشكل دائرة قطرها متر ونصف، مصنوعة بالكامل من علب أدوية فارغة، بألوانها المتعددة، وكأنها بقايا معركة طويلة. هذه الدائرة تحيل إلى: - حبة دواء عملاقة – تضخيم للعلاج الذي يتحول إلى عبء.

- حلقة لا نهائية – التكرار بلا نهاية، الزمن المتوقف.
- عين تراقب – كاميرا غائبة، نظام طبي يتحكم بالجسد.

السرير: اختزال الجسد



الفنان اثناء تثبيت العمل

أمام هذه الدائرة، يستقر سرير ضيق (190 × 50 ×20سم)، مختزل إلى الحد الأدنى من الأبعاد اللازمة لإيواء جسد.

على حافته، رأس نحتي – متآكل، مجزأ، مستنزف. هذا الرأس ليس «صورة» للمعاناة، إنه بقايا. إنه الجسد بعد أن أنهكه المرض والعلاج. من مؤخرة الرأس، تتدلى

عـروق وشـرايين محشـوة بـآلاف الأقـراص الحقيقيـة ـ تدفـق بـلا نهايـة مـن «العـلاج» الـذي يتحـول إلـى عـبء بيولوجـي ورمـزي.



النبض:

الصوت الذي من الداخل

لكن العنصـر الأشد حضـوراً... هـو الغيـاب. فـي صمـت الغرفـة الخانـق، يسـمع الزائـر نبـض قلـب منخفـض جـداً. يبـث الصـوت عبـر مكبـرات اتجاهيـة مخفيـة، بحيـث يصعـب تحديـد مصـدره. كأنـه ينبعـث مـن داخـل الزائـر نفسـه.



صـورة من العمل راس من الجبس يتدلى منه حبوب الادويه : 920 حباية دواء

هـذا النبـض:- لا ينتمـي بوضـوح إلـى العمـل الفنـي أو إلـى الزائـر.- يقـاوم التحديـد : لا يمكـن تعقبـه أو الإمسـاك بـه.- يحـول المشـاهد مـن المشـاهدة إلـى التجسـيد.

الرائحة:

الطقس المكتمل

يكتمل العمل بـرائحـة معقم غرف العمليـات المنتشـرة فـي المـكان، لتخلـق طقـس عـام يحاكـي غـرف العـزل الطبيـة، وتضيـف بعـداً شـمياً للتجربـة الحسـية المتعـددة.

ثالثاً: التحليل الفلسفي – لماذا هذا العمل هو نواة التيار؟

ينبثق العمل كلحظة تأسيسية تكشف البنية العميقة لما سيعرف لاحقا بتيار «ما بعد الإدراك». فالتجربة تقدم كحالة تفرض على المتلقي، حيث تتلاشى الحدود بين الجسد والحيز، ويصبح الإدراك نفسه موضع اختبار. داخل هذه الغرفة، لا يعود المتلقي قادرا على التمييز بين ما يصدر عنه وما يفرض عليه؛ النبض يتسلل كأنه داخلي، والرائحة تستدعي ذاكرة مرضية كامنة، والحيز يحيط به حتى يكاد يبتلعه. هنا يتبدى الإدراك كبناءً هش، لا آلية ثابتة.

لا يسعى العمل إلى تقديم «حقيقة» عن المرض بقدر ما يبني أثرها الإدراكي. تتراكم العناصر "علب الأدوية، النشرات، الحبوب" تقدم ككثافة تعيد تشكيل الإحساس بالواقع.

الحقيقة، في هذا السياق، لا تقاس بما هو موجود،انما بما يعاش ويستشعر. ومن ثم يتحول العمل إلى مختبر، تختبر فيه حدود التحمل، وتتعرض فيه الحواس لحالة من الإرباك المقصود، حيث القلق والتكرار والعزلة شروط تجربة.

ضمن يستدرج المتلقي ليغدو عنصر فاعل. فالتجربة لا تكتمل إلا بانخراطه الجسدي والحسي، حيث تتكشف الصدمة عبر تراكم تدريجي: من الدخول إلى الفضاء، إلى مواجهة الكثافة البصرية، إلى الانصات للنبض، وصولًا إلى لحظة الشك في مصدر الإحساس ذاته. هذه الصدمة التراكمية تهدف إلى الإرباك و إلى خلخلة التلقائية وفتح أفق إدراكي جديد.

في ذروة هذا المسار، يتحول التدمير إلى شرط للإنتاج: الرأس المتآكل، بقايا الأدوية، وكل ما يبدو أثرا للفناء، يعاد توظيفه كبنية دلالية مولدة للمعنى. هكذا لا يكون الانهيار نهاية، انما بداية لإعادة صياغة العلاقة بين الجسد والهشاشة والزمن.

ومـن خـلال هـذا التحـول، يتجـاوز العمـل مـن التمثيـل ليصبـح تمريـن إدراكـي، يـدرب المتلقـي علـى مواجهـة الغمـوض، وعلـى إعـادة التفكيـر فـي يقيناتـه الحسـية.

ضمـن تصنيفـات «مـا بعـد الإدراك»، يحتـل «عـزل» موقـع مركـب؛ فهـو مـن جهـة ينتمـي إلـى البعـد الاختبـاري الـذي يدفـع المتلقـي إلـى أقصـى حـدود التحمل الإدراكـي، ومـن جهـة أخـرى ينفتـح علـى أفـق «مـا بعد-كونـي»، حيـث يعـرض الحـدث فـي مـا يتبقـى بعـده: أثـر الغيـاب، وبقايـا التجربـة، والسـؤال المعلـق حـول مـا يظـل قائـم بعـد الانهيـار. ليغـدو العمـل نـواة مفاهيميـة، لا لانـه يقدم أطروحـة مكتملـة، انمـا لأنـه يضـع الإدراك نفسـه فـي موضـع المسـاءلة، ويفتـح المجـال لتيـار يتخـذ مـن زعزعـة اليقيـن شـرط لبنـاء معنـى جديـد.

لماذا هو نواة التيار؟

«عزل» هو النقطة التي انطلق منها تصنيفات التيار بأكمله:

- منه انبثق سؤال الإدراك وهشاشته
- منه انبثق الاهتمام بالزمن كأداة إدراكية
- منه انبثق مفهوم المناعة الإدراكية
- منه انبثق التحول من الفردي إلى الجماعي
- منه انبثق البعد الوجودي والروحي

خامساً: الرسالة – ما يتركه العمل في المتلقي

مـا لا ينسـى عندمـا يغـادر الزائـر «عـزل»، لا يخـرج كمـا دخـل. يخـرج معـه: - إحسـاس جديـد بجسـده ،أصبـح يعـرف أن الجسـد وعـاء، وايضـا هـو أداة إدراك هشـة. - علاقـة متغيـرة بالـدواء : تحـول العـلاج مـن حل،الـى عـبء محتمـل.

- تأمل في العزلـة : الفرق بين العزلـة المختارة والمفروضـة.
- ذاكـرة إدراكيـة : النبـض المسـتمر، رائحـة المعقـم، النشـرات البيضـاء.

السؤال الذي يبقى

كما يقول بيان التيار: «في عالم تتسارع فيه المحاكاة وتتآكل فيه الحقيقة، يصبح الفن مختبر للوعي ومناعة إدراكية.»

«عزل» هو أول مختبرات هذا الوعي.

هو السؤال الذي يبقى بعد مغادرة القاعة:

- ماذا يبقى من الإنسان حين يسلب منه الزمن، والعلاقة، والحركة، ويترك وحيداً في مواجهة جسده؟

خاتمة: من النواة إلى الشجرة

إذا كان تيار «ما بعد الإدراك» اليوم شجرة ممتدة بـ اكثر من 30 عمل و6 كتب و6 تصنيفات، فإن «عزل» هو النواة التي نمت منها هذه الشجرة.

من هذا العمل انبثقت الأسئلة: كيف ندرك الجسد حين يخوننا؟، كيف نعيش الزمن حين يصبح عبئاً؟، كيف نبني معنى من أنقاض الانهيار؟،كيف يصبح الفن مختبر للوعي؟ وهذه الأسئلة هي التي شكلت تيار «ما بعد الإدراك» بأكمله.

عزل"

به نختتم سيرة طفل بدأ بحلم علبة ألوان في كفر الشيخ، وبه نفتح باب رجل وصل إلى بينالي دولي وأسس تيار فكري جديد.

إنه العمل الذي قال: "من أنقاض الانهيار، يمكن أن يبنى عالم".

علبة ألوان
.........سيرتي من ستة إلى ستين

لم يكن الطفل الذي كنته يوما يحلم بلعبة أو دراجة أو حتى قطعة حلوى كما يفعل أقرانه، فقد كان حلمي أبسط وأعمق في آن واحد، علبة ألوان.

كنت أرى في الألوان سرا لا يدركه أحد، عالما كاملاً يمكن أن أخلقه بلمسة من فرشاتي الصغيرة، لكني لم أكن أملك تلك العلبة التي ظلت كحلم بعيد المنال.

في كل مرة كنت أمر أمام متجر الأدوات الفنية، كنت أتوقف مشدوها أمام العلب المرتصة خلف الزجاج، أنظر إليها بشغف كمن يطالع مصيره معلقا بين درجات الأحمر والأزرق والأصفر.

حاولت أن أرسم بلا ألوان، بالكلمات أحيانا، بالخيال كثيرا، وبكل ما أوتيت من صبر، لكن ظل حلمي مرهونا بقدرة يديي الصغيرة على إمتلاك تلك العلبة الموعودة.

كبر الطفل، وكبر معه الحلم.

عبر الجسور الصعبة، سرت في طرق ملتوية، سقطت، نهضت، وحاولت أن ألون واقعي حتى دون فرشاة.

وحين إمتلكت أخيرا علبتي الأولى، كان ذلك فتحا لعالم بأكمله، نافذة أطل منها على ذاتي، وأبحر بها عبر سنوات من البحث والمحاولة والإنتصار والإنكسار.

منذ أن بلغت السادسة وحتى اليوم، وأنا على مشارف الستين، وجدت الأمر رحلة حياة، خضتها بكل ما فيها من مغامرات وعثرات ونجاحات.

واليـوم، وأنــا أقـف عنـد هـذه المحطــة، أدرك أن حلمــي الأول كان اكبـر مـن علبـة ألـوان، كان وسـيلة لفهـم الحيـاة، لصياغـة الحكايـات علـى القمـاش، لرؤيـة العالـم مـن خـلال العدســة التــي لا يراهــا الآخـرون.

والآن، بينمــا اتســاءل إن كان هنــاك لــون لــم اكتشـفه بعـد، أو لوحــة لـم ارسـمها بعـد، ادرك أن الحكايـة لـم تنتـه بعـد... فطالمـا بقيـت فـي يـدي فرشـاة، فـإن ثمـة فصـلا جديـدا ينتظـر أن يكتـب، إذا كان فـي العمـر بقَيـة.

تمـت

ابراهيم شـلبى

قـلين : 2025



تسلم الجائزة من لجنة التحكيم الفنان : الفنان هشام قنديل، الناقد : عز الدين نجيب ، اد :مصطفى الفقى ،اد : شمس القرنفلى
اكاديمية واتيلية الجرب للثقافة والفنون 2022

من ستة إلى ستين...
................رحلة بين الحلم والقدر

كنت طفلا يحمل فرشاته كالمحارب، يرسم أحلامه على جدران الزمن، يطمح لترك أثر، ليرى إسمه يوما على غلاف كتاب أو جدار معرض.
لم أكن أدرك أن الطريق متاهة من الإنكسارات والإنبعات، من الأبواب المغلقة والفرص المختبئة خلفها.
كبرت وانا أخوض معاركي مع الألوان والفكرة والواقع.
تعثرت ونهضت، تنقلت بين مدارس الفن وإتجاهاته، بين يقين البدايات ودهشة النهايات.
لم أستسلم حين أغلقت الأبواب، طرقت أخرى، وأحيانا هدمت الجدران لأعبر.
في الستين، لم أعد الطفل الصغير، لكن عيني لم تفقد بريقهما. أدركت أن كل لوحة رسمتها، كل فكرة رفضتها، كل معرض خسرته، كان جزءا من الرحلة، من التكوين والنضج.

اليوم، انظر إلى حياتي كلوحة أمتدت ستة عقود، أرى الألوان التي بهتت والخطوط التي أنكسرت، لكن أرى أيضا ضربات الفرشاة التي صمدت رغم كل شيء.
أما المستقبل؟ صفحة بيضاء تنتظر ضرباتي الأخيرة...
ربما لتوقيع لوحة،
أو ربما... لبدء لوحة جديدة.

22 ملحق

مسيرة فنان:

.... محطات من نور و رؤى

منذ إنطلاقتي الأولى في عالم الفن التشكيلي، كانت مشاركاتي في المعارض المحلية والدولية بمثابة محطات مضيئة في مسيرتي، شكلت فرص لتبادل الرؤى والتجارب مع فنانين من ثقافات مختلفة، ولعرض أعمالي أمام جمهور واسع متنوع المشارب.

وقد حظيت تلك المشاركات بإهتمام عدد من النقاد والباحثين الذين تناولوا أعمالي بالتحليل والقراءة، مسلطين الضوء على تطور أسلوبي الفني، وما تحمله لوحاتي من مضامين جمالية وفكرية.

ومع مرور الوقت، توالت مشاركاتي بين معارض فردية وجماعية، كل واحدة منها كانت بمثابة نبضة جديدة في شريان تجربتي الفنية.

وقد بلغ عدد معارضي الفردية حتى لحظة كتابة هذه السطور عشرين معرض، فيما تجاوزت مشاركاتي الجماعية حدود العشرات، ضمن رحلة لا تعرف السكون، سعي دائم للفن كقيمة وهوية وانتماء.

كان عام 2015 نقطة تحول بارزة، حين كرمتني جامعة الأزهر في إحتفالها السنوي، بمنحي الميدالية الذهبية وشهادة تقدير خلال دورة حملت إسم الفنان الكبير

أ.د/ حمدي عبد الله، في لحظة تجلت فيها مكانة الفن كجسر عابر للأجيال.

وفي العام التالي، 2016، تكرر التكريم من الجامعة ذاتها، بدرع وشهادة تقدير، في دورة الفنان أ.د/ مصطفى عبد العزيز، مما أضفى بعد إضاف للاعتراف المؤسسي بمسيرتي.

وفي نفس العام، حملتني الأقدار نحو مشاركة دولية اخرى حملت منعطف عاطفي عميق؛ إذ عدت إلى العراق بعد ثلاثين عام من الغياب، كفنان يحمل وطنه بين ضلوعه، مشارك بأعمال نضجت بتجارب السنين. جاء ذلك خلال مهرجان «بلد الصمود»، حيث اجتمع فنانون من أنحاء العالم، وكل منا علق على جدران المعرض خريطة مشاعره، يبوح دون كلمات. هناك، على أرض العراق الجريحة النابضة بالعزة، عشت لحظة مفعمة

بالمرارة والعزة معا، شعرت فيها أن الذاكرة، رغم قسوة الغياب، لا تموت.
وفي تلك الفترة، توجت وزارة الثقافة المصرية مسيرتي بمنحي منحة التفرغ، التي امتدت لأربع سنوات كاملة حتى عام 2021، في اعتراف رسمي بأن الفن يحتاج إلى المساحة والوقت لينمو ويثمر أثره في الحياة العامة. واصلت مسيرتي، وجاء عام 2017 مشبع بالمشاركات والنجاحات.
ففي فلسطين، القضية التي كانت نبض حي في وجداني، ترجمت دعمي المتواصل من خلال معارضي «فداء» بالمركز الثقافي الإسباني و»الجدار» بنقابة الصحفيين، ومشاركتي بمعارض «للقدس سلام» بمكتبة الإسكندرية، و»فنانو مصر يرسمون فلسطين»، و»الطريق إلى القدس» بأتيليه القاهرة في دورتيه لعامي 2016 و2017.
ولقد كان لتكريمي من قنصلية فلسطين ومؤسسات «مهجة القدس» و»رواسي» وقع خاص في النفس، حيث كانت الجوائز اكثر منها شهادات فقد كانت رسائل حب ووفاء. وفي نفس العام، جاء تكريمي من كلية الفنون الجميلة بجامعة الإسكندرية، ليكون علامة فارقة في مسيرتي، حيث أُشيد بأعمالي في إحدى أعرق المؤسسات الأكاديمية بمصر، في لحظة أكدت لي أن الفن مسؤولية مجتمعية وثقافية.
وكان لمدينتي الأم، كفر الشيخ، دور في هذا التكريم المعنوي، حين حظيت بالميدالية الذهبية خلال مشاركتي في سمبوزيوم بلطيم الأول «فنان وقدوة»، و سمبوزيوم البرلس الاول للرسم على الحوائط ، إلى جانب تكريمي من ملتقى بيلا للإبداع بقصر ثقافة بيلا بدرع وشهادة تقدير، تكريمات حملت عبق الأرض التي نشأت عليها وشكلت وجدان بداياتي.
طوال مسيرتي، لم يغب الحس الوطني والإنساني عن أعمالي، فقد كانت مشاركاتي في دعم القضايا الوطنية والدينية والاجتماعية جزء أصيل من هويتي الفنية.
دعمت قضايا المرأة، وجسدت عبر لوحاتي مشاهد من الوحدة العربية، خاصة عبر معارض تناولت أواصر مصر والسودان، وحملت صرختي الرافضة للإرهاب والتطرف، مجسدا في أعمالي تطلعات الأوطان نحو السلام والاستقرار.

كما شاركت في معارض خلدت ثورة 25 يناير، واحتفت بتوسعات قناة السويس الجديدة، بقصر الفنون بارض الاوبرا، مما جعل لوحاتي وثائق بصرية حية لذاكرة شعب ووطن. وبجانب المعارض، أصبحت أعمالي جزء من مقتنيات رسمية لمؤسسات كبرى مثل وزارة الثقافة، ومتحف النيل بأسوان، ومتحف جامعة كفر الشيخ، بالإضافة إلى مقتنيات جامعات طنطا، وعدد من المجموعات الخاصة في مصر والسعودية والعراق وإسبانيا، مؤكد أن للفن قدرة استثنائية على عبور الحدود والقلوب.
تجاوزت إسهاماتي على الفن البصري، فقد امتدت إلى مجالات الديكور المعماري والمشروعات التجارية والصناعية، حيث شاركت في تصميم مساحات نابضة بالحياة، وابتكرت تصميمات فنية لمنتجات غذائية،زثقافية واجتماعية عكست هوية ثقافية أصيلة.
أما الإعلام، فقد سلط الضوء على مسيرتي عبر برامج تلفزيونية مثل برنامج «أتيليه»، وبرنامج « أبحار » بالقناة الاولى المصرية ، وبرنامج « يوم جديد» بقناة النيل الثقافية، كما كنت ضيف للعديد من القنوات الفضائية في البرامج الفنية كناقد ومحلل وممارس مثل برنامج « ينابيع المعرفة» بقناة النيل للتعليم العالي ، بالإضافة إلى تناول أعمالي نقديا وتحليليا في صحف ومجلات مرموقة مثل الأهرام ، الجمهورية ، الأخبار ، اليوم السابع، والوفد ، القاهرة ، وطني ، الشرق الاوسط ، الكرامه، المسائية ، النهار العراقية ، والحياة اللندنية ،الرأى الكويتية والايام الجزائرية إلى جانب نشر تحليلات لأعمالي في صحف أمريكية وإسبانية، وفي موسوعات عربية متعددة.
وتوثيق لهذا المسار، صدرت عني عدة كتب تناولت أعمالي ومسيرتي:
- كتاب «سفير الفن» الصادر عن وزارة الثقافة المصرية باللغتين العربية والإنجليزية.
- رواية «**بلون الرمال**»
بقلم أ.د. محمد عبد السلام عبد الصادق .
- كتاب «**عازف اللون**» للناقد د. إسماعيل صيام.
- كتاب «**سطور في محيط الإبداع، ما كتب عن اعمال ابراهيم شلبي مابين عامى 2002الى 2022**»
للناقد الفنان /علي فوزي صقر.

- كتاب **«اللون في أعمال إبراهيم شلبي»**
للناقد أيمن أبو زيد.
- وأخيرا، كتاب **« إبراهيم شلبي: حياته وأعماله»**
بقلم أ.د. لمياء كرم صافي.
ومن النقاد المتخصصين الذين كتبوا عن أعمالي في المجلات والجرائد والمواقع الاليكترونية والكتالوجات الفنية اخص بالذكر :.....شهادات

حول إعمال المرحلة الاولي:

د / ايهاب الملاح ، اد / سعد العبد، الناقد/ ايمن ابوزيد

حول أعمال وطني و فـسـداء:

د / مانويل روميرو (اسبانيا) ، د / محمود خفاجى،أ.د / السيد عبده سليم،ا.د/ صلاح المليجى ،ا.د / السيد القماش»
أ.د / محمود عنايت ، د/ عمار علي حسن،
الفنان والصحفي / محمد عبد العلى ،الصحفى والنائب / أحمد الطنطاوي، الفنان / حسين البلداوي (العراق)، الصحفى / علي صحن عبد العزيز(العراق)، الفنان/ عامر سليم الخطيب (سوريا)

حول أعمال ثورة الحواس:

الفنان/ عصمت داوستاشي ، ا.د / وليد قانوش، الفنان /انطونيو الكازار(اسبانيا)،الفنان / وحيد البلقاسي، الفنانه / اغدا دي لا بيسا (اسبانيا)، أ.د/ حمدي أبو المعاطي، الشاعر / مشعل بن سعود (السعودية)، الفنانة / مديحة متولي ،الاستاذ / حمدين صباحي ،الصحفي/ أحمد ماجد ترجمه د/ عبد السلام الصباغ- مجلة كومنتي تايم، د / عبد الله منصور

حول أعمال ع الرمله :

ا.د/ شاكر عبد الحميد ،ا.د/ محمد شاكر، ا.د/ محسن عطية، أ.د / محمد عبد السلام عبد الصادق،أ.د/ عادل عبد الرحمن. د/ علا يوسف،ا د / ابراهيم عبد المغني،.اد / لمياء كرم ، دكتور / خالد البغدادى، الناقد / سيد جمعة، ا .د/ وليد قانوش، ا.د/ محمد اسحق، ا .د / اسماعيل صيام، أ.د/ محسن علي حسين (العراق)، الفنان والناقد / وحيد البلقاسي، د/ ابراهيم وشاحي، د/ محروس عتاقي، د/ مانويل روميرو (اسبانيا)،الناقد / محمود فتحي، الاديب / أحمد كفافي، د / قاسم الحسيني (العراق)، د / صالح البرص، الفنان القدير/ عادل بنيامين ،واخرين.

لقد كانت رحلتي مع الفن رحلة شغف وصدق، رحلة التقاء بين الذاكرة والحلم، بين الإنسان والأرض، حيث يظل الفن، كما آمنت به دائما، صوت الحياة الأجمل والأبقى.

وهكذا، طويت صفحات هذه الرحلة، رحلة علبة الألوان التي رافقتني من سن السادسة حتى الستين، شاهدة على الحلم حين يتفتح، والخيبات حين تمر، والإصرار حين يتجدد.

كانت الألوان في يدي، كما كانت في قلبي، أجنحة أطير بها فوق حدود الزمان والمكان، أغزل بها ملامح وطن، وأرسم بها ملامح روح.

كانت هذه السيرة بما حوته من محطات فنية وجوائز وتكريمات، محاولة لالتقاط نبض السنين، وتوثيق ملامح إنسان آمن بأن الفن حياة... وأن الريشة قد تكون جسر بين الضفتين: ضفة الألم وضفة الأمل.

إذا كانت هذه الصفحات قد حملت بعض مما عشته، فالألوان التي بقيت على أطراف أصابعي لا تزال تهمس لي أن الرحلة لم تنته بعد.

لعلها دعوة مفتوحة لكل من حمل حلم صغير يوم ما، أن يظل وفيّ له، أن يظل يرسم... حتى آخر العمر.

لأننا جميعا، في نهاية المطاف، لسنا سوى أطفال كبار... نحمل في حقائب العمر علبة ألوان.

إنني أدعوك الآن لطيّ صفحة "السيرة الذاتية" لتبدأ معي في الجزء الثاني رحلة "السيرة الفكرية".

هناك، سنفكك مبادئ التيار، ونستكشف كيف يمكن للفن أن يتخلى عن "المتعة البصرية" العابرة ليقوم بمهمة أسمى: إعادة تعليمنا كيف نرى.

لقد بدأ الحلم بطفل يصنع ألوانه من رمال الأرض..

وينتهي اليوم بـ "تيار" يسعى لاستعادة حرية الإنسان في عالم من الزيف.

والرحلة.. لا تزال في أولها.

بـدأت كتابـة هـذه السـيرة عندمـا كنـت فـي أوائـل الخمسـينات مـن عمـري. كخواطـر وذكريـات متفرقـة راودتنـي مـن وقت لآخـر؛ بعضها نشـرته علـى صفحـات الفيسـبوك، وأكثرهـا إحتفظـت بـه فـي مفكرتـي الخاصـة. لـم أكـن أتوقـع أن تتراكـم بهـذه الكميـة، حتـى وجـدت نفسـي أمـام مـادة غزيـرة، دفعتنـي إلـى التفكيـر فـي جمعهـا فـي كتـاب.
فـي البدايـة، كنـت آمـل أن يتجـاوز حجـم الكتـاب 150 ليصـل الـي 200 صفحـة، لكـن المفاجـأة أن المشـروع إتسـع ليصـل إلـى اكثـر مـن 2000 صفحـة، منقسـما علـى 6 كتـب:
بـدأت السـرد فيهـا مـن قبـل ولادتـي، بالتعريـف بعائلتـي، ثـم ظهـوري فـي ترتيـب الأسـرة كطفـل خامـس. لكنـي وجـدت نفسـي أبـدأ فعليـا فـي الكتـاب مـن سـن السادسـة، يـوم دخولـي إلـى المدرسـة الابتدائيـة.
وعندمـا أنهيـت الكتابـة، وجـدت أننـي قـد قاربـت الـي مشـارف السـتين.
مـن هنـا، ظهـرت أمامـي الصيغـة النهائيـة للعنـوان:
"علبة ألوان – سيرتي من ستة إلى ستين".
وقـد بـدا لـي هـذا العنـوان ملائمـا مـن ناحيتيـن: **الأولـى** أنـه يعبـر حرفيـا عـن المـدى الزمنـي للسيرة، **والثانيـة** أنـه يحمـل رمـز خفـي لـم أنتبـه لـه إلا لاحقـا. فعندمـا جمعـت الرقميـن (6 + 60)، وجـدت الناتـج 66، وهـو عـام ميـلادي: 1966.وقفـت عنـد هـذه المصادفـة كثيـرا.
هل هي مجرد أرقام ؟ أم أن هناك رابط أعمق؟
دفعتنـي هـذه الحيـرة إلـى البحـث، فدخلـت إلـى عالـم علـم الأعـداد (Numerology)، وبـدأت رحلـة غـوص فـي دلالات الأرقـام التـي صاحبتنـي طـوال هذا المشـروع. وقد إتضـح لـي أن كل رقم منهـا كان يحمـل معنـى عميـق ومترابـط، يعكـس محطـات أساسـية فـي حياتـي:

كمـا كان رقـم **6** عمـر دخولـي للمدرسـة، وهـو نفـس العـدد مـن الاعمـال الـذي تاسست بهم مدرستي الفنيـة "مـا بعد الادراك "،وهو العـدد الـذي انتهيت عليـة "علبـة الـوان" بسـت كتـب و كان أيضـا عـدد الألـوان الأساسـية التـي تحتويهـا غالبـا علبـة الألـوان البسـيطة التـي كنـت احلـم بهـا فـي طفولتـي:

الأحمر، الأزرق، الأصفر، الأخضر، البني، والأسود.

كأنني حين إخترت هذا العنوان، كنت أعود لا شعوريا إلـى تلك البدايـات البسيطة، حيث تكفـي ستة ألـوان لرسـم العالـم بأكملـه.

كذلـك الرقـم 6: يرمـز للكمـال فـي الخلـق (خلـق الله السماء والارض فـى 6 ايـام)، وللإنسـانية (خلـق الإنسـان فـي اليـوم السـادس فـي التـوراة). **رياضيـا:** أول عـدد متالـي (1 + 2 + 3 = 6).

الرقـم 60: يرمـز للـدورة الزمنيـة، الاكتمـال والبلـوغ. و فـي الثقافـات إلـى الحكمـة والتقاعد والنضـج.

ثـم بـدا لـي أن الرقـم ستين يعيدنـي مـن جديـد إلـى العلبـة ذاتهـا. فكمـا إحتـوت العلبـة علـى ستة ألـوان، بدت لـي وكأن كل لـون منهـا يختـزن فـي جوفـه عقـدا مـن الزمـن. ستة ألـوان، ستة عقـود.

وكأن الأعـوام الستين قد إنسكبت فـي تلك الأقـلام الملونة، ترسمني عامـا بعـد عـام. تحولـت العلبـة مـن أداة رسـم،الي أن أصبحـت مـرآة عمـري، والألـوان سنيني التـي أنـرت بهـا ظـلام الحيـاة.

الرقم 1966 (سنة الميلاد):

يمكـن رؤيتـه كـ "**19**" ثـم "66". الرقـم 66 هنـا هـو الجـزء الأبـرز والأكثـر تكـرارا فـي سياق الأرقـام التـي ذكـرت.

الجـذر الكونـي عنـد تفكيكـه: 1 + 9 + 6 + 6 = 22 ، الرقـم **22** هـو أحـد "الأرقـام الرئيسـية" فـي علـم الأعـداد، ويعـرف بـ"البنـاء الرئيسـي". وهـو البنـاء الكلـي لفصـول الكتـاب22 فصل،وبنـاء كتـاب" مابعد الادراك " **22** عمـل فنـى مفاهيمـى يـدل علـى القـدرة علـى تحويـل الأفـكار والـرؤى إلـى مشـاريع واقعيـة ذات أثـر طويـل المـدى.

من ستة إلى ستين:

رقمـان ظاهرهمـا تتابـع، وباطنهمـا ضـرب مقـدس:6 × 60 = **360**، دائـرة كاملـة. لا شـيء يكمل الرحلـة أكثـر مـن دائـرة مغلقـة، لا بدايـة لهـا ولا نهايـة، عـودة مسـتمرة إلـى الـذات.

البعد الرمزي الكامل:

عنـد التأمـل فـي تسلسـل الأرقـام: **6 ← 60 ← 66 ← 1966 ← 22**، نجـد أن كل رقـم يمثـل مرحلـة تطـور أو إنعـكاس لمرحلـة سـابقة: **6**: البدايـة، الطفولـة، البـراءة. وعـدد الالـوان الاساسـية فـي علبـة الالـوان. **60**: النضـج، التأمـل، الحصـاد.

66: نقطة التقاء البدايات بالنهايات، توازن بين قطبين.

22: فصول كتاب سيرتي ، وعدد اعمال كتاب ما بعد الادراك

العودة إلى الواحد

تاريخ الميلاد: 2 أغسطس (2/8):

الجـذر الكونـي لـه:2 + 8 = 10 ← 1 + 0 = 1.النتيجـة:« **1**» الرقـم الأول، الأصـل، البدايـة. إنـه الرقـم الـذي تبـدأ منـه الرحلـة، مـا بيـن الصفحـة الأولـى والصفحـة الاخيـرة.

وهكـذا، كل رقـم فـي حياتـي كان رقـم عـددي ورقـم رمـزي، فـي نفـس الوقـت ناطـق بلغـة خفيـة لا تقـرأ إلا بالقلـب. سـنة الميـلاد، عمـر البدايـة، عـدد الفصـول، عـدد الاعمـال ، تاريـخ اليـوم... كلهـا كانـت مثـل نقـاط ضـوء علـى خريطـة وجـودي.

يمثـل هـذا الكتـاب رحلـة وجوديـة عميقـة، كل رقـم فيهـا كان مفتـاح لبـاب جديـد فـي فهمـي لذاتـي ومسـاري. مـن علبـة ألـوان فـي يـد طفـل يدخـل المدرسـة، إلـى لوحـة متكاملـة رسـمتها الحيـاة بسـنواتها السـتين.

مـن السـتة إلـى السـتين، ومـن التسـعة إلـى الواحـد، ومـن الرقـم إلـى المعنـى،ربمـا تكـون هـذه السـيرة ـ كمـا يوحـي عنوانهـا ـ مجـرد علبـة ألـوان، لكنهـا ألـوان للرؤيـة وليسـت للزينـة، الرؤيـة للقلـب وليسـت للعين .

وهـا أنـا أختـم كتابـي وقـد أمسـكت بخيـط الزمـن، كمـن يفـك شـيفرة وجـوده. كانـت هـذه السـيرة مـا إنكشـف لـي، وليـس مـا حـدث لـي.
وإن كنـت قـد بـدأت الكتـاب بـ"علبـة ألـوان"، فإنـي أنهيـه كمـا تغلـق العلبـة بعـد أن رسـمت بهـا عمـري كلـه.
فكان كل لون يعادل عقد من عمري ست الوان واعوام ستين .
سـتة أقـلام فـي علبـة الطفولـة. تلـك العلبـة التـي ظنناهـا لعبـة، فـإذا بهـا جوهـر الوعـي الأول. لعلهـا كانـت مجـرد علبـة ألـوان..
.لكننـي كنـت اللـون السـابع الـذي لـم يصنـع فـي المصنـع، اللـون الـذي لا يبـاع، ولا ينسـى.
لـم أكتـب هـذه السـيرة لأتفاخـر، ولا لأبـرر، كنـت اريـد ان أفهـم.
كنـت أبحـث عـن خيـط نـاعـم ينظـم اللحظـات المتنـاثـرة، ويوصـل بيـن الطفـل الـذي أمسـك أول قلـم تلويـن،و الرجـل الـذي بـات يسـائل المعنـى خلـف كل لـون.
وحيـن أغلقـت "علبـة الألـوان" هـذه، رأيـت أنـي رسـمت حياتـي، ورأيـت أيضـا كيـف كانـت ترسـمني. كنـت أختـار الألـوان، لكننـي فـي كل مـرة، أكتشـف أن بعضهـا اختارنـي أولا.
بين ستة وستين، كان الزمن عدادا ، و رحلة بين نغمتين:
واحدة تشبه ضحكة طفل، وأخرى تشبه تنهيدة رجل.
وعندمـا جمعـت مـا بينهمـا، حصلـت علـى صـورة كاملـة، فيهـا مـا يكفـي مـن الألـوان ليفهمهـا الآخر،ومـا يكفـي مـن الظـلال لأبقـى أنـا فيهـا، واضحـا... وغامضـا فـي آن معـا.
وهكـذا، تغلـق علبـة الألـوان هـذه، لكنهـا تفتـح أبوابـاً لعلـب أخرى:«ما بعـد الإدراك» فـي جزئـه الثانـي، وامتداداتـه العربيـة، ومقارناتـه العالميـة، وآفـاق مـا بعـد مـا بعـد الإدراك.
فالحلـم الـذي بـدأ بعلبـة واحـدة، صـار اليـوم فـي سلسـلة «علبـة ألـوان» سـتة كتـب. والطفـل الـذي لـم يملـك ألوانـاً، صـار يصنـع منهـا عالمـاً.

إبراهيم شلبي..........
قلين، اغسطس 2025

الفهرس

رقم الإيداع
25/9574
ترقيم دولى
978-977-95-2565-5

علبة ألوان

سيرتي من ستة إلى ستين



ابراهيم شلبي

بين ستة وستين، رحلة بدأت بحلم صغير وعلبة ألوان لم تكن في متناول اليد، لكنها ظلت تسكن القلب والعقل.
في السادسة، كنت أحمل فرشاتي كمحارب يحمل سيفه، أرسم أحلامي على جدران الزمن، أحلم بأن أكون فناناً، أن أترك أثراً، أن يكون إسمي ذات يوم على غلاف كتاب أو جدار معرض.

غير مدرك أن الطريق متاهة من التحديات والإنبعاث.
في الستين، لم أعد ذلك الطفل الصغير، لكني لم أفقد بريق عينيي الأولى. أدركت أن كل لوحة رسمتها، كل فكرة رفضتها، كل معرض خسرته، كان جزءا من الرحلة، من النضج، من التكوين.
في هذه الصفحات، حكاية فنان خاض معركة الزمن، بين الصعود والسقوط، بين الحلم والواقع، بين ثلاث علب ألوان كتب بها ثلاث نجاحات، وترك عليها الزمن ثلاث خيبات.
كيف تتحول الألوان إلى مصير؟ وكيف يصبح الفن رسالة، ونبوءة، وعودة إلى الذات؟
هذا الكتاب سيرة ذاتية، وشهادة حية على أن الإبداع طريق طويل، مليء بالدهشة والخذلان، بالإنتصار والإنكسار.
اقرأ، وتأمل.........
فربما تجد بين السطور مرآة لحلمك الذي لم يكتمل بعد..

السعر: 360 جنية